

الدكتور محمد بن المخزومي

١٢

الدَّرْسُ الْتَّجَوُّيُّ
فِي بَغْدَادٍ



مَكْتَبَةُ لِسَانُ الْعَرَبِ

أ. علاء الدين شوقي

رابط بديل
lisannerab.com

www.lisanarb.com

الْمَرْسُلُ تَحْوِي
فِي بَغْدَادٍ

الدكتور مهدي المخزومي



مكتبة لسان العرب

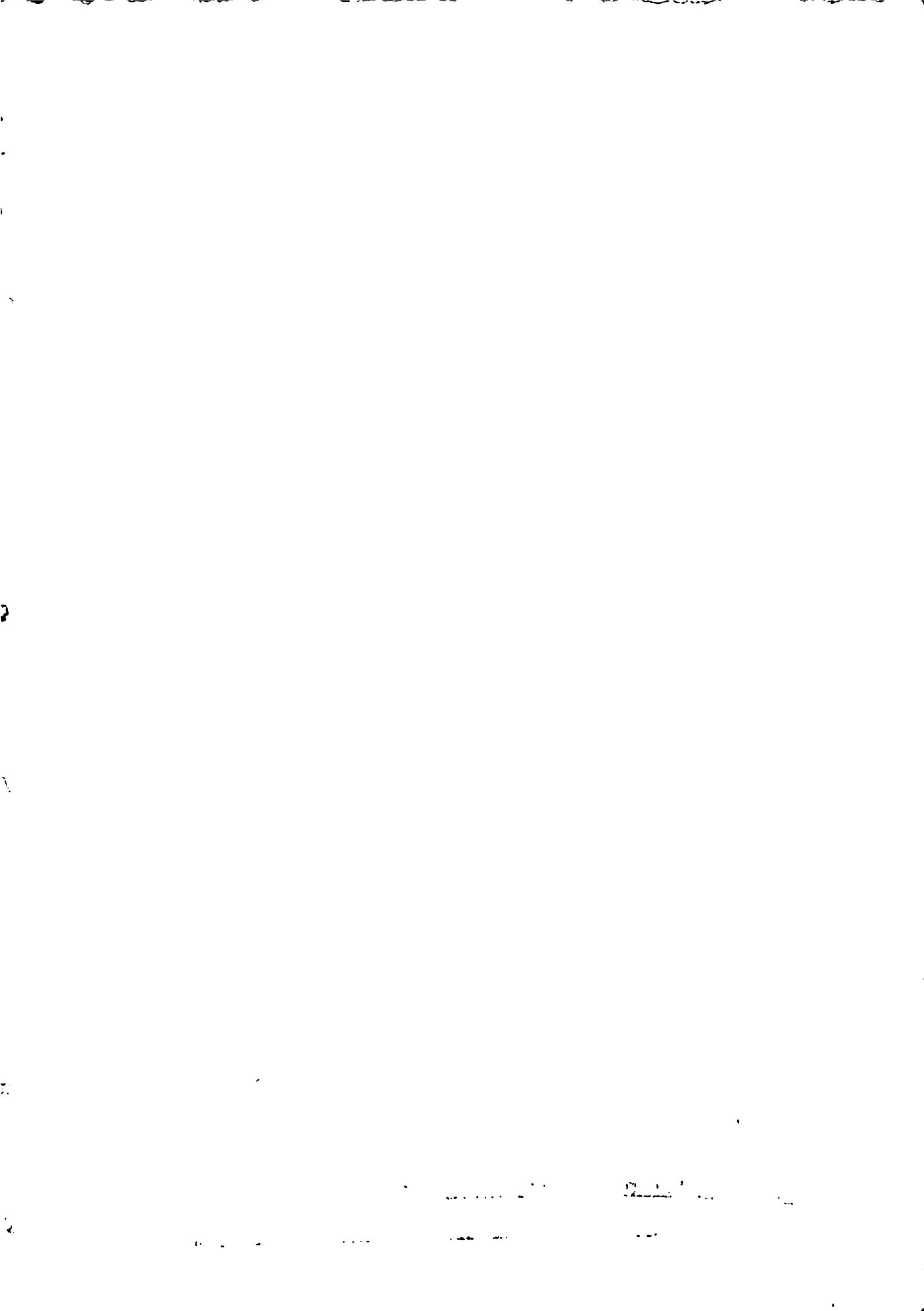
www.lisanarb.com

lisanerab.com رابط بديل

وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية

سلسلة الكتب الحديثة

(٧١) ١٩٧٤



مقدمة

تردد اسم «البغداديين» كثيرا في اثناء القرن الرابع بازاء الكوفيين والبصريين ، حتى ليدخل للدارس ان البغداديين كانوا يمثلون جماعة ثالثة لهم طريقتهم الخاصة ، ومذهبهم المتميز .

وجاء المتأخرون من النحاة فرأوا اسم «البغداديين» يذكر الى جانب الكوفيين والبصريين ، فذهب بهم الوهم بعيدا ، وراحوا يرکبون الصعب في تصوير مذهب ثالث يقف بازاء مذهب أهل البصرة ومذهب أهل الكوفة ، وهو مذهب البغداديين .

ووقع المحدثون والمعاصرون فيما وقع فيه المتأخرون من وهم ، وراحوا يبالغون في تصنيف النحاة حتى تجاوزوا ثلاثة المذاهب الى اكثر من ذلك . وزعموا أن هناك مذهبا أندلسيا وآخر مصريا .

اكبر الظن ان الذاهبين الى وجود مذهب نحوي ثالث يستندون الى ما ذكره ابن النديم وغيره ، فقد صنف ابن النديم النحاة ثلاثة جماعات :

الاولى : جماعة البصريين .

والثانية جماعة الكوفيين .

والثالثة : الجماعة التي خللت المذهبين ، ويعني بها جماعة النحوين الذين أخذوا عن الكوفيين والبصريين .

ويبدو أن فلوكل الذي حقق الفهرست ونشره هو الذي أوقع المحدثين والمعاصرين في مثل هذا الوهم ، فقد كان نشر له بحث عن المدارس النحوية اشار اليه بروكلمان في « تاريخ الادب العربي » وكتولدفايل في مقدمة (الانصاف) وعنوان البحث يدل على تعدد المدارس او المذاهب عنده ، وكان الدارسون العرب يصدرون عن هذا في أكبر الظن منذ اتصالهم بكتبات

المستشرقين . وكان كوتولد ثايل على صواب حين ذكر ان (فلوكل) لابد أن يكون قد عانى كثيرا من انجهد للوصول الى هذه النتيجة ، وهي القول بتنوع المذاهب والمدارس ، وانعام النظر في حقيقة الامر يجعل امثال هذه المحاولات المعاصرة من قبيل الاوهام التي لا وجود لها الا في اذهان اصحابها .

واكبر انطن ان اسم الكوفيين لم يعرف الا في القرن الرابع ، وان الكوفية اسم اخترعه البغداديون الذين أخذوا بمذهب البصريين، وسمموا أنفسهم بالبصريين تمييزا لانفسهم عن مخالفיהם من البغداديين الذين أخذوا بمذهب البغداديين الاوائل .

اما الكساناني والفراء وتعلب واصحابهم وتلاميذهم فلم يسموا بالكوفيين ، لم يسموا هم انفسهم بهذا الاسم ، ولم يسمهم البصريون الاوائل به أيضا ، لأن الكوفة ، مصر^ا لم تعرف درسا نحويا مستقلاد يقف بازاء الدرس البصري ، ولم تكن منافسة المبصرة في الدرس اللغوي عامه . والمصر الذي وقف ينافس المبصرة هو بغداد ، وفي بغداد ومحالس الدرس فيها رسمت حدود الدرس النحوي الجديد الذي وقف بازاء الدرس البصري منافسا قويا ، وهو الدرس الذي سُمي فيما بعد وفي غضون القرن الرابع بالدرس الكوفي ، وسمى حملته والداعون اليه بالكوفيين ، ولم تخالص الكوفية لاتباع البغداديين الاوائل الا في العصور المتأخرة ، فلم يزل اكثرا الدارسين من اتباع المذهب البصري في القرن الرابع يسمون مخالفיהם بالبغدادية حينا ، وبالكوفية حينا آخر ، ونجد ذلك واضحا في كتابات ابن جني في الخصائص وغيره ، فقد كان يورد اسم البغداديين والكوفيين ، ولم يرد بهما جماعتين مختلفتين ، بل كان يورد احيانا رأيا ينسبه الى ابغداديين في موضع ثم يورده منسوبا الى الكوفيين في موضع آخر ، كما يأتي بيانه ، وهذا يدل على ان البغدادية والكوفية عند ابن جني جماعة واحدة تتفق بازاء البصرية .

ومما يدل على أن البغدادية والковفية جماعة واحدة أن الدارس لايكاد يقف على خلاف مذهبى بين البغداديين والkovfien ، وأن الخلاف انما يتمثل فيما بين الكوفين والبصريين وبين البغداديين والبصريين ، وأن الدارسين المتأخرین الذين عنوا بأمر الخلاف كانوا يعرضون للخلاف بين الكوفين والبصريين ، ولم يشيروا قط الى خلاف بين البغداديين والkovfien .

فالبغداديون اذن هم الكوفين ، وطريقة البغداديين في الدرس النحوي هي طريقة الكوفين ، ولم تمثل البغدادية مذهبًا يختلف عن مذهب الكوفية فالمذهب واحد ، والطريقة واحدة .

على أن الذين ذهبوا الى وجود مذهب بعادي كانوا يرسلون مقالاتهم مزاعم ظاهرة التكليف ، كما سيأتي بيانه في ثانيا فصول هذا الكتاب .

وبلغ من وهم القائلين بوجود مذهب بعادي مستقل أن جعلوا في مقدمة أبغداديين : ابن قتيبة ، ولم يتلمذ للبغداديين الاوائل او الكوفين ، ولعل كل ما أورهم هؤلاء هو أنه كان يحكى في كتبه أحيانا عن اوائل البغداديين ، وخاصة الكسائي والفراء ، والحكاية عنهم أحيانا لاتكفي أن تجعله من اصحاب مذهب

جليميد .

وبلغ من وهم بعض المعاصرین ان جعل ابا علي الفارسي وابا افتتح بن جنی من البغداديين ، مع أنهما كانوا يسلكان انفسهما في البصريين ، وينتهجان منهج البصريين .

أما مذهب الاندلسيين ، أو مذهب المصريين ، او غيرهما فمذاهب لا وجود لها الا في اوهام القائلين بها ، المرسلين القول مزاعم ومدعيات لانتهض بها حجة ، ولا يقوم عليها دليل .

ولم أجعل عنوان هذا الكتاب : مدرسة بغداد ، أو مذهب بغداد فـى
النحو ، لأن مدرسة الكوفة ادق في الدلالة على ما يراد بـمـدرـسـةـ بـغـدـادـ ، لأن
البغداديين بعد أبي العباس ثعلب اختلفوا فيما بينهم ، فذهب بعضهم مذهب
أهل البصرة كالزجاج وابن السراج وتلاميذهما ، ولزم بعضهم مذهب البغداديين
الأوائل أو الكوفيين ، كما سمو أخيرا ، كأبي بكر بن الانباري وأبي عمر الزاهد
وأبي بكر بن شقير وتلاميذهـمـ .

فالدرس النحوي في بغداد منذ بداية القرن الرابع لايمثل اتجاهـاـ واحدـاـ
او مذهبـاـ واحدـاـ ، بل يمثل اتجاهـينـ مختلفـينـ سارـاـ في خطـيـنـ متوازيـنـ الى أن تغلـبـ
الاتجـاهـ الـبـصـرـيـ فيـ بـغـدـادـ فيـ عـصـورـهـ الـمـتـأـخـرـةـ ، لـفـلـيـةـ الـفـكـرـ الـكـلـامـيـ وـالـفـلـسـفـيـ
على الدرس النحوي حتى لم يعد له صـلـهـ بالـدـرـسـ الـلـغـوـيـ .

مهـدىـ المـخـزـوـمـيـ
بـغـدـادـ فـيـ ٢٢ـ مـنـ تمـوزـ ١٩٧٤ـ

تمهيد

سار الدرس النحوي منذ اواسط القرن الثاني للهجرة في اتجاهين مختلفين ، كان سيبويه وتلاميذه يمثلون اتجاهها ، وكان الكسائي وتلاميذه يمثلون اتجاهها آخر ، وكان الدارسون القدماء يعرفون هذا ، ويدركون الاسس المذهبية التي كانت عليها الاتجاهان . كان الاتجاه الاول هو اتجاه البصريين الذين سبقو الى الدرس النحوي ، وكان الاتجاه الثاني هو اتجاه الكوفيين الذين خرجوا الى بغداد وأقاموا فيها .

وكان بين الكوفة والبصرة ، منذ تصييرهما ، تنافس يقوم على أساس الاقليل أو المفر ، وكانت دوافعه في الغالب سياسية ، فكانت الكوفة منزل الصحابة ، وحفظة القرآن ، وحملة الحديث ، ومعسكر المسلمين ، ومنطلق الجيوش الإسلامية الى اقتدار لنشر الدين الجديد ، وقاعدة الخلافة في عهد علي بن أبي طالب ، ووراء كل هذا عوامل كان لها تأثير كبير في الخلاف بين المصريين ، تلك هي الاختلافات السياسية التي عمقتها طبيعة المجتمع في المصريين ، والحداث التي وقعت بينهما .

كان عرب الكوفة اكثراهم من اليمانيين ، وعرب البصرة اكثراهم من المصريين ، وكان عرب الكوفة أضعف اتصالاً بالجانب من عرب البصرة ، لأن عرب الكوفة كانوا يمثلون الطبقة الحاكمة ، وقد شغلوهم الفتوحات عن النزول إلى حياة الحضر فلم يشاركو الجماعات الأخرى التي كانت قوام الحياة لشعب الكوفة ، أما عرب البصرة فكانوا يشاركون غير العرب فيما كانوا يعملون ، ويخوضون معهم فيما كانوا فيه يخوضون .

كان هذا الاختلاف بين طبعتي المصريين ، والقبائل التي نزلت كلها منها مثار تنافس جديد ، وتكاثر من نوع خاص يستند الى عصبية أساسها المصر ، حتى صارت القبيلة الواحدة تنزع منزعين مختلفين ، فهناك تميم الكوفة ، وهناك تميم البصرة ، وهناك قيس الكوفة ، وهناك قيس البصرة^(١) ، وكأن الروابط القبلية قد تقطعت في القبيلة الواحدة ٠

كانت الكوفة تكاثر بالبيوتات العربية التي نزلتها ، وهم آل زرارة، الدارميون ، وآل زيد الفزاريون ، وآل ذي الجدين الشيبانيون ، وآل قيس الزبيديون^(٢) . وبعن هبط فيها من صحابة الرسول ممن شهدوا بدرًا ، ومن أصحاب الشجرة الذين صارت الكوفة بهم «كنز الایمان ، وجامعة الاسلام ، وسيف الله ورحمه يضعه حيث يشاء »^(٣) .

وكانت البصرة تكاثر بالرجالات الذين لم ينجو منهم مصر فقاقة وبلغة وتدينا وزهدا وأدبنا ، كالحسن البصري ، والاحنف بن قيس ، وطلحة بن عبد الله، ومحمد بن سيرين ، ومالك بن دينار ، والخليل بن احمد ٠

وشهدت مجالس الخلفاء والامراء كثيرا من المناظرات التي كانت تجري بين وفود من المصريين ، وفي كتاب البلدان كثير من الامثلة التي تعرض التنافس بين المصريين الكبيرين ٠

ثم كانت بغداد ، وصارت قاعدة الخلافة ، فأخذت تجذب اليها التجار وذوى المال لينشئوا مصر الجديد ويعمروه ، والادباء والشعراء والعلماء واللغويين ليبنوا حضارة وفكرا ٠

وكان الاوائل من الخلفاء واولادهم من العلماء والادباء والشعراء ، فأبوا جعفر المنصور « كان مقدما في علم الكلام ، ومكثرا من كتاب الانوار ، ولكلامه كتاب يدور في أيدي الوراقين معروف عندهم »^(٤) .

(١) مختصر كتاب البلدان ١٧٠ ليدن ٠

(٢) مختصر كتاب البلدان ١٧١ ليدن ٠

(٣) مختصر كتاب البلدان ١٦٣ ليدن ٠

(٤) البيان والتبيين ٣/٢٩٨ ٠

وكان ابراهيم بن المهدى معدودا في الشعراء وأهل الفن والموسيقى ، وكان له معرفة بالجدل ، وتصرف في الفقه واللغة ، الا أن الموسيقى والغناء غالبا عليه ، وكان اسحاق الموصلى يقول : « ما ولد العباس بن عبدالمطلب بعد عبدالله بن العباس رجلا أفضل من ابراهيم بن المهدى فقيل له : مع ماتبذل له من الغناء ؟ ! فقال : وهل تم فضله الا بذلك » (٥) .

وكان هارون الرشيد اكثرا الخلفاء الذين سبقوه رغبة في العلم واكراما للعلماء ، وكان يحفظ الشعر وينقده ، وكان « يحفظ شعر ذي ارمة حفظ الصبا ، ويعجبه ويؤثره ، فإذا سمع غناء أطربه » (٦) .

أما المؤمن فمن فضول القول أن يشار الى عالمه وحبه العلماء ، وكان له اهتمام خاص بعلوم اليونان وفلسفاتهم ، وكان يشجع المترجمين ، ويجري عليهم الجرایات ، وأسس مكتبه المعروفة ببيت الحكمـة ، فأودع فيها كنوز العلوم العربية ، وكنوز العلوم الاجنبية ، وبتشجيعه برزت أعمال الكندي فيلسوف العرب ، وأحد العقول البارزة في تاريخ الفكر ، وبتشجيعه ظهرت أعمال الفراء ، فقد ألف له كتاب الحدود ، وأمل تفسيره الكبير : معاني القرآن .

كان تصميم بغداد ، ونموها السريع في العمران والسياسة والاقتصاد ، والحياة العقلية قد استرعى انتباه العلماء والادباء والرواة والشعراء الذين حفل بهم المcrان الكبيران ، الكوفة والبصرة ، فشيدوا الرحـال اليـها ، وأخذـذ النابـون من الدارـسين من الافق البعـيدة يهاـجرون اليـها ويفـيدون منها ، ثم يعودـون الى ديارـهم وعيـابـهم ملـأـي بصنـوف المـعـرـفـة .

وكان الخلفاء انفسهم يشجعون على الاقامة في بغداد ، وربما كانوا يبعثون بأرسـلـ

(٥) الاغانى ٤٩/٩ بولاق .

(٦) الاغانى ٥/٣٩ بولاق .

ليحملوا العلماء إليها حملاً ، كما فعل المهدي مع علي بن حمزة الكسائي ، فلم يكدر يستقر بالكسائي المقام في الكوفة بعد عودته من البوادي حتى ذاعت شهرته العلمية في القراءة واللغة والنحو في بغداد ، فأرسل المهدي لاحضاره إلى بغداد ليؤدب أولاده ، وينذيع فيها قراءاته ولغته ونحوه ، وعرفت بغداد بقدومه إليها واقامته فيها أول مقرٍ للقرآن ، وأول علم من اعلام اللغة والنحو ، وكان قديمه إليها وامتداد شهرته في بيئات الدرس ، وتقريب الخلفاء إياه قد حفز نحاة البصرة إلى الهجرة إلى بغداد وقوى آمالهم في الدنو من الخلفاء .

وكان سيبويه الذي شهر في الدارسين ، وعرف بأنه تلميذ الخليل ووارث علمه ، من أوائل البصريين الذين عقدوا النية على الاقامة في بغداد ، غير أن مكانة الكسائي في القراءة واللغة والنحو ، ومنتزنته في نفوس الخلفاء حالت دون أن يصل سيبويه إلى ما أراد بل قطعت الطريق على الآخرين ، فلم يوفق أحد من منافسيه إلى زحزحته أو اضعاف منزلته .

ولم ينجح سعيد بن مساعدة الأخفش فيما أخفق فيه سيبويه إلا بعد أن وضع نفسه وعلمه في خدمة الكسائي يصاحبه ويؤدب أولاده ، وكان أخفاق سيبويه مثار خصومة بين البصريين والبغداديين ، فهم في نظر البصريين «حسو عسكر الخليفة» تارة ، ومفسدو اللغة والنحو تارة أخرى .

ولعل ماحدث في مجلس آل برمه من مناظرة بين الكسائي وسيبويه في المسألة المشهورة : «قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبر ، فإذا هو هي ، أو فإذا هو أيها» انتهت باخفاق سيبويه كان امتداداً لذلك التنافس الذي كان يحدث بين وفود الكوفة والبصرة في مجالس الخلفاء قبل تصوير بغداد ، غير أن المناظرة بين الرجلين في هذه المسألة كانت ذات طابع علمي .

ثم تبعت هذه المناظرة مناظرات أخرى بين كوفيي استقروا في بغداد ، وبصريين رغبوا في الاستقرار فيها .

الى المناقضة التي جرت بين الكسائي وأبي محمد اليزيدي في مجلس
الرشيد .

والمناظرة بين الأصمسي البصري ، وأبي عمرو الشيباني الكوفي .

والمناظرة بين الكسائي والاصمسي .

والمناظرة بين الأصمسي والفراء .

والمناظرة بين ثعلب والمازني .

والمناظرة بين ثعلب والرياشي .

والمناظرات التي جرت بين ثعلب والبرد في مجلس محمد بن عبد الله بن طاهر :

إلى غيرها من المناظرات التي جرت بين بصرىين وبغداديين ، وكان المنافسة القديمة بين الكوفة والبصرة حالت إلى منافسة بين البصرة وبغداد ، ولعل ذلك يرجع إلى أن الكوفة لم يعد لها من المكانة السياسية ما كان لها من قبل .

ولم يعد اسم الكوفة في مقابل اسم البصرة ، ولم يطلق أحد من قدماء البصرىين ، اسم (الكوفيين) على الكسائي والفراء وثعلب واصحابهم وتلاميذهم ولم ينسب النهاة الذين انتهجو نهج الكسائي والفراء إلى الكوفة إلا بعد اشتداد المنافسة التي أثارها البرد بعد وروده بغداد عقب مقتل المتوكل ، المنافسة التي أشتد أوارها بين تلاميذ ثعلب وتلاميذ البرد ، وكان هؤلاء التلاميذ كلهم بغداديين ، فأراد اتباع البرد البصري من البغداديين أن يميزوا أنفسهم من أتباع ثعلب البغداديين أيضا فسموهم بالكوفيين ، وصارت النسبة إلى الكوفة أو إلى البصرة تعنى النسبة إلى مذهب دراسيّ يعنيه ، فإذا قيل هذا الدارس كوفي كان هذا يعني أنه يذهب في دراسته اللغوية والنحوية مذهب الكسائي والفراء وثعلب ، وإذا قيل هذا الدارس بصري كان يعني أنه يذهب في ذلك مذهب سيبويه وتلاميذه .

ومهما يكن من أمر فقد عرفت بغداد بالكسائي وترميمه درساً نحوياً جديداً
 لم تألفه البصرة ولا الكوفة من قبل ، أما البصرة فقد عرفت الدرس النحوي قياساً
 وتعليلاً ، وأما الكوفة فلم يكن لها تاريخ في الدرس النحوي ، والنحاة الذين
 عرفتهم الكوفة كانوا تلاميذ للبصريين لم يتمعموا في الدرس ، ولم يبرعوا فيه ،
 واكتفوا من محصولهم النحوي أن يستغلوا في الكوفة بتأديب أولاد الامراء
 والموسرين ، ولم يضيفوا إلى ماتلقوه عن أشياخهم البصريين جديداً ولم يغيروا
 من أسلوبه شيئاً ، وقد ذكرت كتب الطبقات من هؤلاء الدارسين الكوفيين الذين
 أدركتهم حرفة الادب رجلين هما أبو جعفر الرواسي وخاله معاذ أهراء ، وقد
 رفعتهما المزاعم إلى مكان لم يكونا أهلاً له ، فلا نكاد نعرف شيئاً عن علمهما ولا
 شيئاً عن مصنفاتهما ، وكل ماردته المزاعم أن لابي جعفر الرواسي كتاباً اسمه
 (الفيصل) ، وتمادت هذه المزاعم في الافتياض حتى زعمت أن الخليل ، وهو من
 هو ذكاء وعلماً وعقريّة ، أرسل عليه فأفاد منه في وضع كتابه . ولم يرفعهما
 إلى تلك المزانة من العلم والاصالة والرئاستة الا تعصب مذهبى اساء الى تاريخ
 هذا الدرس بافتياضه وتخريصاته وزعماته .

فإذا أعرضنا عن مثل هذا اللغو لم يبق من الكوفيين من تنسب إليه الرئاستة
 في النحو الكوفي غير الكسائي ، ولكن الكسائي لم يخطط لمذهب النحوي فـى
 الكوفة ، فلم يكـد يقيم فيها بعد عودته من رحلته حتى كتب المهدى «بازعاجه من
 الكوفة» للافادة منه في تأديب ولده (٧) وأقام في بغداد ، ولم يرجع إلى الكوفة ،
 وهناك وضع أصول مذهب جديد في النحو عرف في مجالس الدرس فـى
 بغداد .

وقد وقف المذهب النحوي الجديد منافساً قوياً للمذهب النحوي البصري ،
 لا لأن رجاله كانوا في حمى الخلافة أو السلطان ، كما زعم ابو حاتم ، فيما روى

(٧) انظر : معجم الادباء / ١٣ / ١٧٤ .

أبو الطيب اللغوي عنه (٨) ، بل لانه كان يعبر عن واقع الاستعمال الملغوي ، وتعبيرات الفصحاء في محادثاتهم ومخاطباتهم ، ويسبّر أغوار الاستعمالات والاساليب ، ويعتذر بمختلف انبنيات اللغة واللهجات التي تثبت عنده فصاحتها وسلامة عربيتها ، ويعتمد السماع والنقل أصلاً من أصول الدرس .

ولم يكن هذا الدرس الجديد الذي عرفته بغداد لينهج هذا النهج الا لأن علماء كانوا من القراء ، وليس للقراء سبيل في دراستهم إلى غير الرواية والنقل الصحيح ، أما الاعتبارات العقلية التي أخذ بها البصريون فحكموها في تعقيد قواعدهم ، ووضع أصولهم فلا سبيل لها إلى القراءة ولا إلى نحو القراء الجديد . وهذا في رأينا هو منشأ الاختلاف بين المذهبين النحويين الكبيرين اللذين عرفهما تاريخ هذا الدرس .

(٨) مراتب النحويين ٧٤ .

الكسائي

علي بن حمزة (توفي سنة ١٨٩ هـ)

نشأ في الكوفة ، وتعلم مبادئ العربية على المؤذنين أمثال أبي جعفر الرواسي ، ومعاذ الهراء ، وأخذ القراءة عن حمزة بن حبيب الزيات ، وصان يقرأ بقراءاته ، ثم اتخد لنفسه قراءة خاصة عرف بها ، وبرع في هذا الميدان حتى صابع ستة من قراء العالم الإسلامي ، وثالث اثنين من قراء الكوفة ، قاعدة الخلافة ، وموفد الصحابة ، ومنزل حملة الحديث .

واراد الكسائي أن يلم بالعربية لخدم قراءته ، فتعلم مبادئها على المؤذنين في الكوفة ، ثم شد الرحال الى البصرة ، لأن العربية في البصرة كانت قد تم لها النضج باعمال اللغوين وال نحوين الذين كانت مجالس الدرس في البصرة حافلة بهم ، وفي مقدمة هؤلاء ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي شيخ العربية ، وواضع اصولها ، وراسم منهجها .

وفي البصرة جلس مع من كان يجلس الى الخليل ، ولازم الخليل ، وأخذ عنه نحواً كثيراً ، ولم يكفوّ بما سمع من الخليل ، ولا بما تلقاه من تفسيرات وقياسات ، فاراد ان يدعم ذلك بالرواية ، و مشافهة الفصحاء ، ويحدو حسنه الخليل في سماعه و مشافهته ، و سأله يوماً عن مصادر علمه ، فقال له الخليل : بوادي نجد والحجاز وتهامة ، فشد الرحال اليها ، و مكث بين الاعراب فيها يسمع منهم ، ويشافهم ويدوّن كثيراً مما كان يسمع ، وعاد مليء العياب بالسموعات والمكتوبات والمحفوظات .

كان الكسائي في رحلته الى تلك البوادي منسجما مع نفسه ، ومع المنهج الذي درج عليه ، وقامت عليه ثقافته الازلي ، وصار له بذلك شأن كبير في الدرس النحوي ، وشهد له أبو زيد الانصاري يوم أتاه نعي الكسائي بقوله : « مات بموته علم كثير » (١) .

عاد الكسائي من رحلته ، ولم يكن له هم غير البصرة والخليل ، غير انه وجد الخليل قد مات ، وجلس في موضعه يونس بن حبيب البصري النحوي ، واتصل بيونس ، ولكنه لم يكن اتصال المستفيد ، و « جرت بينهما مسائل أقر لها يونس فيها ، وصدره في موضعه » (٢) ، ثم عاد الى الكوفة ، ولكنه لم يستقر فيها ، فقد دُعى الى بغداد ليؤدب ولاد الخليفة ، وليقرئ القراء فيها ويجد في مجالس الدرس فيها بيئة صالحة لتأسيس مذهب في العربية جديدة .

وكان لانصراف الكسائي الى الدرس النحوي ، وازدواية اللغوية بعد رحلته ، ثم مقامه في بغداد ، وتصدره مجالس الدرس فيها اثر واضح في شیوع مذهب نحوی جديد في بغداد ، لأن الكسائي كان قد شرع يرسی قواعد النحو على اسس جديدة اشتقها من ثقافته القرآنية ، وبهذا ذلك واضحا للدارسين مما كان يشار في مجالس النظارة التي كانت تعقد بين الوافدين من الكوفة، والوافدين من البصرة ، للنقاش في مسائل نحوية ولغوية كانت وجهتا النظر المختلفان تطبقان فيها تطبيقا .

وكان سلوك الكسائي في دراسة النحو على غرار ما حرجى عليه في دراسة القرآن وتحمل القراءة أن أخذ المحرر الجزء باتجاه اتجاهها بدأ يبعد عن الاتجاه البصري قليلا في اعمال الكسائي ثم اخذه يوما كثيرا في اعمال تلميذه القراء حتى صار اتجاهها متميزا باصوله ، وبطبيعة قواعده ، وبمقتضياته ، فإذا كان الكسائي واضح الاساس لهذا الاتجاه فالقراء يعود اتمام العمل ، وكانت مخالفة

(١) انباء الرواية ٢٧٤ / ٢ .

(٢) نزعة الالباء ٨٤ . القاهرة - الطبعة الحجرية .

الكسائي لكتير من الاراء البصرية من البوادر الاولى التي آذنت بنشوء المذهب الجديد في بغداد ، المذهب الذي سمي فيما بعد بالمذهب الكوفي .

ولعل المسألة النحوية المشهورة : « قد كنت أظن ان العقرب أشد لسعة من الزنبرق فإذا هو هي ، أو : فإذا هو ايّاهـا» التي أثارها الكسائي عند مناظرته سيبويه كانت متغولا فاصلا للمنهجين النحويين ، ورسمما داعيا لفترق طريقتين تسلك احداهما في تصويب وجه دون اخر طريق القياس ، وهي التي سلكها سيبويه في اصراره على وجوب الرفع ، وتسلك الثانية في تصويب الوجهين طريق السماع ، وهي التي سلكها الكسائي في التسوية بين قولهم : (فإذا هو هي) وقولهم : (فإذا هو ايّاهـا) معبرا عن ذلك بقوله : « العرب ترفع ذلك كله وتنصبه » ^(٣) .

كان لا خلاف الرجلين في المنشأ والثقافة أثر في اختلاف مذهبيهما في تناول موضوعات الدرس ، وتقديرها وتخريجها ، وبدا ذلك واضحا في هذا المقاء الذي طرحت فيه هذه المسألة للنقاش . وقد ادرك القدماء من النحاة هذا الاختلاف في وجهتي النظر ، فأخذ فريق منهم بمذهب سيبويه ، وأخذ فريق بمذهب الكسائي ، وتعصب كل فريق لمذهبه . وكانت عنانة الكسائي بالقرآن ، واعتداده بالقراءات منطلقأ للآراء التي صدرت عنه مخالفـا فيها البصريـن الذين أرجعوا القراءات إلى النحو ، وحكموا قواعدهم الموضوعة فيها .

ومن الاراء التي خالف فيها البصريـين ، صادرا فيها عن اعتقاده بالقراءات : تجويزه في السعة حذف النون من المثنـي «فيجوز عنده : قام الزيـدا بغير نون » . وقد تابـعه من المتأخـرين أبو حـيان مستـشهـدا بما سمع من قولـهم : بيـضـك ثـنـتا ، وبـيـضـيـ مـئـتا ^(٤) ، معتمـدا في تجوـيزـه هـذا قـراءـةـ بعضـهمـ : « غيرـ معـجزـيـ اللهـ» بنـصبـ (الـلـهـ) ، وـقـراءـةـ بعضـهمـ : « لـذـائقـ العـذـابـ » بنـصبـ العـذـابـ ^(٥) .

(٣) مجالـسـ العـلـماءـ ٩ . . . معـجمـ الـادـبـاءـ ١٣ / ١٨٧ ، ١٦ / ١٢٠

(٤) الـهـمـعـ ١ / ٥٠ . . .

(٥) الـهـمـعـ ١ / ٥٠ . . .

ورأيه أن يكون من معاني (لعل) : التعليل ، صدورا عن فهمه قوله تعالى « لعله يتذكر أو يخشى » ، أي : ليتذكر (آ) .

ورأيه ان يجوز توسط (اـلا) بين الفعل ومعموله ، احتجاجا بقوله تعالى : «وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألو أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون، بالبيانات والزبر» . فقد توسطت (الـا) بين (أرسلنا) وما تعلق بها ، وهو قوله تعالى : «بالبيانات والزبر» .

وذهب به الى جواز زيادة (من) في الايجاب ، احتجاجا بقوله تعالى : «يغفر لكم من ذنوبكم» ، وقوله تعالى : « ولقد جاءكم من نبأ المرسلين» (٧) .

ورأيه في جواز حذف الفاعل اذا دل عليه دليل من سياق القول ، ولعله استند في ذلك الى قوله تعالى : « ثم بدوا لهم من بعد مارأوا الآيات » ، وقوله تعالى : « او اطعام في يوم ذى مسغبة يتيمما » فيتبيها مفعول المصدر ، وفاعل المصدر محدود وقد تابعه ابن مضاء القرطبي في جواز حذف الفاعل ، فقد عرض لمسألة ما سمي بالتنازع ، وذكر آراء النحاة في الفعل الاول اذا (أعمل) الفعل الثاني . فالفراء لا يجيز خلوه من افعال لانه يرى ان الفاعل المذكور فاعل للفعلين جميعا ، والكسائي يجيزه على الحذف ، وغيره يجيزه على الاضمار . قال ابن مضاء : « واما اي الرأيين احق فرأى الكسائي » ^(٨) . وزعم السيوطي ان السهيلي من الاندلسيين كان يرى رأى الكسائي أيضا ^(٩) .

وذلك نحو : أحسن وأساء زيد ، فالفراء يرى أن (زيد) فاعل للفعلين جميعا ، والكسائي يرى أن (زيد) إذا جعل فاعلاً للأساء ، فان (احسن) خلو من الفاعل . قال البرضي : ومذهب الكسائي هو أن يحذف الفاعل من الفعل الاول اذا اعمل الثاني ، حذرا من الاصمار قبل الذكر (١٠) .

(٦) الهم / ١٣٤

٣٥ / ٢ البَعْد (٧)

(٨) الدليل النحوي ١٠٩

١٦٢ / العدد ٩

١٠) شهـ الرضـي ٧٩/١

ومن آرائه التي خالف فيها البصريين :

اجازته حذف المضاف اليه وابقا، المضاف غير منون ، احتجاجا بما حكاه عن العرب من قولتهم : « أفق تسام ألم اسفل . بانصب ، على تقدير : أفق هذا تسام ألم أسفله » (١١) .

وذهابه الى أن الفعل في مثل قولهم : لازمنك أو تقضيني حقي ، منصوب بـ (أو) نفسها ، لا بـ مضمرة بعد (أو) كما يقول البصريون (١٢) .

وذهابه الى أن (ي فعل) - يعني الفعل المضارع - انما يرتفع بحرف (أنيت) ، « فاقوم مرفوع بالهمزة ، ونقوم مرفوع بالتون ، وتقوم مرفوع بالباء ، ويقوم مرفوع بالياء » (١٣) .

وهذا قليل من كثير خالف فيه الكسائي البصريين ، وهو خالف كان لابد منه ، لأنـه انعکاس للخلاف في الاسس المذهبية ، وانـ مذهبـاً يعتمد القراءات ، ويترخص في قبول ما سُمِّي شاداً ، او نادراً ، او غير مسمـومـ ، ويـبعـدـ الاعتبارات الفلسفـيةـ عنـ التـدخلـ فيـ الـدرـسـ النـحوـيـ ، لـابـدـ أنـ يـخـالـفـ فـىـ النـتـائـجـ مـذـهـبـاـ يـرجـعـ القرـاءـاتـ إـلـىـ النـحـوـ ، وـيـترـخصـ فـيـ رـفـضـ القرـاءـاتـ أـلـتـىـ لـاتـنسـجـ مـعـ أـصـوـلـهـ الـمـوـضـوـعـةـ ، وـيـفـتـحـ بـابـ الطـعنـ عـلـىـ القرـاءـاتـ والـقـراءـاتـ، وـيـتـحـلـ فـيـ حـمـلـ الـقـرـآنـ عـلـىـ مـطـابـقـةـ القـوـاعـدـ ، وـاـكـرـاهـ النـصـ الـقـرـآنـيـ عـلـىـ قـبـولـ معـنـىـ خـاصـ وـيـحـكـمـ فـيـ أـصـوـلـ الـدـرـسـ الـلـغـوـيـ وـالـنـحـوـيـ الـاعـتـبـارـاتـ الـفـلـسـفـيـةـ إـلـىـ أـبـعـدـ حدـودـ التـحـكـيمـ ، بـحـجـةـ اـحـكـامـ اـصـوـلـ وـضـبـطـهـاـ ، وـاـسـتـوـاءـ الـمـنهـجـ وـتـخـلـيـصـهـ مـنـ الـاضـطـرـابـ .

(١١) هـمـعـ الـهـوـامـعـ ١ / ٢١٠ .

(١٢) هـمـعـ الـهـوـامـعـ ٢ / ١٠ .

(١٣) هـمـعـ الـهـوـامـعـ ١ / ١٦٥ .

اصحاب الكسائي

وتلمذ الكسائي جماعة من الدارسين في بغداد كان لهم أثر في تثبيت قواعد المذهب الجديد الذي وضع النسائي رسومه، وبرز من هؤلاء أبو زكريا الفراء الذي أكمل البناء، وهذبه، وأضاف إليه، ومنحه الحياة وملامح الشخصية المستقنة، وسأله بشيء من التفصيل بعد قليل . ومن هؤلاء :

علي بن المبارك الأحمر (توفي سنة ١٩٤ هـ)، أخذ النحو والمعاني والغريب عن الكسائي، وكان هذا هو الغالب عليه، وحکى الأزهري أنه كان « يحفظ ثلاثة ألف بيت من المعاني والشواهد » (١) . وكان الأحمر أحد الذين اشتراطوا في المناظرة التي جرت بين سيبويه والكسائي، وزعم الأزهري أن الأحمر ناظر سيبويه فأفحمه (٢) ، وكان الأحمر من جملة مصادر الأزهري في تهذيبه، وكان من الحفظ في منزلة كان الفراء معها، فيما زعم الأزهري، يأخذ عنه، وكان أول من دون عن الكسائي، كان يسأله ويكتب عنه في ألواح .

ومن آرائه التي كان يتفرد بها :

جواز الفصل بين أداة الإضافة والمخوض استنادا إلى محاكمات الكسائي من قول العرب : « اشتريته بواحد درهم » وقادس عليه الفصل بين (رب) وما تدخل عليه ، نحو : رب واللهِ رجل عالم لقيته (٣) .

(١) تهذيب اللغة ١/١٨ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) همع المهاجم ٢/٣٧ .

وذهبوا إلى أن (ما) قد يستثنى بها كلاماً ، وخرج عليه مازوي عن العرب
من قوله : « كل شيء مهم ما النساء » (؟) أي : الا النساء .

وَمَا يُنْسِبُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ : « يُقَالُ لِلْمُذَئِبِ : ذُؤَلَةٌ وَدُؤَلَةٌ اِنْشَدَةٌ ذَلَانَهُ وَذَلَانَهُ ، (٥) وَذَلَانُ وَالذَّلَانُ هُمَا : الْمَشَى السَّرِيعُ الْخَفِيفُ .

ومنهم : أبو عبد الله هشام بن معاوية الضرير (توفي سنة ٢٠٩ هـ) شهر بصحبة الكسائي ، وعنه أخذ النحو ، وكان من أخْنَق تلاميذه .

له مصنفات في النحو لم تصل اليينا ، منها : كتاب الحدود في العربية (٦) وكان ابن النديم قد رأى منه قطعة بخط أبي جعفر الطبرى (٧) ، ومنها : كتاب المختصر في النحو :

وذهب إلى أن الفاعل مرفوع بـبنونه مسندًا إليه (١٠) ، وهو رأي يدل على أن له فتئـًا نحوها صفاتـا .

وأجاز الفصل بين (ما أحسن) و (زيدا) من قوله : ما أحسن زيدا بحال فيقال : ما أحسن مقبلا زيدا (١١) وتابعه الجرمي في هذا . ومنع العطف به (بل) في الإثبات ، وكان يقول : محال ضربت عبدالله بل اياك (١٢) .

(٤) هعم المهامع / ٢٣٣

(٥) طبقات النحوين واللغويين ١٤٧ .

(٦) معجم الادباء ١٩/٢٩٢ .

(٧) الفصل ست

• ۸۹ / مقاله (۸)

٢٠٣ سمع الموضع

٩) هماع الهوامع / ١٠٠

١٥٩/١ هموم الهوامع

(١١) همع الهوامع ٩١/٢

١٣٦ / ٢) هموم الهوامع

وأثبتت العطف بكيف بعد نفي ، نحو : مامررت بزيد فكيف عمرو (١٣) .
وأجاز نصب المجموع بـألف وناء بالفتحة في المعتل خاصة ، كثيغة وثبّة ، وقد
« حكى : سمعت نعاتهم » (١٤) .

وأجاز حذف النون من المثنى لغير اضافة ، في نحو قولهم : هذا مكرمك
وهذا مكرماك ، وهؤلاء مكرمون ، وكان يرى أن التنوين والنون يحذفان للطافة
الضمير ، فاذا قيل هذا ضاربك فانضمير في موضع نصب « لأن موجب النسب
المفعولية ، وهي محققة ، وموجب الجر الإضافة ، وهي غير محققة اذ لا دليل
عليها الا حذف النون ، ولحذفها سبب آخر غير الإضافة ، وهو صون الضمير
المتصل من وقوعه منفصلا » (١٥) . وهو في هذا وغيره انما يصدر عن السماع
وعما وقف عليه من كلام العرب .

وكثيرا ما كان يقرن اسمه باسم الكسائي او باسم الفراء ، وذلك يدل على
وضوح شخصيته وأصالته .

ومنهم : القاسم بن معن (توفي سنة ١٧٥ هـ) ولد قضاء الكوفة ، وكان
يشبه بعامر بن شراحيل الشعبي في سعة حفظه ومعرفته بالحديث وانفقه والشعر
وأيام الناس ، وكان صاحب نحو ، وأنظنه صحب الانكسائي في الكوفة ، وكان
يعيى بن معين يقول : « كان القاسم بن معن نبيلا » (١٦) .

وترجم له بن قتيبة في (ولد عبدالله بن مسعود) ، لأنـه بن معـن بن
عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود ، وقال : « كان على قضاء الكوفة ، ولم ير ترق
 شيئا حتى مات ، وكان عالماً بالفقه وال الحديث والشعر وأيام الناس والنسب ،

(١٣) همع الهوامع ٢/١٣٨ .

(١٤) همع الهوامع ١/٢٢ .

(١٥) همع الهوامع ١/٥٠ .

(١٦) طبقات النحوين ١٤٦ .

وفي تحديد سنة وفاته ينظر : تهذيب التهذيب ٨/٣٣٩ .

وكان يقال له : شعبي زمانه » (١٧) . وكان الفقه والحديث والرواية واللغة أغلب عليه ، وكان محمد بن زياد الاعرابي اللغوي الرواية يأخذ عنه ، أما النحو فلا أظنه كان صاحبه ، ولم أقف له فيما وقفت عليه على رأي نحوي .

ومنهم : سلمويه النحوي الكوفي ، تلمذ للكسائي ، وأخذ عنه النحو وتصدر لتدريسه (١٨) ، ولم يذكر انزبيدي عنه شيئاً الا أنه «أخذ عن الكسائي أيضاً » (١٩) .

ومنهم : أبو طائب المكوف . كان أخذ عن الكسائي النحو ، وكان له مصنفات منها : حدود العروض ، والعوامل ، والافعال واختلاف معانيها (٢٠) ، ولم أقف له على رأي نحوي .

ومنهم : قتيبة النحوي (توفي بعد المؤتمن) . كان قد أخذ النحو عن الكسائي ، ولم أقف على رأي له في النحو ، غير أن الزبيدي حكى أن أبا عبدالله المهدى قال : « قرئ عربية فنون . فقال شبيب بن شيبة : إنما هي قرئ عربية ، غير منونة . فقال أبو عبدالله لقتيبة النحوي الجعفي الكوفي : ما تقول ؟ فقال إن كنت أردت القرى التي بانجحاز يقال لها قرئ عربية فانها لاتنصرف ، وإن كنت أردت قرئ من قرى السواد فهي تنصرف . فقال : إنما أردت التي بالنجحاز . قال : هو كما قال شبيب » (٢١) .

ومنهم : أعلام آخرون يبدو أنهم لم يكن النحو يغلب عليهم ، ولم يكن لهم في البيئات النحوية مقام ملحوظ ، وإنما كانوا رواة أدب أو شعر أو قراءة ، أو لغة . وبهؤلاء وغيرهم استطاع الدرس البغدادي الكوفي أن يثبت أقدامه ، ويقف منافساً قوياً للدرس البصري ، ويطبع الدارسين في بغداد بطبعه .

(١٧) المعارف ١٠٩ .

(١٨) انباه الرواة ٦٤/٢ .

(١٩) طبقات النحويين واللغويين ١٤٨ .

(٢٠) طبقات النحويين واللغويين ١٤٧ .

(٢١) طبقات النحويين واللغويين ١٤٩ .

المُفْرِّاء

أبو ذكريٰ يعيش بن ذياد (توفي سنة ٢٠٧ هـ)

نشأ في الكوفة ، وتعلم مبادئ العربية فيها ، وألم بالقراءات بأخذه عن القراء ، وشافه الفصحاء من علماء الbadia الذين كان علماء المصريين يعتمدون عليهم ، ويأخذون عنهم .

والدارسون يعرفون أن الكوفة بلد القراءة وال الحديث ، ورواية الأخبار والشعر والأدب ، وأو نلقراءة في الكوفة مقاماً خاصاً ، لأن الكوفة منزل الصحابة والتبعين ، وكان مسجدها الجامع قد شهد حلقات القراءة منذ تنصيرها . وكان أبو عبد الرحمن السعدي في مقدمة الذين أقرءوا القرآن ، وكان قد قعد للاقراء قرابة أربعين عاماً ، وكان زر بن جيش يعاصره ، ويعني بالقراءة وروايتها ، وكانوا يرويان القراءة عن علي وعثمان وابن مسعود وغيرهم ، واليهما يرجع القراء في الكوفة ، وقراءة عاصم بن أبي النجود ، وحمزة بن حبيب الزيارات ، وعلي بن حمزة الكسائي إنما ترجع إليها .

في هذه البيئة نشأ القراء ، وأقبل على القراءة ، كما كان يقبل عليهما الدارسون في الكوفة ، وقد توافرت لديه السبيل التي تنفعه على القراءات المختلفة ، واستطاع بحذقه أن يبلغ باطراف هذه الثقافة ، وأن يكون في مقدمة العلماء الذين تفقهوا في القرآن وقراءاته المختلفة .

وشعر أبو ذكريٰ كما شعر غيره بالحاجة إلى تعليم العربية لأنها السبيل إلى فهم القرآن وقراءاته ، فتعلم مبادئها على جماعة منهم : أبو جعفر الرواسي ، وكأن أبو الحسن الكسائي قبله قد أخذ عنه أيضاً ، غير أن الكسائي لم يجد في علم أبي جعفر شيئاً ، فانقطع عنه ، وارتاح إلى البصرة ، ولقى فيها شيخ العربية أبا عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ولازم مجلسه ، واستكثر عنه ،

وبعد أعوام قضتها في الاخذ عن الاعرب في بواديهم ، يشافههم ، ويسمع منهم ، حتى اذا عاد الى البصرة وجد الخليل قد مات ، ثم عاد الى الكوفة ، ولكنه لم يلبث أن حمل الى بغداد ليؤدب أولاد الخليفة ، واتخذ من بغداد مستقراً و مقاماً .

وكان خروج الكسائي الى البصرة ، ثم مقامه في بغداد ، وانقطاعه عن أبي جعفر ثار جفوة بين الرجلين ، لهذا حسن أبو جعفر للفراء أن يذهب الى بغداد ، وقال له : « قد خرج الكسائي الى بغداد ، وأنت أميز منه » (١) .

ويبدو من فحوى هذا الخبر الذي رواه أبو البركات الانباري أن جفوة كانت بين أبي جعفر والكسائي ، وأن هذه الجفوة هي التي دفعت الرواسي إلى أن يحسن للفراء الخروج الى بغداد ليكون منافساً للكسائي هناك .

وخرج الفراء الى بغداد ، واتصل بالكسائي ، وجرت بينهما مسائل من مسائل الرواسي ، فأجابه باجابات أنكرها الفراء ، ثم أقنعه الكسائي بعد أن أتى على مسائل الرواسي مسألة مسألة فخطأها بما سمع من العرب ، فأعجب به الفراء ، ولزمه ورأى فيه مالم ير في الرواسي وأخذ عنه ، وانقطع عن أبي جعفر ، وصار الفراء من أنه أصحاب الكسائي ، وانتهت الرئاسة في النحو اليه بعد الكسائي ، وكان الكسائي يختصه برعايته ، ويكبر فيه عقله وذكاءه ، وسئل الكسائي يوماً عن رأيه في الفراء وعلي بن المبارك الاحمر فقال : « أكر حفظاً والفراء أحسن عقلاً ، وأبعد فكراً ، وأعلم بما يخرج من رأسه » (٢) .

ونعم يكن الفراء ليجهل ما كان الدارسون يخوضون فيه في الكوفة والبصرة وكان فيه ما في الدارسين النابحين من طموح الى الوقوف على ما كان في البصرة ، والأخذ عن أعلام الدرس فيها ، ولقي سيبويه في البصرة فلم ير فيه ضالتـه ،

(١) نزهة الالباء ٦٥ .

(٢) نزهة الالباء ٦٣٥ .

وأتصل بيونس بن حبيب ، وأخذ عنه ، كما يدل عليه حكايته عنه في (معانى القرآن) ، ونم يلق الخليل ، لأن الخليل كان قد مات قبل ذهابه إلى البصرة ، ولكنه وقف على آراء الخليل ، وتلمذ له بوقوفه على الكتاب .

ولا يغض من مكانة الفراء أن يقف على ماوصل إليه العلم عند البصريين ، وأن يأخذ عنهم ، ولا يعني أخذه عنهم متابعتهم أو تقليدتهم ، وليس في أقوال الرجل ، ولا في أعماله العلمية ، ولا في طريقة تناوله موضوعات الدرس ما يدل على أنه كان يتبع البصريين ، فقد كان يسئل في دراسته سبيلاً أخرى ، كان منظيقه فيها ما كان أفاده من ثقافته الأولى في الكوفة ، ومن تلمذته للكسائي ، وانتهاجه نهجه في تناوله موضوعات النحو واللغة بالدرس ، لذلك كان معنياً بالرواية ، ومقدماً السماع على القياس ، وقد امتنجت في دراسته موضوعات القراءة بموضوعات النحو ، وتلاقت مسائهما ، وتشابكت أصولهما ، حتى صار يضبط القراءات بالعربية ، ويحكم القراءة في أصوله النحوية ، وكان كتابه (معانى القرآن) حقل التجربة على حد التعبير الحديث .

وكانت الذخيرة الضخمة التي آلت إليه من مرويات ومسنونات وقراءات ، والموهبة الفذة ، والفكر المبدع ، قد صنعت من الفراء دارساً من طراز خاص ، وأعدته ليكون باني مذهب ، وراسم اتجاه .

وكان بينه وبين معاصريه مثل ما كان بين الخليل ومعاصريه أصلالة وابتكاراً واستيعاباً لثقافات عصره يشهد بذلك اعجاب أبي بشر ثمامنة بن الاشرس به ، فقد حكي عنه أنه قال : « فاتشتته - يعني الفراء - عن اللغة فوجدته بحراً ، وعن الفقه فوجدته فقيها عارفاً باختلاف القوم ، وفي النجوم ماهراً ، وبالطب خبيراً ، وب أيام العرب وأشعارها حاذقاً » (٣) .

وكان الفراء أحد الذين كان الكوفيون يكثرون بهم ، ويقولون : « لنا ثلاثة فقهاء ، في نسق لم ير الناس مثلهم ، أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد بن

(٣) نزهة الالباء ١٣٢ ، ١٣٣ .

الحسن ، ولنا ثلاثة نحوين كذلك ، وهم : أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي وأبو ذكرياء يحيى بن زياد الفراء ، وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب »

وكان أبو العباس ثعلب يقول : « لو لا الفراء لما كانت اللغة ، لانه حصلها وضبطها ، ولو الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع ويدعوها كل من اراد ، ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب » (٥) .

وكان أبو بكر بن الانباري يقول : « لو لم يكن لاهل بغداد والكوفة من علماء العربية الا الكسائي والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس اذ انتهت العلوم اليهما » (٦) .

وهذا ، مع ما فيه من غلو ، يشير الى اعجاب الدارسين به ، ويدل على ما كان للفراء من مكانة في نفوس الدارسين ، وكان له في الوقت نفسه رد فعل عنيف عند البصريين ، تمثل في حملات تهجّمات تنم على عصبية زائدة على الكوفيين عامة ، وعلى الفراء خاصة ، ولكنها حملات لم تغض من شأنه ، ولا قلل من اعجاب الدارسين به ، لأنها لم تعد أن تكون مزاعم ، ولم تتجاوز حدود الكلام .

وليس كثيرا على الفراء أن يكون موضع الاعجاب والتقدير ، فهو هو الذي عرفه الدارسون نموذجا عانيا علماء وفقاها وحديثا ورواية ، وحفظها ، وقد أمل كتبه ، ومنها معاني القرآن من الذاكرة ، وفي (معاني القرآن) خاصة من الرواية والحديث القراءة ما لا يسعه إلا ذهن حافظ ، وعقل مستوعب ضابط .

ولم أقف ، في حدود ما أعلم ، على مسألة جرت بينه وبين أحد معاصريه ، ولا على رد لرأي من آرائه رد به عليه أحد من البصريين الذين عاصروه ، اللهم

(٤) معجم الادباء ١٤٣ / ٥ .

(٥) نزهة الالباء ١٢٧ .

(٦) نزهة الالباء ١٣٤ .

الا بعض الروايات التي تتحدث عن لقاءات كانت تجري بين الفراء وبعض البصريين ، وكانت تنتهي بالاعجاب به .

فقد اجتمع به أبو عمر الجرمي ، وسئل عن مسائل ، فأجابه عنها ، وعرفه الالزامات فيها ، ونهض أبو عمر من مجلسه ، وهو يقول لابي محمد سلمة بن عاصم الذي جمعه بالفراء : « يا أبا محمد : ما هذا الا شيطان ، يكرر ذلك ثلثا » (٧) .

وذكر الزجاجي في مجلسه مجلسين للفراء ، أحدهما مع الاصمعي ، والثاني مع أبي توبة بن دراج .

اما مجلس الاصمعي معه فقد بدأ بسؤال الاصمعي ، وانتهى بجواب للفراء أقنعه ، وقول الاصمعي له : « أنت أعلم الناس » (٨) .
واما مجلس بن دراج معه فلم يكن مجلس مناظرة ، ولكنه كان مجلس افاده ، كان ابن دراج يسأل الفراء ، وكان الفراء يجيبه عن سؤاله ثم كان يستزيد ، فيواصل الفراء كلامه ، وينتهي المجلس على مثل هذا (٩) .

كان الفراء قد أعد نفسه لاتمام العمل الذي بدأه الكسائي الذي رأى الفراء فيه طرازا خاصا جديدا ، وكان المذهب الجديد الذي رسمه الكسائي قد لقي في نفسه قبولا ، لانه كان كالكسائي قد ألم بالقراءة ، وتمثل في نفسه نهج القراء والمحدثين ، النهج الذي كان يقوم على اساس من الاعتماد على النقل والاعتداد بالسماع ، وكان له من هذا ، ومما استوعبه من مذهب أستاذه فيي الدرس هذه الاصالة الكوفية في دراسته .

ولم يكن الفراء ليتبع بما أخذ عن البصريين ، أو بما وقف عليه من آرائهم ، ولا بما أخذه عن الكسائي ، ولكنه كان يشارك الدارسين فيما كانوا

(٧) نزهة الالباء ١٣٦ .

(٨) مجالس العلماء ١٧٨ .

(٩) مجالس العلماء ١٨٤ .

يخوضون فيه ، فقد كان مقرنا ، وكان له قراءة خاصة به رواها تلاميذه فـي القراءة ، هارون بن عبدالله ، ومحمد بن عبدالله بن مالك وغيرهم (١٠) ، وكان يأخذ عن علماء الbadية ، ويضافه الاعراب ، ويسمى من العرب ، ويروي ، ويحدث ، وفي كتابه (معانى القرآن) خاصة أمثلة لكثير من روایاته الخاصة في القراءة ، وطرقه الخاصة في الحديث ، وسماعه من الاعراب ، ومشافهته للفصحاء .

فمن روایاته في القراءة :

قوله : « حدثني شريك بن عبدالله عن الاعمش عن ابراهيم أنه خفض الارحام ، يعني الارحام في قوله تعالى : « تسألون به والارحام » (١١) .
وقوله : « وحدثني أبو بكر بن عياش عن الكلبي عن أبي صابح عن ابن عباس أنه قرأ (المعذرون) بالتخفيض في قوله تعالى : « وجاء المعذرون » (١٢) .
وقوله : « حدثنا محمد بن عبدالعزيز التميمي عن مغيرة عن مجاهد أنه قرأ : (تبلو) بالباء (١٣) .

وقوله : « حدثني قيس عن أبي اسحاق عن عبد الرحمن بن الاسود بن يزيد النخعي عن أبيه أنه كان لا يجري (ثمود) في شيء من القرآن » .
ومثل هذا كثير .

ومن سماعه من الاعراب :

قوله : « أنسدني بعض العرب » (١٥) .

-
- (١٠) أبو زكريا الفراء ١٣٩ .
 - (١١) معانى القرآن ١/٢٥٢ .
 - (١٢) معانى القرآن ١/٤٤٨ .
 - (١٣) معانى القرآن ١/٤٦٣ .
 - (١٤) معانى القرآن ٢/٢٠ .
 - (١٥) معانى القرآن ١/٤٤ .

وقوله : « سمعت بعض العرب يقول » (١٦) .

وقوله : « أنسدني بعض بنى أسد » (١٧) .

وقوله « أنسدني أبو الجراح العقيلي » (١٨) . وقد ذكر ابن النديم أبا الجراح العقيلي في فصحاء العرب المشهورين الذين سمع العلماء منهم (١٩) .

وقوله : « سمعتها من أبي فقعن الاسدي وأبي الهيثم العقيلي » (٢٠) .

وقوله : « وانشدني العكلي أبو ثروان » (٢١) .

وقوله : « وقال لي بعض بنى سليم » (٢٢) .

وقوله : « وسمعت أنا (موضع) بالفتح » (٢٣) .

وقوله : « قد سمعت ذلك من العرب » (٢٤) .

وقوله : « وسمعت أبا السفاح السلوبي يقول : هذا أبو صعرور قد جاء ، فلم يجر (٢٥) ، لانه ليس من عادتهم في التسمية » (٢٦) . ومثل هذا كثير أيضا .

ان هذه الحصيلة الضخمة التي توافرت للفراء ، والتي عززت بعقل مبتكر ، وذكاء ناقد كانت قد هيأت الفراء ليكون دارسا له رأيه ، وله تفسيره ، وإذا

(١٦) معانى القرآن ١/٥١ .

(١٧) معانى القرآن ١/٦٨ .

(١٨) معانى القرآن ١/٤٢٧ .

(١٩) فهرست بن النديم ٧٠ .

(٢٠) معانى القرآن ٢/٣٤ .

(٢١) معانى القرآن ٢/٣٧ .

(٢٢) معانى القرآن ٢/٣٩ .

(٢٣) معانى القرآن ٢/١٥٠ .

(٢٤) معانى القرآن ٢/٣٧٣ .

(٢٥) أى : لم ينون .

(٢٦) معانى القرآن ٢/٢٩٠ .

وازنًا بين سبويه الذي انتهت إليه الرئاسة في النحو الكوفي البغدادي رأينا الفراء يتتجاوز الحد الذي وقف عنده سبويه إلى حد أبعد كان فيه مبتكرًا وموجها ، وصاحب رأي واجتهاد ، تؤيده تلك الموارد الضخمة من القراءات والسموعات ، وكان له من ذلك مادة خصبة لدرس نحوي خصب ، وتهيأ له بعد أن توافر لديه كل ذلك أن يعيد النظر فيما وصل إليه النحو البصري من نتائج .

وإذا اختلفت أصول الدرس عنده ، وتفاوت المنهج الذي سلكه البصريون كان لا بد أن تختلف النتائج ، وقد اختلفت فعلا ، فإذا بالقواعد الجديدة تتفاوت مع القواعد البصرية القديمة ، وإذا بالنحو في بغداد يعيد النظر في المنهج والأصول والمسائل ، فلم يعد للمقياس عنده ما كان له عند البصريين من مكانة في الدرس ، ولم يعد للعامل عنده اعتبار ، ولم يكن للمصطلاحات البصرية التي تقوم على أساس الاعتبارات العقلية ، مفهوم في الدرس الجديد ، وإذا بالنحو في بغداد يعيد النظر في تقسيم الكلمة ، فهي : فعل واسم وأداة ، وفي تقسيم الفعل فهو : ماض ومستقبل دائم ، وفي فكرة العامل فلم يعد للعامل ذلك السلطان الذي كان له في النحو البصري .

فالفاعل عند الكوفيين البغداديين قد يتقدم على فعله ، ويظل فاعلا (٢٧) .
والفاعل قد يتأخر عن فعلين ويكون فاعلا للفعلين جمیعا في نحو قولهم :
أكل وشرب خالد .

والمبتدأ والخبر متراجعان إذا كان الخبر هو المبتدأ ، ولم يبالوا بما أخذ البصريون به أنفسهم من منع العامل ما للصلة من قوة ، ومن أن سبيل العامل

(٢٧) همع الهوامع ١٥٩/١ . شرح الاشموني ٣٤/٢ .

« أَن يُقدَّر قَبْلِ الْمَعْوَلِ ، وَأَن القُولَ بِتَرَافِعِهِمَا مَحَالٌ » (٢٨) .
والظرف والجرور في قولهم : زيد أمامك ، وعمرو في الدار ، هما الخبر
لا ما تعلقا به كما قال البصريون .

وأعاد النظر في المصطلحات التي سبق للبصريين أن استخدموها ، فتوصل
إلى مصطلحات أخرى بازائتها رآها أوضح دلالة على المقصود ، وأقرب إلى
طبيعة الدرس .

كالنسق بازاء العطف بالحرف .
وكالصلة (صلة الموصول) بازاء الحشو .
وكالعماد بازاء ضمير الفصل .
وكالجحد بازاء النفي . والاقرار بازاء الاثبات .
وكالتبيين بازاء البديل .
وكالاداة بازاء الحرف .
وال محل بازاء الظرف .
والمعنى بازاء الضمير .
وال فعل الدائم بازاء اسم الفاعل واسم المفعول .
الفعل بازاء المصدر .

ويجري ولا يجري بازاء ينصرف ولا ينصرف ، أي : ينون ولا ينون .
والمردود بازاء المعطوف .

والخلاف ، والصرف ، والتقرير ، وليس لها ما يقابلها عند البصريين .
إلى غير ذلك من المصطلحات التي شاعت في المدرس النحوي في بغداد
بعد أن استقل منهاجاً وموضوعاً . ولم يأخذ الفراء بهذه المصطلحات رغبة في

(٢٨) الانصاف في مسائل الخلاف - المسألة الخامسة .

المختلفة أو المعارضة كما زعم بعض المتعصبين على الفراء (٢٩) ، ولكنه كان في ذلك دارسا واعيا يعرف ما يأخذ وما يترك ، ودارسا من طراز جديد خرج على حدود التقليد الذي اتسمت به الدراسة البصرية ، وقد كبر ذلك على البصريين ، وكان مثار تعصب حاقد ، وقد تصدى المتعصبون له بالحملات التي تنم على جمود الفكر وقصور الهمة ، وقال قائلهم (٣٠) ، حين ذُكرَ الفراء وأصحابه عنده : « أهل بغداد حشو عسکر الخليفة ، لم يكن بها من يوثق به في كلام العرب ، ولا من يرتضى روايته ، فان ادعى أحد منهم شيئا رأيته مخلطاً صاحب تعطيل وكثرة كلام ومكابرة ، ولا يفصل بين علماء البصرة بالنحو وبين الرواسي والكسائي ، ولا بين قراءة أهل الحرمين وقراءة حمزة ، ويتحفظ أحدهم مسائل من النحو بلا عمل ولا تفسير ، فيكثر كلامه عند من يختلف اليه ، وإنما هم أحدهم اذا سبق الى العلم أن يسيّر اسمها يخترعه نينسب اليه ، فيسمى الجر خفضا ، وانظر صفة ، ويسمون حروف الجر حروف الصفات ، والعطف النسق و (مفاعلين في العروض : (فعولان) ، ونحو هذا من التخليط) (٣١) .

وليس فيما جاء هنا غير دعاوى مرسلة ، تنضح حقدا وعصبية ، وتنم على جمود وجدب بما سمة هؤلاء المدعين المقلدين الذين لم يروا أن في الامكان أن يأتي الزمان بأحسن مما كان .

وقد وقع صاحب هذه المقالة في خطأ وتخليط :

فقد نهى على البغداديين أنهم لا يفصلون بين قراءة أهل الحرمين وقراءة حمزة ، وكان على خطأ لأنهم هم أهل القراءة ومنهم الكسائي أحد القراء السبعة . والفراء الذي كان له قراءة خاصة به .

(٢٩) أبو زكريا الفراء ٤٤١ . مراتب النحوين ١٠٢ ، ١٠١ .

(٣٠) القائل هو : أبو حاتم السجستانى .

(٣١) مراتب النحوين ١٠١ ، ١٠٢ .

وعاب عليهم أنهم يحفظون مسائل النحو بلا علل ولا تفسير ، ولم يدرك
أن ماعا به عليهم ليس بعيب .

وتعامل عليهم لأنهم كانوا يسمون الجر خفضا ، فدلل على أنه كان يصدر
عن مرة محترقة ، وعلى أنه كان يجهل أن (الخفض) ليس من أوضاعهم ، ولا
مبتكرا لهم ، لانه من اوضاع الخليل (٣٢) .

كان الفراء ، بالرغم من هذا التحامل ، من أخذق الدارسين بعد الخليل ،
وكان من اتساع الذهن أن ألم بثقافات عصره ، كما شهد له أحد كبار النظار
وهو ثمامنة بن الاشرس في الخبر الذي أورده قبل هذا ، وقد كان الدارسون
يعجبون به ، ولم يستطع المتعصبون عليه أن ينالوا منه أو يضعفوا من مكانته
في نفوس الدارسين .

وكان له تأثير في تطوير الدرس ، وزجيجه وجهة لغوية ، وآلت إليه
الرئاسة فيه بعد وفاة الكسائي عام ١٨٩ هـ ، وجاس للقراء ، وتصدر مجالس
الدرس ، واجتمع للاخذ عنه خلق كثير .

وقد روى علمه بانقرآن محمد بن الجهم السمرّي (٣٣) ، وروى علمه باللغة
والنحو أبو عبدالله الطوال الذي وصفه أبو العباس ثعلب بأنه كان حاذقا في
العربية (٣٤) وأبو محمد سلمة بن عاصم الذي كان مختصا بالفراء ملازما اياته
متعصباً للكوفيين ، «علي ورع كان فيه شديد ، وتأله عظيم» (٣٥) .

والى سلمة بن عاصم آل كتاب الفراء في الحدود ، وعنده أخذه أبو العباس
ثعلب كما أخذ عنه سائر كتب الفراء ، ولم يصل اليانا كتاب الحدود في النحو ،
ولتكن ابن النديم كان قد وقف على نسخة منه بخط سلمة بن عاصم ، وذكر لنا

(٣٢) مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٣٠ .

(٣٣) معانى القرآن . ص ١ .

(٣٤) فهرست ابن النديم ص ١٠١ .

(٣٥) مراتب النحوين ص ٩٤ .

ما كان يحتويه من حدود ، وأولها : حد الاعراب في أصول العربية ، وآخرها : حد ما يجري وما لا يجري ، وكانت عدة الحدود التي ذكرها ابن النديم خمسة وأربعين حدا (٣٦) .

ومهما من أمر عدة الحدود فكتاب الحدود كتاب في إنحو ، ولكننا لا نعرف تفصيل ما تضمنه من آراء ، لأن الكتاب لم يصل إلينا ولا أظن أن المراد بالحد في هذا الكتاب ما يعنيه المناطقة بهذا المصطلح ، فالحد عند المناطقة هو بيان الماهية أو الحقيقة ، وهو التعريف الجامع المانع ، وهو الذي يتتألف من الجنس والفصل كقولهم في حد الإنسان : (حيوان ناطق) فالحيوان جنس ، والناطق فصل ، لأن هذا المعنى ، في أكبر الظن ، لم يعرف في بيئات المدرس في عهد الفراء بمعاصريه . ولعل المراد بالحد في كتاب الحدود ما كان يريده الكسائي منه ، فقد سئل الكسائي عن حد الفاعل ، وحد المفعول ، فقال : « حد الفاعل : الرفع أبدا ، وحد المفعول به : النصب أبدا » (٣٧) أو ما كان يريده الفراء نفسه بقوله : « مات الكسائي وهو لا يحسن حد (نعم وبئس) ، ولا حد (ان) المفتوحة ، ولا حد الحكاية .. ولن يكن الخليل يحسن النداء ، ولا كان سيبويه يدرى حد التعجب » (٣٨) .

ولعل ماجاء في الهمج يسلط بعض الضوء على ما كان الفراء يعنيه من الحد ، فقد جاء فيه : « وألحق الفراء بها (يعني بكلان وأخواتها) : أسرح وأفجر ، وأظهر» (٣٩) ، يريده بأسحر : وجد في السحر ، وبأفجر وجد في الفجر ، وبأظهر : وجد في الظهر ، كما كان (أصحي) يعني : وجد في الضحى ، و (أمسى) : وجد في المساء . وليس هذا بالحد في معناه المنطقي المعروف .

(٣٦) فهرست ابن النديم ص ١٠٠ .

(٣٧) معجم الادباء ١٣/١٩٥ .

(٣٨) معجم الادباء ١٣/١٨٥ .

(٣٩) همع الهوامع ١١٢/١ ، ١١٣ .

وكان الفراء اذا جلس للاملاء في النحو والتفسير اجتمع اليه من الدارسين خلق كثير ، وكان يوم تصدى لاملاء (معانى القرآن) هریع الدارسون الى مجلسه حتى عسر تعدادهم ، وحتى كان عدد المستملين من القضاة فقط ثمانين قاضيا (٤٠) وللفراء من الآراء ما احتل مكانه في أذهان الدارسين ، وتردد على ألسنتهم وشاع حتى في الدرس البصري ، حتى كان وكأنه منه ، فمن ذلك : رأيه في رفع (يُفعل) بأنه يرفع لتجدره من الناصب والجازم ، وأخذ أتباع البصريين يرددونه في تعليم رفع (يُفعل = الفعل المضارع) ، ولم يعد التعليم البصريين رفعه بوقوعه موقع الاسم أثر في كتاباتهم أو محاوراتهم (٤١) . وله آراء بارزة في النحو البغدادي الكوفي :

كالنصب على الخلاف ، أو على الصرف ، كنصب الاسم الواقع بعد الواو المعية نحو : سار خالد وشاطئ النهر ، ونصب الخبر ظرفا نحو : خالد أمامك ، وعمرو خلفك، ونصب (يُفعل) بعد الواو نحو: «لاتَقْتَلْعَنْ ذَنَبَ الْأَفْعَى وَتَرَكَهَا» ، او بعد الفاء ، نحو : «لاتَكْسِلْ فَتَذْجِحَ» ، وكان الفراء قد طبقه على عدة آيات ، فاذ عرض لتفسير قوله تعالى : « لم تلبسون الحق بالباطل ، وتكتمون الحق » قال : « لو أنك قلت في الكلام : لم تقوم وتقعد يارجل على الصرف لجاز ، فلو نصب (وتكتموا) كان صوابا » (٤٢) .

وفسر الصرف بقوله : « أن تأتي بالواو معطوفة على كلام في أوله حادثة لا تستقيم اعادتها على ما عطف عليها ، فإذا كان كذلك فهو الصرف ، كقول الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك ، اذا فعلت ، عظيم
ألا ترى أنه لايجوز اعادة (لا) في (تأتي مثله) فلذلك سمي صرفا ، اذ كان

(٤٠) تاريخ بغداد ١٤/١٥٠ .

(٤١) شرح الرضى على الكافية ٢/٢٣١ .

(٤٢) معانى القرآن ١/٢٢١ .

معطوفا ، و لم يستقم أن يعاد فيه انحادث الذي قبله » (٤٣) .

وجوز الفراء الجزم على العطف ، و انتصب على المصرف في قوله تعالى : « ولا تلبسو الحق بالباطل و تكتموا الحق» ، و فونه تعالى : « ولا تكونوا أول كافر به ، و تشتروا بآياتي ثمنا قيما » ، زتونه تعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، و تدروا بها إلى الحكم » ، و فونه تعالى : « لاتخونوا الله والرسول و تخونوا أماناتكم » (٤٤) .

وكالرفع بعد (لولا) ، فقد رأى الفراء - و مسار رأيا كوفييا ببغداديا - أن (لولا) هي الرافعة ، فقد قال في تفسير قوله تعالى من سورة الفتح : « ولو لا رجال مؤمنون و نساء مؤمنات » : « رفعهم بـ لولا » ثم قال : أن تطئوهم ، فإن في موضع رفع بـ لولا » (٤٥) .

وقال الرضي : « قال إنفراء : لولا هي الرافعة للاسم الذي بعدها ، لاختصاصها بالاسماء » (٤٦) .

وحين نعرض لنحو الكوفة أو بغداد ، ومنهنج الدارسين البغداديين في دراستهم النحو نكون قد أوفينا لكلام في آراء إنفراء ، لأن النحو البغدادي الكوفي إنما هو نحو الفراء .

وربما نسبوا إلى الفراء من الأقوال مالم يقله ، ومن الآراء مالم يره ، و كأنهم يتعمدون ذلك ليجعلوا منها مسألة خلافية يتبارون في الاحتجاج عليها ، وربما أجروا ذلك على لسان أبي العباس ثعاب لينظلي ذلك على الدارسين لعلمهم بشدة لزوم ثعلب لرأء الفراء . فقد نسب الزجاجي القول باسمية (نعم وبئس) إلى

(٤٣) معانى القرآن ١/٣٤ .

(٤٤) معانى القرآن ١/٣٣ .

(٤٥) معانى الفراء (ورقة ٦٠) .

(٤٦) شرح الرضي على الكافية ١/١٠٤ .

الفراء نقلًا عن ثعلب في مجلسه مع الرياشي (٤٧) ، وردده النحاة المتأخرون ،
وكأنه أمر مسلم به ٠

ونسب أبو ابركات الانباري القول باسميتها إلى الكوفيين عامه ، وجعل
مسئلة (نعم وبئس) أحدى مسائل الخلاف ، وهي المسالة الرابعة عشرة من
مسائل (الانصاف) ٠

غير أن الذي يقف على أقوال الفراء يستغرب أن يسير التمويه أو التدليس
أو الخطأ ، ويشيع حتى لكان ذلك حقيقة واقعة ٠ لقد عرض لنعم وبئس في أكثر
من موضع من كتابه (معاني القرآن) ، ولم يكن في كلامه ما يشير إلى أنهما اسمان ٠

قال الفراء في تفسير قوله تعالى : « فسأء قرينا » : « ويجوز ألا تذكر
الرجلين، فتقول: بئسا رجلين ، وبئس رجلين ، ولنقوم نعم قوما، وننعموا قوما و كذلك
من المؤنث ، وإنما وحدوا الفعل ، وقد جاء بعد الأسماء ، لأن (بئس ونعم) دلالة
على مدح أو ذم ، لم يرد منها مذهب الفعل مثل قاما وقعدا» (٤٨) ٠

وقال في تفسير قوله تعالى : « وبئس القرار » ، وقوله تعالى : « بئس
للظالمين بدلًا » : « والعرب توحد نعم وبئس وإن كانتا بعد الأسماء ، فيقولون
أما قومك فنعموا قوما ، ونعم قوما ، وكذلك (بئس) ٠ وإنما جاز توحيدهما ،
لأنهما ليستا بفعل يلتمس معناه إنما أدخلوهما لتدوا على المدح والذم ، ألا ترى
أن لفظهما لفظ (فعل) وليس معناهما كذلك » (٤٩) ٠

فلم يشر الفراء فيما نقلنا له من آراء وأقوال إلى أن (نعم وبئس) اسمان ،
وان الذي يفهم من هذه الأقوال أن الفراء كان يرى أنهما فعلان جامدان ،
 وأنهما لم يرد بهما إلى معنى الفعل ، لأنهما خلصا للمدح والذم ، وليس معنى هذا
أنهما اسمان ٠

(٤٧) مجالس العلماء ٥٩ ٠

(٤٨) معاني القرآن ١/٢٦٨ ٠

(٤٩) معاني القرآن ٢/١٤١ ٠

على أنه كان يرى أنهم ينصبان ويرفعان ، وذلِّقُهُمَا تاء التأنيث الساكنة ،
وألف الاثنين وواو الجمع كسائر الأفعال ، فقد قال في تفسير قوله تعالى :
فسيء قرينا» : « بمنزلة قولك : نعم رجلا ، وبئس رجلا . وكذلك : « ساءت
مصيرًا » و « كبر مقتا » ، وبناء نعم وبئس ونحوهما أن ينصبها ما ولهم من النكرات ،
وأن يرفعها ما يليهم من معرفة غير مؤقتة ^(٥٠) ، وما أضيف إلى تلك المعرفة ، وما
أضيف إلى نكرة كان فيه الرفع والنصب ^(٥١) .

ومهما يكن من أمر فان الرجل كان من علو المنزلة في العلم ما جعل خصوصه
يتحامون لقاءه ونظراته ، ويلوذون بالتعصب عليه ، فلم يضره ذلك ، ولم يمس
مكانته بسوء ، وارتدى التعصب والتحامل إلى صدور خصوصه لتزداد حسراً واتقاداً .

(٥٠) يريد بالمعرفة غير المؤقتة ما كان معرفة بـأى . أو الأسماء الموصولة .

(٥١) معانى القرآن ١/٢٦٧ .

اصحاح الفراء

وتلمند للفراء كثير من الدارسين كانوا يحضرون مجالس الاملاء ، ويلازمونه ، ويستكثرون عنه ، وبرز من تلاميذه اعلام حملوا الامانة وشاركوا في تثبيت قواعد المذهب . وكان من أشهرهم :

أبو محمد سلمة بن عاصم (توفي بعد سنة ٢٧٠ هـ) . تلميذ الفراء ، وحامل علمه ، وراوى كتبه . روى كتاب معاني القرآن ، وكتاب الحدود في النحو وكان ثعلب أخذ معاني الفراء وحدوده عن سلمة ، وكان يقول : «كان سلمة حافظاً لتأدية ما في الكتب» (١)

لم يكن سلمة بن عاصم يحضر مجلس الفراء يوم املاء المعاني ، وكان يأخذ منه كان يحضره ، وربما فاتش الفراء فيما كان يراه سهوا فيه . أما كتاب الحدود فقد أخذه عن الفراء اذ كان الفراء صنفه . وكتاب الحدود كتاب في النحو الخالص ، والحدود فيه ستون حدا ، ولكن ابن النديم عرض لها ، وعدتها عنده خمسة وأربعون حدا (٢) ، واثبت هذه الحدود عن نسخة بخط سلمة أولها : حد الاعراب في أصول العربية ، وآخرها : حد ما يجري وما لا يجري (٣) . فain ذهبت الخمسة عشر حدا وهي فرق مابين عدة ابن النديم وعدة غيره ؟

نعلم مرد هذا الاختلاف في ان عدد هو من فعل النسخ ، وميل بعضهم الى الالتجاز بدمج أكثر من حد في حد واحد ، كما استقر الالتجاز الانصاري (٤) أو ميل بعضهم الى التفصيل بفك الحدود التي تنظم أكثر من موضوع واحد مثل (حد من ورَبَّ) و (حد الذي ومنْ وما) و (حد إِذْ وادَّ وادِنْ) كما استقر ،

(١) طبقات النحوين واللغويين ١٥٠ .

(٢) طبقات النحوين واللغويين ١٥٠ . انباه الرواة ٥٧/٢ . نزهة الاباء ٢٠٤ .

(٣) فهرست ابن النديم ١٠٠ .

(٤) أبو زكريا الفراء ١٨٣ .

لأن رواية ابن النديم أولى بالاعتبار ، لأنه ذكر الحدود حداً ، ولأنه نقلها من نسخة وقف عليها بخط سلمة بن عاصم نفسه .

على أن الندرس لا يكاد يقف على رأى سلمة في كتب النحو ، وقد يكون الامر كما فطن أبو العباس ثعلب حين قال : « كان سلمة حافظا لتأدية ما في الكتب » ، فكان سلمة بن عاصم حافظا ضابطا ثقة ، يؤدي ما في الكتب ولا يشارك برأيه فيما يؤديه .

• وأبو عبدالله الطوال محمد بن أحمد بن عبدالله (توفي سنة ٢٤٣ هـ) .
كان من جلة أصحاب الفراء ، كما ذكر انقطعي (٥) وغيره ، وكان أحد الثلاثة المشاهير من أصحاب الفراء الذين ذكرهم ثعلب فيما نقل عنه ، ولم يشتهر للطوال تصنيف ، غير أن كتب النحو تناقلت بعض آرائه ، ومن آرائه :
أنه أجاز تقديم الفاعل الذي اتصل به ضمير المفعول ، نحو : (ضرب
غلامه زيدا) في اختيار الكلام (٦) ، لوروده في النظم كثيرا ، كقول الشاعر :

جزي ربه عنى عدي بن حاتم
جزاء الكلاب العاويات وقد فعل
يقول الشاعر :

جزي بنوه أبا الغيلان عن كبير وحسن فعل كما يُجزي سنمثار وذهب إلى أن اللام في نحو قولهم : ان زيداً لشاعر « جواب قسم مقدر قبل ان »^(٧) ، ولم يبعد هنا عن تسمية اللام عند اليهوديين بلام التوكيد ، لأن اللام الواقعة في جواب القسم هي لام توكيد .

وابن قادم أبو جعفر أحمد بن عبدالله بن قادم ، صاحب الفراء «كان يؤدب ولد سعيد بن قتيبة الباهلي » ^(٨) ، وقد أخذه عنه ثعلب ، وربما كان ثعلب يفضله على سلمة بن عاصم وأبي عبدالله الطوال ، اذ قال : « وكان ابن قادم حسن النشر في الملل » ^(٩) .

٩٢ / ٢) (٥) انباه الرواة .

٦٦/١) هموم الهوامع .

١٤٠ / ١) هموم الهوامع

٢٠٧/١٨ الادباء معجم)٨)

١٥٠ طبقات النحوين واللغويين ٩)

ولم أقف على رأي له ، غير أن المترجمين له ذكروا أنه سئل يوما : « كيف يقال : وهذا المال مالا ، أو هذا امثال مال » ، فقال : الوجه « وهذا المال مال » ، ويعجز « وهذا المال مال » . ولاريب أن تجويزه النصب في قولهم : « وهذا المال مالا » انما يصدر عن مذهب بغدادي كوفي هو النصب على التقريب ، وقد جاء فيما حكى ثعلب قولهم : « كيف أخاف الظلم وهذا الخليفة قادما ، أى الخليفة قادم ، فكلما رأيت (هذا) يدخل ويخرج والمعنى واحد فهو تقريب . من كان الناس مرزوقاً فهذا الصياد محروماً ، وانصياد ، محروم» ، باسقاط (هذا) بمعنى ، فقد دخلت لتقرب الفعل مثل (كان) » (١٠) .

ولم أجده من نص على السنة انتي توفي فيها ابن قادم ، غير أن المترجمين له ذكروا أنه خرج من بيته لتلبية أمر المعترض بالله بمثوله بين يديه ، ولم يعد إلى البيت . وذكر ياقوت أن ذلك في سنة احدى وخمسين ومئتين (١١) ، وهو في أكبر الظن ، وهم من ياقوت لأن ابن قادم كان شوهد في مجلس ثعلب شيخاً يتوكأ على عصا سنة ٢٥٥ (١٢) ، ولأن خلافة المعترض كانت بين سنة ٢٥٢ وسنة ٢٥٥ (١٣) .

ولابن قادم من المصنفات : كتاب الكافي في النحو ، وكتاب غريب الحديث .

وأبو جعفر محمد بن سعدان (توفي سنة ٢٣١ هـ) . كان مقرئاً ، وكان نحوياً « أخذ القراءة عرضاً عن سليم بن عيسى عن حمزة ، وعن يحيى بن المبارك اليزيدي عن أبي عمرو ، وعن إسحاق بن محمد المسيبي عن نافع ، وعن معلى بن منصور عن أبي بكر بن عاصم ، فقد أخذ بهذا عن أهل المدينة والكوفة والبصرة (١٤) .

(١٠) مجالس ثعلب ٣٥٩ ، ٣٦٠ .

(١١) معجم الأدباء ٢٠٩/١٨ .

(١٢) طبقات النحويين واللغويين ١٥١ . انباء الرواية ١٥٧/٣ .

(١٣) المعارف ١٧٢ . تاريخ الطبرى ١٦٦٨/١٢ . بما بعدها .

(١٤) معجم الأدباء ٢٠٢/١٨ .

ولمحمد بن سعدان آراء في مسائل النحو تتناقلها كتب النحو ، منها :

ذهب إلى أن (رب) هي للتقليل (١٥) .

ذهب إلى أن (كلا) بمنزلة (سوف) (١٦) .

وإنكاره أن يعطف بـ (لا) نداء ، وكان يرد على سيبويه في اجازته نحو قولهم : يا ابن أخي لا ابن عمي ، وكان يقول : ليس هذا من كلامهم (١٧) .
وكان سيبويه يقول : « وتقول : يازيد وعمرو ليس إلا أنهما قد اشتراكا في
أنداء في قوله (يا) ، وكذلك يازيد وعبد الله ويازيد لاعمر و ، ويازيد أو
عمرو ، لأن هذه الحروف تدخل الرفع في الآخر كما دخل في الأول ، وليس
ما بعدها بصفة ، ولكنه على (يا) » (١٨) .

ذهب إلى نحو قولهم : خاصم زيد عمرا الكريمان والكريمين إلى جواز
اتباع كل منهما ، « لأن كلا منهما مخاصم ومخاصم ، فهو فاعل ومفعول به (١٩) .

وأبو جعفر محمد بن حبيب (توفي سنة ٢٤٥ هـ) من علماء بغداد باللغة
بالمثلجة والشعر والأخبار والأنساب الثقات (٢٠) ، وكان أبو الطيب اللغوي يرى
أنه « صاحب أخبار ، وليس في اللغة هناك » (٢١) . ويبدو أن أبا الطيب كان
ينظر إليه كما كان ينظر إلى الدارسين في بغداد جملة ، على أنهم ، حشو عسكري
ال الخليفة ، لم يكن بها من يوثق به في كلام ، ولا من يرتضى روايته » ، بل
كان ينظر إلى بغداد أنها « مدينة ملك وليس بمدينة علم ، وما فيها من العلم

(١٥) همع الهوامع ٢٥/٢ .

(١٦) همع الهوامع ٧٥/٢ .

(١٧) همع الهوامع ١٣٧/٢ .

(١٨) الكتاب ٣٠٥/١ .

(١٩) همع الهوامع ١١٩/٢ .

(٢٠) معجم الأدباء ١١٢/١٨ .

(٢١) مراتب النحوين ٩٦ .

فمنقول اليها ، ومجلوب للخلفاء وأتباعهم ورعيتهم ، ويتهم بعد ذلك في العلم ضعيفة (٢٢) .

غير أن ابن النديم يراه غير ذلك . كان يقول في ترجمته : « كان من علماء بغداد بالأنساب والأخبار واللغة والشعر والقبائل وعمل قطعة من أشعار العرب . روى عن ابن الأعرابي وقطرب وأبي عبيدة وأبي اليقظان وغيرهم ، وكان مؤدباً وكتبه صحيحة (٢٣) . وكان أبو سعيد اسكري يستكثر عنه (٢٤) . ثبت ابن النديم له عدة مصنفات منها : كتاب الامثال على أ فعل ، وكتاب المحبر وكتاب نقامض جرير والفرزدق ، وأكبر كتبه هو كتاب القبائل الكبير جمعه للفتح بن خاقان ، وكان ابن النديم قد رأى النسخة بعينها في نيف وعشرين جزءاً ، ويظن أنها تبلغ في العدة أكثر من هذا ، وذكر أن لهذه النسخة فهرستاً بخط التستري بن علي الوراق (٢٥) .

وكان ثعلب يوثقه ، ويرى أن يعقوب بن السكين أعلم منه باللغة ، ولكنه أحفظ للأنساب والأخبار من يعقوب (٢٦) .

(٢٢) مراتب النحوين ١٠١ .

(٢٣) فهرست ابن النديم ١٥٥ .

(٢٤) انظر : معجم الادباء ١١٣/١٨ .

(٢٥) فهرست ابن النديم ١٥٦ .

(٢٦) تاريخ بغداد ٢٧٨/٢ . معجم الادباء ١١٤/١٨ .

تَعْلِب

ابو العباس احمد بن يحيى (توفي سنة ٢٩١ هـ)

دخل المأمون بغداد سنة اربع ومئتين للهجرة ، وكان بين شهود الركب
رجل يحمل على يده طفلا له لا يتجاوز عمره أربع سنوات ، فلما من المأمون قال
الرجل لطفله : « هذا المأمون ، وهذه سنة أربع » (١) .

وبقي الطفل الذكي يتذكر هذه العبارة ، فكان يؤرخ لحياته ويقول :
« كان أبي قد حملني على يده ، فلما من المأمون رفعني وقال لي : هذا المأمون
وهذه سنة أربع ، فحفظت ذلك إلى هذه الغاية ، وحذقت العربية ، وحفظت كتب
الفراء كلها حتى لم يشد عنى حرف منها ، ولـي خمس وعشرون سنة » (٢) .

وكان يقول : « مات الترمي معروض سنة مئتين ، وفيها ولدت ، وظلت
العربية سنة ست عشرة ومئتين ، وابتداـت بالنظر في حدود الفراء ولـي ثمانـي
عشرة سنة ، وبلغت خمسا وعشرين سنة ، وما بقي على للفراء مـسألة الا وأنا
أحفظها ، وأضـبط موضعها من الكتاب ، ولم يبق من كتب الفراء في هذا الوقت
شيء الا وأنا قد حفظته » (٣) وعـمر أبو العباس طويلا حتى تجاوز عمره تسعـين
سنة ، وكان سبـب موته ألهـ كان يـسير في الطريق وهو يـقرأ كتابـا ، فـصدمـته دـابة
لم يـسمع وـقع حـوارـها لـصمـ أـلمـ بهـ « فـسـقطـ عـلـيـ رـأـسـهـ فـيـ هـوـةـ مـنـ الـطـرـيقـ أـخـذـ
ترـابـهاـ ، فـلـمـ يـقـدـرـ عـلـيـ انـقـيـامـ » (٤) ، وكان قد بلـغـ منـ الـعـمـرـ تـسـعـينـ سنـةـ وـأشـهـراـ
وكان ذـلـكـ سنـةـ اـحـدىـ وـتـسـعـينـ وـمـئـيـنـ للـهـجـرـةـ « وـكـانـ قـدـ رـأـىـ أـحـدـ عـشـرـ خـلـيـفـةـ ،
أـولـهـمـ الـمـأـمـونـ ، وـآخـرـهـ الـمـكـتـفـيـ » (٥) .

(١) نور القيس ٣٣٤ .

(٢) نزهة الالباء ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٣) معجم الادباء ٥ / ١٠٧ .

(٤) معجم الادباء ٥ / ١٠٥ .

هذا هو أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب الذي انتهت إليه الرئاسة في بغداد بعد الفراء ، بعد أن لم يملأ الفراغ الذي تركه في بيتات الدرس أحد من تلاميذه الكثر الذين لازموه ، واستكثروا عنه .

وتصدر أبو العباس ثعلب مجالس الدرس ، واختلف الدارسون إلى مجلسه ، وهو حدت لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره ^(٦) . وقد عرف مذ هو حدت بالحفظ والضبط والصدق وغزاره العلم ، وزواية الغريب والشعر القديم حتى « ان أبا عبدالله بن الاعرابي (وهو أحد الشيوخ الذين أخذ عنهم ثعلب) كان يشك في انشيء يقول له : ما عندك يا أبا العباس في هذا ؟ ثقة بغزاره حفظه » ^(٧) .

ولم ير أبو العباس ثعلب الفراء لأن عمره كان يوم توفي الفراء لا يزيد على سبع سنوات ، ولكنه تلمذ له بقراءة كتبه على سلامة بن عاصم ، وقد ألم بآرائه وآراء الكسائي أيضا ، وحفظ لنا أقوالهما التي وقف عليها فيما فقد من كتبهما ، ككتاب المعاني للكسائي ، وكتاب الحدود في النحو المفرد .

وقد تأثر أبو العباس نهجهما في احترام القراءات ، والاعتداد بالسماع ، والاحتجاج بكلام العرب ، ولم يكن معتدا بالقياس ولا طالبا له ، ولا معنيا بالتعليق والتأويل ، « وكان يقول : قال الكسائي والفراء ، فإذا سئل عن الحجة والحقيقة في ذلك لم يعرف النظر » ^(٨) .

وقد أخذ أبو العباس عن أعلام عصره في النحو واللغة والادب والحديث والقراءة ، فكان يأخذ النحو عن سلامة بن عاصم ، كما ذكرنا ، واللغة عن أبي عبدالله محمد بن زياد الاعرابي ، والادب عن محمد بن سلام الجُمَحِي .

قال أبو الطيب الدنوي : « كان ثعلب يعتمد على ابن الاعرابي في اللغة ، وعلى سلامة بن عاصم في النحو ، ويروي عن ابن نجدة كتب أبي زيد ، وعن

(٦) تاريخ بغداد ٢٠٩٠ / ٥

(٧) تاريخ بغداد ٢٠٥ / ٥

(٨) معجم الادباء ١٢٠ / ٥

الاثرم كتب أبي عبيدة ، وعن أبي نصر كتب الاصمعي ، وعن عمرو بن أبي عمرو كتب أبيه^(٩) .

وذكر الخطيب البغدادي أنه « سمع ابراهيم بن المنذر الحزامي^(١٠) ، ومحمد بن سلام الجمحي ، و زياد الاعرابي ، و علي بن المغيرة الاثرم ، و سلمة بن عاصم ، و عبد الله بن عمر القواريري ، والزبير بن بكار »^(١١) .

وتلمند له أكثر أعلام الدرس الذين نبهوا بعده في بيئات الدرس في بغداد ، وكان من أوائل الدارسين عليه : أبو اسحق الزجاج ، وأبو الحسن بن كيسان ، و علي بن سليمان الاخفش ، وأبو بكر بن الانباري ، وأبو عمر الزاهد ، وأبو بكر بن شقير ، وأبو بكر محمد بن عبد الملك التاريحي السراج البغدادي ، وغيرهم^{*} .

وكان أبو العباس ثعلب في دراسته - من وجهة النظر اللغوية الحديثة - أقرب ما يكون إلى الدرس النحوي الحق ، فقد عرف حدود الدرس النحوي ، فوقف عندها ، ولم يضره ولا ضار منهجه ماظنه البصريون طعنا عليه ، فعدم اعتقاده بالقياس او بالتعليل ، واعتماده السماع والنقل جعل منه دارسا نحوياً أصيلاً . وهذا هو السبب الذي جعله يتحامى لقاء المبرد ، كما قيل ، لانه لم يكن دراسته على أساس عقلية ، ولا حذق أساليب المتكلمين في الجدل والنظارة ، فإذا اجتمع هو والمبرد لمناقشة مال الناس إلى المبرد ، لالتزامه أساليب الفلسفة ذاته بقوة المنطق . وكان أبو العباس ثعلب في بغداد مرجع الدارسين غير منازع ، حتى اذا ورد المبرد بغداد اخذ بعض الدارسين من تلاميذه ينقطعون عنه ، لأنهم رأوا في المبرد طرزاً جديداً من الدارسين ، وبمجلس الدرس الذي يتتصدره نحووا جديداً أيضاً لم يألقوه مثله فيما كانوا يسمعون من ثعلب .

(٩) مراتب النحوين ٩٦ .

(١٠) وفي معجم الادباء ١٠٨ / ٥ : الحراني .

(١١) تاريخ بغداد ٢٠٤ / ٥ .

وكان من تلاميذه الذين انقطعوا عنه أبو علي الدينوري زوج ابنته ، وكان أبو علي يخرج من دار ثعلب يحمل محبرته ودفتره فيتخطى أصحابه الى مجلس المبرد ، وكان ذلك يغطيه ، وربما عاتبه على ذلك ، وقال له : « اذا رأك الناس تمضى الى هذا الرجل ، وتقرأ عليه يقولون ماذا » (١٢) ، ولكن أبو علي كان يمضي لا يلوي على شيء ولا يلتفت اليه .

وكان أبو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج من الدارسين الذين كان اعتمادهم على ثعلب أولاً ، فلما ورد المبرد ببغداد أراد أن يناظره ، فذهب إليه ، واستأنفه في المقابلة فاذن له ، وكان يعتزم اهانته ، فلما باحثه الجمه المبرد بالمحجة ، والزمه بالزمامات لم يهتد الزجاج إليها ، فتيقن فضله ، وأسترجع هقله ، ثم انقطع عن ثعلب ولازم المبرد ، وكان الزجاج هو الذي يتحدث عن هذا (١٣) ، ولم يسمع - مع ذلك - من الزجاج ما يغض من علم ثعلب ، أو يمس مكانته في العلم والحظوظ والصدق . والمسألة هذه الزجاج ، كما يفهم من كلامه ، مسألة احتجاجات والزمامات وتعليلات ، وهذه أمور لم يعهدما في ثعلب ، لأن ثعلباً كان يصدر عن مذهب لغوي لامكان للقياس فيه ، ولا صلة له بالاعتبارات العقلية والاساليب الكلامية ، فلم يكن النحو ليكون ميداناً للصراع العقلي ، ولا موضوعاً من موضوعات الفلسفة والكلام .

ولم يكتفى المبرد بصلازمة الزجاج أيامه ، وانقطاعه عن استاذه ، وكان نفس المبرد لم تجد الهدوء فيما تم له من ملازمة الزجاج أيامه ، وانقطاعه عن منافسه ، ففرض عليه أن يقطع كل الاسباب التي تشده إلى استاذه ، وأمره أن يطرح كتبه وكتب أصحابه (١٤) ، وأستجواب الزجاج له في كل ما أمره به ،

(١٢) طبقات الشعراء واللغويين ١٥٦ .

(١٣) سبب الادباء ١٩/١١٧، ١١٨ . نزهة الالباء ٢٩٠ .

(١٤) طبقات الشعراء ١١٩ . آباء الرواة ٣/٢٥٠ .

وكان ذلك للمبرد خير هبة ، وخيرا من الثلاثين درهما التي كان يجريها الزجاج عليه كل شهر .

وباستداد المنافسة بين الرجلين ، واضطراط العصبية بين أصحابها بترت شخصية سيبويه ، وظهر كتابه في بغداد ، وكانت أقوال البصريين في (الكتاب) تمهد لهذا الظهور ، فقد كان أبو عثمان المازني يقول : «من أراد أن يصنف كتاباً كبيراً بعد كتاب سيبويه فليستحي» (١٧) وكان البرد يقول لمن يريد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه : «هل ركبت البحر ! تعظيماً له ، واستصعباً لما فيه» (١٨) ولا أظن البرد كان يعني ما يقول ، ولكنه رأى في الدعوة للكتاب ما يتحقق رغبته في الغلبة ، ولو عنى ماقال حقاً لما تصدى له هو فنقض بعض ماجاء فيه ، ثم انتصر له أحد تلاميذه وهو ابن ولاد .

والحق أن الكتاب جدير بأن يتسمى هذه المنزلة في نقوس الدارسين ، لانه المورد العظيم الذي صدر عنه الدارسون كل الدارسين ، فهو اذن كتاب الدارسين وأمامهم ، لا أستثنى أحداً منهم ، ولم يكن هذا ليعني الالتزام بمنهجه والاكتفاء بما جاء فيه ، فقد كان للبغداديين فعلاً وجهة نظر أخرى ، وأسس مذهبية خاصة ، ولذلك تفاوتت النتائج ، واختلف خط المسير ، وكانت افادة بغداديين الأوّلين من الكتاب سبيل البصريين للتکاثر عليهم والتضعيف من شأنهم ، حتى لكان العلم حكر على البصريين ، لا ينبغي أن يجترئ دارس آخر فيدائى برأي يخالف آراءهم ، أو ينهج منهجاً يعارض منهجهم .

وَمَاتَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى ثُلْبَانَ فَخَلَفَ مُصَنَّفَاتِ كَثِيرَةٍ مِنْهَا :
كِتَابُ مَعَانِي الشِّعْرِ ، وَكِتَابُ الْفَصْيَحِ ، وَكِتَابُ (الْمِجَالِسِ) وَهُوَ «مِجَالِسَاتُ وَأَمَالٌ»
أَمْلَاهَا عَلَى أَصْحَابِهِ فِي مَجَالِسِهِ ، تَحْتَوِي عَلَى قِطْعَةٍ مِنَ النَّحْوِ وَالْأَلْغَةِ وَالْأَخْ—

١٥) اخبار النحوين البصريين ٣٩ .

٣٩ - (١٦) أخبار النحوين البصريين .

ومعاني القرآن والشعر رواها عنه جماعة ٠ (١٧) وخلف فوق ذلك علماء كثيراً، ونهجاً فوهماً، ودرساً نحوياً جيأً، ولم تستطع ادعاءات الخصوم أن تخفي السمات التي اتسم بها الرجل وهي الحفظ والضبط والصدق وغزاره العلم، ولم يستطع غمط هذا حتى المبرد الذي كان أعنف المنافسين له فقد كان يقول : « أعلم الكوفيين ثعلب » (١٨) ٠ وسئل أبو عمر الزاهد أباً بكر بن السراج فقال له : « أي الرجالين أعلم ؟ ثعلب أم المبرد ؟ فقال : ما أقول في رجلين العالم بينهما ! » (١٩) ٠

(١٧) فهرست بن النديم ١١١ ٠

(١٨) نزهة الالباء ٢٩٥ ٠

(١٩) معجم الادباء ١٣٨ / ٥

خصائص المذهب البغدادي

لابد ، لكي نرسم خطوط المذهب البغدادي (الковفي) . أن تثبت الخطوط الرئيسية للمذهب البصري . ثم الخطوط الرئيسية للمذهب البغدادي ، ليتسنى لنا أن نوازن بين المذهبين ، ونقف على أساس الخلاف بينهما .

وبالرجوع الى النحو البصري ، والى الشيوخ الذين يمثلونه تطالعنا امور :
ـ **بعض** خصائص الدرس النحوي البصري تحكيم المنطق في الفوادير
اسفوية ، وانضاع الاصول الى احكام العقل ، واصطدام اساليب المتكلمين فسي
تبثيت اصل ، او توضيع قاعدة .

وخير ما يمثل هذا ما دار بين محمد بن يزيد المبرد الذي انتهت إليه
الرئاسة في النحو البصري ، وأحمد بن يحيى ثعلب ، الذي انتهت إليه الرئاسة
في النحو البغدادي ، من مناظرة في مسائل لغوية أو نحوية في مجلس محمد
ابن عبدالله بن طاهر ، فقد طرح ابن طاهر في ذلك المجلس أسئلة تتعلق باللغة
والنحو ليتناقش فيها الرئسان . . .

ومن جملة هذه الأسئلة سؤال يتعلق بهمزة (بين بين) . ساكنة أم متحركة؟ .
قال احمد بن يحيى : لاساكنة ، ولا متحركة ، فقال ابن طاهر للمبرد : ما تقوا
يامحمد؟ قال المبرد « قوله : لا ساكنة ، قد أقرّ أنها متحركة » ، وقوله لا متحركة قد
اقر أنها ساكنة ، فهي ساكنة لاساكنة ، متحركة لا متحركة . . . فقال ابن طاهر
ـ فلم سميت بين بين ؟ قال المبرد : « لأنها اذا خفت فقد جعلت بين الياءة : بـ بين
مامنه حركتها » (١) .

(١) مجالس العلماء - الزجاجي ١٢٣ .

بمثل هذا الاسلوب كان المبرد يتناول موضوعات الدرس النحوية او اللغوي ، وبهذه الالزامات العقلية كان ينشد الغلبة على منافسه ، ولم يكن المبرد في مناظرته مع ثعلب الا سوسيطائيا يتذرع بالبهرجة ليحظى باعجاب ابن طاهر وجلاسه ، وقد نجح في الوصول الى الغاية ، فقد ضمَّه ابن طاهر اليه واختصه في مجلسه .

ولم يحكم البصريون المنطق في الدرس النحوية الا لانهم كانوا يعتقدون أن اللغة تجري وفق منطق العقل لا تحدِّ عنه ، وهو اعتقاد خطأ لا يقرره الدرس اللغوي ، لأن اللغة منطقا خاصا لا علاقتها له بمنطق العقل ، ولو أراد نحوي ان يحكم منطق العقل في اللغة وقوانينها لما وصل الى تفسير صحيح للظواهر اللغوية ، ولكن انتهى درسه الى مثل ما انتهى اليه الدرس البصري .

٢ - وأن الدرس البصري يعتمد بالقياس ، ويجعله أصلا من أصول الدرس والقياس هو الانتقال من الكلي الى الجزئي ، وقد ادى به هذا الى احترام الاصول العامة الموضوعة ، ومن أجل احترام هذه الاصول كانوا لا يلتفتون الى كل مسموع، فإذا واجههم مسموع صحيح موثوق بقائله ولا ينتظم الاصول لجهوا الى التأويل والتقدير ، فان خصم للاصول الموضوع بها والا وصفوه بالشذوذ وجعلوه من الشاذ الذي يحفظ ولا يقاس عليه ، وإذا لم تصح روايته عندهم ردوه .

بهذا يفسر موقفهم من القراءات ، فقد كانوا يتناولونها كما يتناولون المسنوعات من العرب ، فان انتظمتها الاصول قبلوها وان لم تخضع لتلك الاصول وصفوها بالشذوذ ، او بالخطأ واللحن ، وطعنوا على القراء ، ورميهم بالجهل بالعربية .

فإذا تناولوا قوله تعالى : « ان هذان لساحران » بالالف وقوله : « زين لـ كثير من المشركين قتل اولادهم شر كـ انهم » بنصب الاولاد وقوله : تعالى : « تسألون به والارحام » بالخض ، رفضوه لانه يخالف الاصول ، وتمسكوا بمقالة جاءتهم عن بعض الصحابة : « ان في المصحف لحنا وستقيمه العرب » (٢)، كما تمسك ابو عمرو بن العلاء ، ورفض قراءة الآية بالالف ، وكان يقول :

(٢) معاني القرآن ١٨٣/٢ .

« اني لاستحي من الله تعالى أن أقرأ : « ان هذان » (٣) مع أن هذه القراءة جاءت موافقة للغة بنى الحارث بن كعب ، وزبيد ، وختعم وبني كنانة اذ يجعلون الاثنين في رفعهما وخفضهما بالالف ، وهي لغات حكاها أبو الخطاب الاخفش ، وابو زيد الانصاري والكسائي والفراء (٤) .

ومن اليسير أن نتصور موقفهم من الاحاديث التي تخالف أصولهم ، ورفضهم الاستشهاد بها بحججة ان الاحاديث انما رويت بالمعنى وان كثيرا من حملتها لم يكونوا عرباً . فلم يؤمنون اللحن ان يتطرق الى رواياتهم ، وان لم يتممدوه . غير انهم كانوا على وهم في الموقفين .

١ - اما موقفهم من القراءات فلأن القراءات انما تعتمد صحة النقل وسلامة الرواية ، وهذا هو طريقها ، وعلى حين كان البصريون يدعون أنهم يتشددون في ارواية ، ويزعمون أنهم يأخذون اللغة عن الاعراب الموثوق بفصاحتهم كانوا يتشددون في قبول القراءات اذا خالفت أصولهم ، ويطعنون على القراء ، وينسبون اليهم الجهل بالعربية ، مع ان «ائمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الاشتباه في اللغة والقياس في العربية بل على الاثبات في الاثر والاصح في النقل ، والرواية اذا ثبتت عنهم ثم يردها قياس عربية ولا فشو لغة» (٥) .
وكان ابن خالويه يقول في مقدمته لكتاب (الحججة) : « وبعد فاني تدبرت قراءة الائمة السبعة من أهل الامصار الخمسة المعروفين بصحة النقل ، واتقان الحفظ ، المؤمنين على تأدية الرواية واللفظ ، فرأيت كل ما منهم قد ذهب في اعراب ما انفرد به من حرفه مذهبها من مذاهب العربية لا يدفع ، وقصد من القياس وجها لا يمنع ، فوافق باللفظ والحكاية طريق النقل والرواية ، غير مؤثر للاختيار على واجب الآثار» (٦) .

(٣) تفسير القرطبي ٢١٦ / ١١ .

(٤) معاني القرآن ١٨٤ / ٢ .

(٥) الشر في القراءات العشر ١٠ / ١ .

(٦) الحجۃ في القراءات السبع - ابن خالويه ٣٧ ، ٣٨ ، بيروت .

وعرض أبو حيان لتفسير قوله تعالى « وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قُتِلُ أَوْلَادُهُمْ شَرْكَائِهِمْ » وهي قراءة عبد الله بن عامر ، فقال : « جمهور البصريين يمنعونها ، متقدمهم ومتاخر لهم ، ولا يجيزون ذلك الا في ضرورة الشعر . وبعض النحوين اجازها وهو الصحيح لوجودها في هذه القراءة المتواترة المنسوبة إلى أنعربي الصريح المحسن ، الآخذ القرآن عن عثمان بن عفان قبل أن يظهر اللحن في لسان العرب »^(٧) .

(١) (٢) واما موقفهم من الأحاديث فلأن كثيراً من رواة الحديث كانوا من الفصحاء كالصحابية والتابعين ، ومن هؤلاء : عامر بن شراحيل الشعبي الذي كاثر به أبو بكر بن عياش مناظره في مجلس أبي العباس : « وَإِنْ أَنْتَ عَمْرٌ لَمْ تَرَ عَيْنَكَ مُثْلِهِ فِي زَمَانِهِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ، وَلَا أَحْفَظَ ، وَلَا أَفْقِهَ فِي الدِّينِ ، وَلَا أَصْدِقُ ، وَلَا أَعْرِفُ بِمِثْلِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَيَامِ الْعَرَبِ ، وَحُدُودِ الْاسْلَامِ وَالْفَرَائِضِ وَالغَرِيبِ وَالشِّعْرِ ، وَلَا أَوْصِفُ لِكُلِّ امْرٍ مِّنْ عَامِرَ بْنَ شَرَاحِيلَ الشَّعْبِيَّ »^(٨) .

وعبد الله بن شبرمة الذي تحدث عنه الجاحظ فقال : « كَانَ فَقِيهَا عَالِمًا قاضِيَا ، وَكَانَ رَاوِيَةً شَاعِرًا ، وَكَانَ خطيباً نَاسِكَا وَكَانَ حَاضِرَ الجَوَابِ مَفْوِهِهَا ، وَكَانَ لِاجْتِمَاعِ هَذِهِ الْخَصَالِ فِيهِ يُشَبَّهُ بِعَامِرَ الشَّعْبِيِّ »^(٩) .

(٧) البحر المحيط ٤/٢٢٩ .

(٨) مختصر كتاب البلدان ١٧١ ليدن .

(٩) البيان والتبيين ١/٣٢٣ .

وأيوب بن أبي تبيعة الذي قال الحسن البصري متحدثاً عنه «أيوب سيد شباب أهل البصرة»^(١٠) والذي كان يقول: «تعلموا النحو فانه جمال الوضيع، وتركه هجنة للشريف»^(١١) .

وحماد بن سلمة الذي كان يقول: «من لحن في حديثي فقد كذب على»^(١٢) .

فـ«نـكـرـ الـاسـتـشـاهـدـ بـالـحـدـيـثـ نـهـتـ اـسـمـتـ بـهـ حـذـلـقـتـهـ وـتـغـرـهـ» وهدر لجانب كبير من مصادر الدرس النعوي .

والبصريون باعتمادهم على القياس إنما يصدرون عن اعتقاد بأن اللغة منطقية ، وعن اعتداد بالعقل وأحكامه ، وقد أوماناً إلى أن ذلك خطأ في المنهج لأن اللغة لا تخضع للاحكم العقلية ، ولا تجري وفق الاسس المنطقية ، لأنها ليست ثابتة ، ولأنها ظاهرة حيوية اجتماعية ، تتطور بتطور الحياة نفسها ، وتسير وفق قوانين يحدد الاستعمال اتجاهاتها ، فهي إذن متغيرة لا تبقى على حال ، بل التغير من مقومات وجودها ، ولو لا اعتقادهم بثباتها ، وعدم تغيرها لما اصطنعوا التأويلات والتقديرات ، لأن التقديرات إنما تهدف إلى رد الكلمة إلى قالبها الذهني المتتطور .

ومن أجل هذا لم يكونوا يعتدون بالسماع ، والسماع المقبول عندهم ما انتظمته الأصول العامة ، والاعتبارات العقلية التي اصطنعواها ، ومن أجل هذا أيضاً لم يقبلوا السمع إذا لم يرد بالتحليل إلى تلك الأصول الموضوعة .

اما خصائص الدرس البغدادي (الковفي) فالخصائص فيما يأتي :

(١) الاول أن البغداديين كانوا يعتدون بالسماع والنقل ، ويستخدمون من المسموعات أساساً لوضع قواعدهم ، وكان من عادتهم «أنهم إذا اسمعوا لفظاً

(١٠) البيان والتبيين ٣ / حامش ١٥٤ .

(١١) البيان والتبيين ٢/٢٣٣ .

(١٢) أخبار النعويين البصريين ٤٣ بيروت .

فِي شِعْرٍ أَوْ نَادِرٍ كَلَامٌ جَعَلُوهُ بَابًا «(١٣)» . وَانْهُمْ «لَوْ سَمِعُوا بَيْتًا وَاحِدًا فِيهِ
شَيْءٌ مُخَالِفٌ لِلِّا صُولٍ جَعَلُوهُ أَصْلًا وَبَوْبُوا عَلَيْهِ» «(١٤)» . وَانْ مَذْهَبُهُمْ «لَوْ اُوْفَهُ
بِيَدِ السَّمَاعِ، لَا يَخْفَرُ لَهُ ذَمَّةٌ، وَلَا يَنْقُضُ لَهُ عَهْدًا، وَيَهُونُ عَلَى الْكُوفَى نَقْضُ
أَصْلٍ مِنْ أَصْوْلِهِ، وَنَسْفُ قَاعِدَةٍ مِنْ قَوَاعِدِهِ، وَلَا يَهُونُ عَلَيْهِ اطْرَاحُ
الْمَسْمُوعِ» «(١٤)» .

وَكَانَ لَهُمْ مِنَ الْقِرَاءَاتِ مَوْقِفٌ خَاصٌ يَتَمَيَّزُونَ بِهِ مِنَ الْبَصَرِيِّينَ، فَقَدْ كَانُوا
يَجْعَلُونَ مِنَ الْقِرَاءَاتِ مَصْدِرًا مِهْمَا مِنْ مَصَادِرِ عِلْمِهِمْ، لَا يَرْفَضُونَ قِرَاءَةً صَحَّ
سِنْدَهَا، وَلَا يَطْعَنُونَ عَلَى قَارِئٍ، وَلَا يَرْمُونَهُ بِالْجَهْلِ إِذَا كَانَتْ تَخَالُّ الْاِصْوَلِ
الْمُوْضِوْعَةُ . وَيَرْجِعُ اعْتِدَادُهُمْ بِالْقِرَاءَاتِ، وَجَعَلُهُمْ فِي مُقْدِمَةِ الْمَصَادِرِ التِّسِّيِّ
يَسْتَنْدُونَ إِلَيْهَا إِلَى :

(١) أَنَّ الْبَغْدَادِيَّيْنَ الْكَسَائِيَّ وَالْفَرَاءَ كَانَا قَدْ شَاءَا فِي الْكُوفَةِ، وَانْ
الْكُوفَةِ كَانَتْ مَهْبِطَ الصَّحَابَةِ وَمَنْزِلَ التَّابِعِينَ، وَقَدْ نَزَلَ فِيهَا عَدْدٌ كَبِيرٌ، وَصَارَتْ
الْكُوفَةُ بِهِمْ مَوْطِنَ الْقِرَاءَاتِ وَكَانَ فِيهَا مِنْ أَنْمَاءِ الْقِرَاءَةِ : عَاصِمُ بْنُ أَبِي النَّجْوَدِ،
وَحَمْزَةُ بْنُ حَبِيبِ الْزَّيَّاتِ، وَعَلَى بْنُ حَمْزَةِ الْكَسَائِيِّ، وَتَرَجَّعَ قِرَاءَتُهُمْ جَمِيعًا إِلَى
أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلَمِيِّ وَزَرْدَ بْنَ حَبِيبِشِ، وَكَانَ هَذَا مَرْجِعَ الْقِرَاءَةِ فِي الْكُوفَةِ
وَالْبَصَرَةِ . وَقَدْ عُرِفَ هُؤُلَاءِ الْقِرَاءَ بِالْفَصِيْبَعِ وَالْإِقْنَانِ، وَبِاللَّامِ الْوَاسِيْعِ بِاللُّغَةِ .
فَقَدْ كَانَ عَاصِمُ بْنُ أَبِي النَّجْوَدِ يَجْمِعُ «بَيْنَ الْفَصَاحَةِ وَالْإِقْنَانِ
وَالتَّجْوِيدِ» «(١٥)» .

وُعِرِفَ عَنْ حَمْزَةَ بْنَ حَبِيبِ الْزَّيَّاتِ أَنَّهُ «كَانَ ثَقَةً كَبِيرًا، حِجَّةً رَضِيَا،
قِيمًا بِكِتَابِ اللَّهِ، مَجْوِدًا، عَارِفًا بِالْفَرَائِضِ وَالْمُرْبَّةِ» «(١٦)» .

١٣) مِنْ الْهَوَامِعِ ٤٥/١ .

١٤) نَظَرَةٌ إِلَى النَّحْوِ / مجلَّةُ الْمَعْجمِ الْعَلَمِيِّ بِدِمْشَقِ مُدْرِسَةٌ ١٤٢٠ جُ ٩ ص ٣٩٩ .

١٥) غَافِرَةُ النَّهَايَةِ ١/٣٨٦ .

١٦) النَّثَرُ ١/١٦٦ .

أما اكسانى فحاله معلومة فهو امام من ائمة العربية ، مع أنه من ائمة القراءة ، وهو رأس امدرسة بغداد في النحو .

وكان للقراءات تأثير كبير في النحو البغدادي ، وفي النتائج التي توصل إليها البغداديون مما كان مخالفًا لما انتهى إليه البصريون ، ولم يعد للأصول البصرية الموضعة ذلك الاعتبار لدى الدارسين الجدد ، ولا للسيطرة العقلية على القواعد البصرية تأثير في القواعد البغدادية .

فـ (انَّ) مثلاً عند البصريين حرف له قوة الفعل في العمل ، لأنها تشبه

ال فعل من خمسة أوجه :

• الأول : أنها مبنية على الفتح ، كما أن الفعل الماضي مبني على الفتح .
• والوجه الثاني : أنها على ثلاثة أحرف ، كما أن الفعل على ثلاثة أحرف .
• والوجه الثالث : أنها تلزم الأسماء ، كما أن الفعل يلزم الأسماء .
• والوجه الرابع : أنها تدخل عليها نون الوقاية ، كما تدخل على الفعل ،
نحو اتنى ، وكأننى ، ولكننى .

• والوجه الخامس : أن فيها معانٍ لافعات ، فمعنى (انَّ وانَّ) = حقّقت .
ومعنى (كان) = شبّهْت ، ومعنى (لُكِنْ) = استدرَّكْت ومعنى (ليت) = تمنيت ،
(لعل) = ترجيت ، (١٧) .

وعلى ما لانَّ من شبه بالفعل عشدهم منحت تأثير الفعل ، وعملت نصباً
ورفعاً ، كما عمل الفعل ، صارت (ان) عند البصريين وكان أَعْمَلَ من لوازمهما ،
فإذا ورد من كلام العرب ما يخالف هذا ردوه ، فإذا لم يستطعوا ردّه ، لشيوخه
في الاستعمال ، وكثرت في الكلام راحوا يتاؤلون ويقدرون حتى تستقيم القاعدة ،
ويبقى لـ (ان) سلطانها في الكلام .. يفعلون ذلك حتى فيما كان منه فسـى
القرآن .

(١٧) أسرار العربية - الأنباري ٦١ ليدن .

ومن الأمثلة على تمسكهم بهذه القاعدة : موقفهم من قراءة أهل الكوفة قوله تعالى : « ان هذان لساحران » فقد كان أبو عمرو يقرأ : « ان هذين لساحران » ويرى أن قراءة « ان هذان لساحران » لحن ، محتاجاً بأنه « بلغه عن بعض أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال : ان في المصحف لحنا وستقيمه العرب » (١٨) ، وكان يقول : « اني لأستحيي من الله أن أقرأ : ان هذان » (١٩) .

ومن قرأها بالالف منهم لجأ إلى التأويل ، فبعضهم أضمر الهاء - ضمير الشأن - والمعنى : « انه هذان لساحران » (٢٠) ، ومن لم يضمر الهاء قدر أن تكون (ان) في هذه الآية بمعنى نعم ، وحمل عليه قوله : صلى الله عليه وسلم : « ان الحمد بالرفع - لله نحمده ونستعينه » (٢١) .

وتناول الفراء هذه الآية بالتفسير ، وعرض للقراءات المختلفة فيها . وللمروى عن عائشة : « هذا خطأ من الكاتب » (٢٢) ، ولقراءة أبي عمرو واحتاجه بما بلغه عن بعض الصحابة مما ذكر من قوله : « ان في المصحف لحنا وستقيمه العرب » ٠٠٠ تناول الفراء ذلك ، وعرض لكل ذلك ، ولكنه جرى على ما كان في المصحف ، وقال : « ولست أشتته ان أخالف الكتاب » (٢٣) .

واكبر الظن أن هذا وما شابهه كان سبيل البغداديين (الكوفيين) الى ما ذهبوا اليه ، من أن (ان) لا تعمل الا في الاسم ، أما الخبر فيرتفع على الاصل ، وذلك لضعفها . والى ما ذهب اليه الفراء والكسائي من جواز انعطاف على اسم (ان) بالمرفوع قبل أن تُسْتَكْمِلَ الجملة ، الا أن الفراء يقيد ذلك بأن يكون

(١٨) معاني القرآن ٢/١٨٣ ، تفسير القرطبي ١١/٠ .

(١٩) القرطبي ١١/٢١٦ . البحر المحيط ٦/٢٥٥ ، وجاء في البحر المحيط : أنه « قال الزجاج : لا أجز قراءة أبي عمرو لأنها خلاف المصحف » .

(٢٠) تفسير القرطبي ١١/٢١٩ .

(٢١) تفسير القرطبي ١١/٢١٨ .

(٢٢) معاني القرآن ٢/١٨٣ .

(٢٣) المصدر نفسه .

الاسم بعد (ان) مما لا يظهر فيه النصب ، كقوله تعالى من سورة المائدة : « ان
الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى الآية » .

قال الفراء : « فان رفع (الصابئين) على أنه عطف على (الذين) ،
و (الذين) حرف على جهة واحدة في رفعه ونصبه وخصبه ، فلما كان اعراباً
واحداً ، وكان نصب (ان) نصباً ضعيفاً ، وضعفه أنه يقع على الاسم ، ولا يقع
على خبره - جاز رفع الصابئين ، ولا أستحب أن أقول : ان عبدالله وزيد » قائمان ،
لتبيين الاعراب في (عبدالله) ، وقد كان الكسائي يجيزه لضعف (ان) » (٢٤) .
والفاعل في عبارة الشرط - مثلاً آخر - قد يتقدم على الفعل حتى يلي أدلة
الشرط ، نحو قوله تعالى من سورة النساء : « ان امرؤ هلك » وقوله تعالى من
سورة التوبة : « وان أحد » من المشركون استبعارك » ، وغيرها من الآيات ، وهو
كثير .

فالبصريون يربون الفاعل المتقدم فاعلا لفعل ممحوف يفسره المذكور ، ويكون
تقدير الآيتين عندهم : ان هلك امرؤ هلك ، وان استبعارك احد من المشيرين
استبعارك ، ولا يجوز عندهم ان يكون فاعلا للفعل المذكور ، لأن تقديم الفاعل
عندهم ممتنع « لأن الفاعل تنزل منزلة الجزء من الكلمة ، وهو الفعل » (٢٥) .
أما البغداديون أو الكوفيون ، كما سموا فيما بعد ، فلا يلتزمون الاعتبارات
العقلية ، وليس للمنطق سلطان على دراستهم ، ولذلك اجازوا تقديم الفاعل على
الفعل تمسكاً بهاتين الآيتين ، وما أشبههما ، ويقول الزباء :

ما للجمال منسها وثيدها اجنداً لا يحسن أم حديداً

وأكبر اللعن أن المرووع من الآيتين فاعل هندهم ، وعند الفراء خاصة للفعل
المذكور ، وقد تناول الفراء هاتين الآيتين بالتفسير ، وذهب إلى جواز ان يجزم

(٢٤) معنى القرآن / ١ / ٣١٠ ، ٣١١ .

(٢٥) أسرار العربية ٣٥ لـ بن .

ال فعل فيهما لو جاء مكانهما (يفعل) ، وتجويفه جزء الفعل بان مع فصلها عن الفعل بالاسم المتقدم يدل في وضوح على انه لم يتصور قط أن يكون هناك فعل محنوف مفسر بالمذكور ، فقد قال الفراء : قوله : « ان امرؤ هلك » : (هنك) في موضع جزء ، وكذلك قوله : « وان أحد من المشركين استجراك » ، لو كان مكانهما (يفعل) كانتا جزما ، كما قال الكميت :

فان أنت تفعل فللفتا عليه
من أنت ، المعيزين تلك الغمارا
وأنشد بعضهم :

صعدة نابية في حائر اينما الريح تميلها تميل .

الا أن العرب تختار اذا أتى الفعل بعد الاسم في الجاءه أن يجعلوه (فَعَلَ) لأن الجزم لا يتبيّن في (فعل) ، ويكرهون أن يفترض شيء بين الجازم وما جزم « (٢٦) .

فلم يبه في كلامه هذا ما ينم على أن الاسم المرفوع في الآيتين فاعل لفعل محنوف . قوله : « ويكرهون أن يفترض شيء بين الجازم وما جزم » يشير الى أن الاسم مقحم بين الفعل وأداة الشرط ، وأنه فاعل للفعل الذي تأخر عنه .

٢ - وأن البغدادييْن الكسائي والفراء أنفسهما كانوا من القراء .

أما الكسائي فأمره معروف ، لأنـه كان مقرئاً قبل أن يكون نحوياً ، ولم يتعلم النحو الا على كبر (٢٧) ، وكان أحد السبعة الأئمة في القراءة . فرأى على حمزة مذاكرة ، كما قال ابن حجر ، ثم قرأ عليه القرآن أربع مرات (٢٨) ، وكان قد سمع القراءة من مسليمان بن أرقـم ، وأبي بكر بن عيـاش ، وسفـيان بن عـيينـة ، واقـرأ الناس في بغداد بقراءة حمزة زـمانـا ، ثم اتـخذ لنـفـسيـه قـراءـة .

(٢٦) معانى القرآن ١/٢٩٦ ، ٢٩٧ .

(٢٧) تاريخ بغداد ١١/٤٠٣ .

(٢٨) تهذيب التهذيب ٧/٣١٣ .

وقد تلمذ له في القراءة ببغداد خلق كثير ، في مقدمتهم : أبو زكريya الفراء ، وأبو عبيد النقاش بن سلام ، وأبو عمر حفص بن عمر الدوري (٢٩) .

وأما الفراء فقد عني بالقراءة عنایة كبيرة ، وكان قد أخذ القراءة عن الكسائي ، وروى القراءات بطرقه الخاصة ، وقد أشرنا إليها في غير هذا المكان ، والدارس الذي يقف على أقوال الفراء ورواياته وحكاياته يتضح له عمق لتصاله بالقراءات ، بل كان له قراءة خاصة ، وأماليه في معاني القرآن يتوزعها عاممه بالعربية ، وعلمه بالقرآن وقراءاته .

كان يقول في قوله تعالى : « خلق الأولين » : « قراءة الكسائي » ، « خلق' الأولين » . قال الفراء : وقراءتي « خلائق الأولين » (٣٠) .

ويقول في قوله تعالى : « ثلات غورات لكم » : « نصبها عاصم والأعمش ، ورفع غيرهما ، والارتفاع في العربية أحب الي ، وكذلك أقرأ ، والكسائي يقرأ بالنصلب » (٣١) .

وقد يختار قراءة على قراءة بعد أن يعرض للقراءات المختلفة ، فـإذا اختار قراءة وجهها توجيها ، وربما عمل لها بشيوع استعمالها عند العرب ، أو بشيوعها عند القراء .

ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى : « ولا يأتون البأس الا قليلا أشیححة » : يقول : جبناء عند البأس ، أشحة عند الانفاق على فقراء المسلمين ، وهو أحبها الي ، والرفع جائز على الائتناف ، ولم أسمع أحدا قرأ به « (٣٢) .

(٢٩) تاريخ بغداد ٤٠٣/١١ .٠٠ مرآة الجنان ١/٤٢٢ .

(٣٠) معانى القرآن ٢/٢٨١ .

(٣١) معانى القرآن ٢/٢٦٠ .

(٣٢) معانى القرآن ٢/٣٣٨ .

وقوله تعالى : « فهل ترى لهم من باقية » : « تلثم اللام عند انتهاء من باء وهل ، وأجل ، ولا تدغم في اللام التي قد تتحرك في حال ، واظهارها جائز ، لأن اللام ليست بموصولة بما بعدها ، كاتصال اللام من النار وأشباه ذلك ، وإنما صرت أختار « هل تستطيع » و « بل نظنكم » فأظاهير ، لأن القراءة من المولدين مصنوعة ، لم يأخذوها بطابع الاعراب ، إنما أخذوها بالصنعة ، والاعرابي ذلك جائز له ، لما يجري على لسانه من خفيف الكلام وثقله » (٣٣)

ومثل هذا قوله في تفسير قوله تعالى : « قل هل تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا أَحَدُ الْحُسْنَىْنِ » : « يقول : هل تدرى ، وتهتدرى ، فقرأها القراء على ذلك ، وأننا استحب في القراءة خاصة تبيان ذلك ، لأنهما منفصلان ليسا من حرف واحد ، وإنما بني القرآن على الرسل والترتيل واشباع الكلام » (٣٤) .

وقوله في قوله تعالى : « شهد الله أنه لا إله إلا هو وأنه الدين عند الله الإسلام » : « قد فتحت القراءة الألف من (أنه) ومن قوله : « ان الدین عند الله الإسلام » ٠٠٠٠ وأن شئت استأنت (ان الدين) بكسرتها ، وأوقفت الشهادة على « أنه لا إله إلا هو » وكذلك قرأها حمزة ، وهو أحب الوجهين إلى » (٣٥) .

أما أحاطته بالقراءات غير خاف ، فلا تكاد تمر به قراءة جمِع عليها ، أو اختلف فيها إلا نص على الاجماع ، أو نسب الاختلاف إلى أصحابه ٠

والبغداديون من أجل ما سبق بيانه يجعلون القراءات أعلى مراتب المصادر التي كانوا يصدرون عنها في استخلاص الاصول التحويية ، وإن كانت القراءة مما يعارض الاصول الموضوعة ، أو مما يعارض ما جاء في صحيح الشعر ، أربات

(٣٣) معاني القرآن ٢/٣٥٣ ٠

(٣٤) معاني القرآن ١/٤٤١ ٠

(٣٥) معاني القرآن ١/١٩٩ ، ٢٠٠ ٠

ال Shawāhid التي بني النجاة عليها قواعدهم أو بعض قواعدهم ، فلم يرد القراء أن يخالف الكتاب وان تعارض مع الاصول المتعارف عليها . وان لم يكن لها وجه في العربية (الرسمية) ، فقد غمز القراء أبا عمرو اذ قرأ : ان هذين لساحران ، متحجا بما بلغه عن بعض أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان فى المصحف لحننا وستقيمه العرب » فقال القراء بعد أن ذكر ذلك : « ولست أشتهى على أن أخالف الكتاب » (٣٦) .

وحين عرض لاختلاف القراء في قوله تعالى : « ان هذان لساحران » ، ولزعم بعضهم - ولا أظنه الا أبا عمرو - أنه لحن ، قال : ولكن نمضي عليه لثلا نخالف الكتاب » (٣٧) .

وحين أراه أن يوجه المخض في قراءة بعضهم قوله تعالى : « يطوف عليهم وندان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين ، لا يصدعون عنها ولا ينذرون ، وفاكهه مما يتغرون ، ولحم مما يشتهون ، وحور عين » ، أعني في قوله : (ولحم طير) ، وقوله : (وحور عين) قال : « فمخض بعض القراء ، ورفع بعضهم الحور العين . قال الذين رفعوا : الحور العين لا يطاف بهن ، فرفعوا على معنى قولهم : وعندتهم حور عين ، أو : مع ذلك حور عين ، فقيل : الفاكهة واللحم لا يطاف بهما ، انما يطاف بالخمر وحدها ، والله أعلم ، ثم أتبع آخر الكلام أوله ، وهو كثير في كلام العرب وأشعارهم ، وأنشدني بعض بنى أسد يصف فرسه :

علفتها تبنا ومام باردا
حتى شتت همالة عيناها (٤٨)

وعقب على ذلك بما يدل دلالة واضحة على تحكيمه القراءة فيما يصار اليه من أصول وقواعد : « والكتاب أعراب وأقوى في العجقة من الشعر » (٤٩) يريد

(٣٦) معاني القرآن ٢/١٨٣ .

(٣٧) معاني القرآن ٢/١٨٣ .

(٣٨) الشاهد هنا هو عطف الماء على التبن ، والماء لا يملف ولكنه يشرب .

(٤٩) معاني القرآن ١/١٤ .

أنه لاحاجة بالدارس الى أن يلتمس المحجة من الشعر مادامت القراءة على ذلك ،
لان القراءة أقوى في المحجة من الشعر .

ومنها هو بسبب من اعتدادهم بالقراءة أن يعتدوا بالحديث ، ويحتاجوا به
في اثبات حكم ، أو تقرير قاعدة ، ولكنهم فيما بدا لي من استقراء آرائهم
واقولهم أن احتجاجهم بال الحديث قليل ، ولا أعني بهذا أنهم لا يحذثون ، أو
لا يأخذون عن المحدثين ، فلم يكن هذا ليكون من عزبهم ولا من أسلوبهم فسي
الدرس .

واكبر الظن أنهم ، أو في الاقل اوائلهم ، كانوا من القراء أو المعنيين
بالقراءات ، وقد وجدوا في رواية اللغة وفي رواية القراءة من مذاهب الكلام ،
واللوان التعبير ما كفاهم مثونة البحث في الحديث .

أو لعلهم رأوا أن الأحاديث لم تكن لتقرأ أو تُجود ، كما كان القرآن يُقرأ
ويُجود فتتسرب إلى القراءات خصائص المزجات التي انضوت تحت لهجة قريش التي
اتخذت لغة الشعر والخطابة وغيرهما من فنون الكلام .

أو لعلهم رأوا أن الأحاديث لا تقتصر على قول النبي الكريم بل تشمل فعله
واقراره أيضا ، ولذلك جاز رواية الحديث بالمعنى ، أما القرآن فلا يجوز تغيير
نصله ، ولا تبديل كلماته ، ولا قراءته بالمعنى ، ولم يكن اختلاف القراءات يعني
تغييرها في النص ولا تبديلا لللفظ ، ولكنه يعني التيسير على المسلمين أن يقرءوه
بما كان يتيسر لهم ، ربما تضطرهم إليه عاداتهم اللغوية التي تعودوها من ادغام
أو بيان ، أو فتح أو امالة ، أو همز ، أو تسهيل ، أو ترقيق أو تحريم أو نحو
ذلك ، ربما دخل في السبعة الاحرف اختلاف في وجوه الاعراب (٤٠) . ومن
أجل التخفيف على المسلمين والتيسير عليهم أباح النبي صلى الله عليه وسلم
للمسلمين أن يقرءوا من القرآن ما تيسر لهم ، وجاء عنه الحديث المشهور : (أنزل

(٤٠) متأمل العرفان - الزرقاني ١٤٨ / ١

القرآن على سبعة أحرف فاقرءوا ماتيسر منه، • (٤١) أو قال : « ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ولا حرج ولكن لاتختموا ذكر رحمة بعذاب ، ولا ذكر عذاب برحمة » (٤٢) ، أو قال : « ان القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف » (٤٣) . وزعم الزركشى أن الخليل بن أحمد كان يفسر الحرف بالقراءة (٤٤) ، وجاء في اللسان : « روى الإزهري عن أبي العباس ولعله يعني ثعلبا - أنه سئل عن قوله : « نزل القرآن على سبعة أحرف » ، فقال : ماهي الا لغات » (٤٥) .

غير أن في الأحاديث ثروة لغوية ضخمة لفتت انتباه اللغويين فأقبلوا عليها يصنفون فيها المصنفات على غرار المصنفات التي صنفت في غريب القرآن . ومن هذه المصنفات :

كتاب غريب الأحاديث والآثار لابي عبيد القاسم بن سلام المتوفي سنة ٢٢٤ للهجرة .

وكتاب الغربيين غربي القرآن والحديث لابي عبيد الهرمي المتوفي سنة ٤٠١ للهجرة .

وكتاب الفائق في غريب الحديث لابي القاسم الزمخشري المتوفي سنة ٥٨٣ للهجرة .

وكتاب المجرد للغة الحديث لموفق الدين البغدادي المتوفي سنة ٦٢٩ للهجرة .

وكانـت هذه المصنفات وغيرها منبعا ثرا للمعجمات اللغوية ، أفادـت منها

(٤١) صحيح البخارى / ٦ ٢٢٨ .

(٤٢) البرهان فى علوم القرآن / ١ ٢١٢ .

(٤٣) مناهل العرفان / ١ ١٣٢ .

(٤٤) البرهان فى علوم القرآن / ١ ٢١٤ .

(٤٥) لسان العرب / ٩ ٤١ .

كثيراً ، وأغنت منها كثيراً ، ولو شئنا لاوردنا مما جاء فيها من غريب كثيراً من الامثلة لولا أن ذلك يخرج بنا عن حدود موضوعنا .

غير أن الأحاديث التي تتعلق بالدرس النحوي قليلة جداً ، ولم أجده عند الفراء ونعلم من البغداديين من الأحاديث التي لها صلة بالدرس النحوي شيئاً ذا بال إذا قرنت بالآحاديث التي تتعلق بالقرآن والقراءات ، وفي معاني القرآن من هذه الأحاديث ما يعسر حصره .

ومن الأحاديث التي احتاج بها الفراء لتقرير مسألة تشبه أن تكون نحوية ماجاء في (معاني القرآن) حين عرض الفراء لقوله تعالى من سورة البقرة : « الا أن يخافوا الا يقيما حدود الله » ، فقد عرض للقراءات المختلفة ، قراءة عبدالله ابن مسعود : « الا أن تخافوا » وقراءة حمزة : « الا أن يُخافا » ببناء الفعل لما لم يسم فاعله ، وقراءة أَبَيِّ « الا أن يظنا ألا يقيما حدود الله » ، لم يرد الفراء قراءة منهان على اختلافهن ، وكل ما عقب به على قراءة حمزة أنه قال : « ولا يعجبني ذلك » (٤٦) ، أما قراءة أبي فقال في تصحيحها : « والخوف والظن متقاربان في كلام العرب ، من ذلك : أن الرجل يقول : قد خرج عبدك بغير إذنك ، فتقول أنت : قد ظنت ذاك ، وخفت ذاك ، والمعنى واحد » (٤٧) .
ثم استشهد بقول الشاعر :

أنا في كلام من نصيبي يقوله
وما خفت ياسلام أنك عائبي

وبقول الآخر :

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة
تروي عظامي في الممات عروقها

أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها
ولا تدفنني في الفلاة فانني

قال الفراء : « والخوف في هذا الموضع كالظن لذلك رفع (أذوقها) » ،
كما رفعوا « وحسبوا أن لا تكون فتنة » وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم :

(٤٦) معاني القرآن ١/١٤٥ .

(٤٧) معاني القرآن ١/١٤٦ .

» أمرت بالسؤال حتى خفت لادردن« ، كما تقول : ظن ليذهبن «(٤٨) .

وقد استقررت ماجاء عند ثعلب في مجالسه من أحاديث فإذا هي كثيرة ، ولكنني لم أقف منها على جديد في هذه المسألة ، يذكر ثعلب الحديث ليفسره ، أو ليذكر مناسبته ، أو ليشرح غريبه ، أما الاحتجاج به على حكم نحو ، أو على تصحيح مسألة فشىء - في حدود علمي - لم أقف عليه .

وكنت من قبل وأنا أدرس منهج مدرسة الكوفة قد تابعت الزاعين أن أئمة الـدارسين من الكوفيين والبصريين كانوا قد رفضوا الاستشهاد بالحديث ، أمثال البغدادي في (خزانة الأدب) فقد رأيته يزعم أن الحديث لم يعن به أئمة النحو المتقدمين من المصريين في الاحتجاج ، أو الاستشهاد ، وأن المتأخرین افترقوا فرقتين ، فمنهم من منع الاستدلال به ، ومنهم من جوزه .

ومن المانعين : ابن الصائع وأبو حيان ، وسندهما أمران :

أحدهما : أن الأحاديث لم تنقل كما سمعت من النبي وإنما رویت بالمعنى ، كما جاء عن سفيان الثوري قوله : « إن قلت لكم إنني أحدثكم كما سمعت فلا تصدقونني إنما هو المعنى » (٤٩) : وأن كثيراً من رواياتها كانوا من غير العرب ، وقد تعلموا العربية بالصناعة « فوق اللحن في كلامهم وهم لا يعلمون » (٥٠) . وثانيهما : أن أئمة النحو المتقدمين من المصريين لم يحتجو بشيء منه (٥١) ، وقد ردت هذا في فصل خاص به (٥٢) .

(٤٨) معانى القرآن ١٤٦/١ .

(٤٩) مقدمة الخزانة ص ٥ .

(٥٠) مقدمة الخزانة ص ٦ .

(٥١) مقدمة الخزانة ص ٥ .

(٥٢) مدرسة الكوفة ص ٥٩ .

ومن المجوزين : ابن مالك ، وأرضى الاسترابادي ، وجاء الشاطبي
فتوسط ، وجوَّز الاستدلال بالاحاديث التي اعتنى بنقل ألفاظها (٥٣) .

ولا أظن المقصود من الاحتجاج بالاحاديث أن يستخلص منها النادر من الكلم ، أو يشرح الغريب منها ، فذلك مالم يدر في ذهن المانعين ، ففي كتب الاقديمين ، وفي المعجمات اللغوية من الاحاديث ما يعسر حصره ، ولم يرفضه الائمة ، ولم يشنهم عن الاحتجاج به مقامة المحدث الكبير سفيان الثوري ولا غيره .
...

ويبدو لي أن المانعين كانوا قد اجتهدوا فأخطأطوا ، وكانت حججهم في المنع افتراضات لا تتصل بواقع الحال بسبب ، لأن رواية الحديث بالمعنى ليست سبيل المحدثين جميعا ، ولو كانت سببا لهم فعلاً نا حال ذلك دون الاحتجاج بها ، لأن كثيراً من حملة الحديث ورواته كانوا في مرتبة عالية من الفصاحة كاصحاح أبي وانتابعين والحافظ الصابطين . ولأن المحدثين من غير العرب لم يجازوا إلا بعد الاطمئنان إلى أنهم كانوا غاية في الشبطة والاتقان ، ولذلك كان يونس بن حبيب النحوي يحتاج بكلام أبي علي الاسواري فيما حکى الجاحظ في البيان والتبيين ، وكان الخليل بن أحمد على جملة قدره يأخذ الحديث عن أیوب بن أبي تميمة السختياني .

على أن المسألة فيما يبدو لي لا تعني الافادة من غريب الحديث ، وإنما تعني الاحتجاج به لاصل نحوه أو قاعدة عامة ، وهو مانع يظهر أنه أثر فعلة في كلام الائمة المقدسين ، أو لم يكن مأخوذا به على نطاق واسع كما أخذ بالرواية عن الاعراب وعلماء الбادية ، أو بقراءات القرآن .

٢ - ومن الخصائص المذهبية للدرس النحوي في بغداد أنه كان يخضع القياس للنقل ، ويعمل البغداديون جاهدين أن يغيثروا الاصول لتكون وفق الامثلة

(٥٣) مقدمة الغزانة ص ٦

المسنودة، وهو دليل واسع على اعتقادهم بانسماع وأعتدادهم بالرواية، واتساع دائرة النقل عندهم ، ونكن البصريين كانوا ينفذون من هذا الى الطعن عليهم ، فقد عدوا ترخصهم في قبول ما يأباه القياس افسادا للنحو ، حتى قال ابن درستويه غامزا النسائي : « كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز الا في الضرورة فيجعله أصلا ويقيس عليه فأفسد النحو » (٥٤) ، وحتى كان الرياشي يعيّب على الكوفيين منحاتهم في قبول كل ما يصح لديهم من كلام العرب فيقول : « انما أخذنا اللغة عن حرشة الضباب ، وأكلة انيرابيع ، وهؤلاء أخذوا اللغة عن أهل السواد أصحاب الكواميغ وأكلة الشواريز » (٥٥) .

وقال أبو نصر الفارابي اللغوي : « والذين عنهم نقلت اللغة العربية ، وبهم أقتدي ، وعنهم أخذ المسان العربي من بين قبائل العرب هم : قيس وتميم وأسد ، فان هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمها ، وعليهم اتشكيل في الغريب ، وفي الاعراب والتصريف ، ثم هذيل ، وبعض كنانة وبعض الطائين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم . وبالجملة فانه لم يؤخذ عن حضري قط ، ولا عن سكان البراري من كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم » (٥٦) .

قيل كل هذا ليغمزوا البغداديين تصريحا أو كناية ، ولكن لاينبني أن يجوز هذا ونحوه على الدارسين ، فلغة الحواضر في الحجاز هي اللغة الفصحى التي نزل بها القرآن ، وهي التي كان أهلها يتهدونها بما كانوا يستحسنون من لغات القبائل التي كانت تقد على مكة وغيرها في الموسم ، ويتخرون من كلامهم وأشعارهم أحسن مافي لغاتهم ، وأصفى مافي كلامهم ، ثم يضيفون ذلك إلى ما طبعوا عليه فصاروا من أجل ذلك أوضح العرب ، كما أشار إليه الفراء

(٥٤) بغية الرعاء ٣٣٦ .

(٥٥) أخبار النحويين البصريين ٩٠ بيروت .

(٥٦) المزهر ١/٢١٢ .

وغيره (٥٧) . ولم تكن قريش بمعزل عن الاتصال بالام الاجنبية في الشمال والجنوب . فلا وجه لمقالة أبي نصر وزعمه أن العلماء من المصريين لم يأخذوا عن حضري قط ، ولا عنمن سكن أطراف بلاد العرب المجاورة لسائر الامم الذين حولهم . ويبدو أن آخر كلامه يخالف قوله ، فمن القبائل التي أخذ العلماء عنها أكثر ما أخذوا ومعظمها : أسد ، وأسد من القبائل التيجاورت النبط والفرس ، ولم تحمل مجاورتها ايام دون أن تكون من القبائل التي وصفت لفتها بالفصاحة .

يؤيد هذا أن الكسائي لما طلب النحو ، ووفد على البصرة ، واختلف إلى مجلس الخليل بن أحمد يسمع منه ، ويستكثر عنه قال له « رجل من الاعراب : تركت أسدًا وتماماً وعندهما الفصاحة وجئت إلى البصرة ! » (٥٨) .

ويؤيده أيضاً أن ابن النديم كان قد عقد فصلاً في فهرسته عرض فيه للفصحاء عن الاعراب الذين سمع اعلماء منهم ، وأخذوا عنهم ، وكان من هؤلاء من قصد إلى البصرة وبغداد ، واتصلوا بالعلماء من المصريين ، وأقاموا فيما وربما اصططع بعضهم الورقة لأبي خيرة ، وأبي مالك عمرو بن كركرة ، وربما اتصل بعضهم بالبرامكة لأبي شibli العقيلي ، وأبي العميشل الذي كان يؤدب عبدالله ابن طاهر بخراسان ، وأبي الجاموس ثور بن يزيد الذي كان يفد على آل سليمان ابن علي ، وعنده أخذ بن المفع الفصاحة ، وأبي البيداء الرياحي ، وكان أعرابياً نزل البصرة ، وأقام فيها ، وكان يعلم الصبيان بأجرة (٥٩) .

وكأبي المهدى أو أبي مهدية الحجازي ، والمنتجع اللذين أقاما في البصرة وكانتا من سلامة اللغة أنهما كانوا مرجع الدارسين فيما كان يشكل عليهم ، وكان أبو عمرو بن العلاء يحتاج بكلامهما ويستفتياهما (٦٠) .

(٥٧) المزهر ٢٢١/١ . الصاحبى ٢٣ .

(٥٨) نزهة الآباء ٨٣ .

(٥٩) فهرست ابن النديم ٦٦ فما بعدها .

(٦٠) ذيل الامالي والنادر - القالى ٣٩ .

ويؤيده أيضاً ما تحدث به الجاحظ عن قصاص من الأعاجيب . منهم أبو علي الاسواري الذي كان يقص في مسجده ستة وثلاثين سنة ، كان يقص في موضوعات كثيرة ، ويجعل للقرآن نصيباً من قصصه « وَتَانْ يُونِسْ بْنْ حَبِيبٍ يسمع منه كلام العرب ، ويحتاج به » (٦١) .

فأين يقع بعد هذا ما تحدث به أبو نصر الفارابي ، وما زعمه أبو الفضل الرياشي ، وما خلط به ابن درستويه بقوله : « كأن الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز من الخطأ واللحن وشعر غير أهل الفصاحة والضرورات فيجعل ذلك أصلاً ويقيس عليه حتى أفسد النحو ؟ » (٦٢) .

وابن درستويه وأشباهه إنما كانوا يتحدثون عن أصولهم الموضوعة ، وعن تعلمهم الحجج والتعليلات التي لا صلة لها بطبيعة الدرس النحوي ، ويررون أن مالم يخضع لتلك الأصول فهو شاذ ومطروح ، وهو خطأ ولحن وضرورة .

الحق أن الكسائي كان في غنى عن أن يلجأ إلى حكايات مطروحة ، وهو الذي لازم الخليل ، واختلف إلى مجلس أبي عمرو بن العلاء ، واستكثر عنهما ، ثم طاف في بوادي نجد والمحجاز وتهامة يسمع فيها الأعراب ، ويشافهم ، ويدون ما كان يسمع حتى قيل : انه أنفق خمس عشرة قنينة من العبر في الكتابة عن العرب سوى ماحفظ (٦٣) .

فلم تعوز الكسائي الرواية عن الفصحاء ، وَتَانْ كل ما عيّبه به عليه أنه كان لا يشدد في الرواية عن غير أولئك الذين زعم أبو نصر وأبو الفضل أنهم مصدر الدارسين ، وأنه كان يترخص في قبول رواية من يشق بفصاحتها ، وان لم تنسجم مع الأصول الموضوعة ، ويأخذ بالقراءات الصحيحة وان خالفت تلك الأصول .

(٦١) البيان والتبيين ٣٤٦/١ ، ٣٤٧ .

(٦٢) معجم الأدباء ١٣/١٨٣ .

(٦٣) نزهة الآباء ٨٤ .

ان أحد الكسائي وتلاميذه بهذه الرواية او تلك صادر عن ايمان بالسماع وبأن انسماع هو السبيل الى الدرس النحوي ، وبأن هذه المسموعات التي سميت بـ المفاريد ، او بـ اخبار الآحاد انما تمثل بيئات لغوية حية ألغفلها تشديد النحاة وتقعدهم وجهمتهم طبيعة هذا الدرس ، لأنهم كانوا قد قيدوا انفسهم بأصول استنبطوا من حدود ما سمعوا ، وعدوا ما يتعارض معها من المفاريد مخالفات لقياس ، فان كان الراوي موثقا بفصاحته قبلوا روايته على أن تكون من الشواذ التي تحفظ ولا يقاس عليها ، وان لم يكن معروفا لديهم ردوه او حملوه على اللحن والخطأ .

ومن هنا يبدو مدى تعسف البصريين في اعتبار الاصول التي أخذوها عن السلف ، وجعلها اصولا لغيرها بلغاتها المختلفة ، ولهجات القبائل المترفة في أنحاء الجزيرة . ويبدو ، كذلك ، مدى صدق البغداديين في نظرتهم الى اللغة والروايات المنفردة التي يشكون بفصاحتها ، فقد كانت الاوصول الموضوعة عندهم من الهوان بحيث لا تحوطها القدسية ، ولا تثبت أمام الرواية يسمعونها من أعرابي او أعرابية ، ولذلك كان للسماع عندهم شأن عظيم ، لا يترددون في قبوله ، ولا في تعديل الاوصول من أجله .

وليس عيبا أن يسمع الكسائي الشاذ فیأخذ به ، وأن يقف الفراء من القراءات موقف المتقبل المصحح وان كانت مخالفة للأوصول الموضوعة ، لأن لغة القرآن عنده أقصى أسلوب العربية ، وأن القراءات « أعراب واقوى في الحجة من الشعر » .

وبعد فخلاصة السمات التي اتسم بها الدرس النحوي في بغداد هي :

١ - تحرر من ربقة تحكيم العقل في الدرس اللغوي .

٢ - واضافة لها قيمة كبيرة ردت الى الدرس النحوي اعتباره .

- ٣ - وتجديـد في أسلوب الدرس بـرفض التعليـلات التي لا صـلة لها بالدرس .
- ٤ - وتغـلـيب للنـقل على الـقيـاس ، ثم تحـكـيم الـاعـتـبارـات الـلغـويـة في أصـول الـدرـس وقوـاعـده المـوضـوعـة .

هذه هي السمات الجديدة التي لم نعهدـها في الـدرـس البـصـري الذي استطـاع بـمنـطقـيـته وـتعـقـلـه وـاطـرـادـه أحـكـامـه أن يـبـسطـ سـلـطـانـه عـلـى أفـكـارـ الدـارـسـين عـلـى تـعـاقـبـ العـصـورـ حتى عـادـ المـذـهـبـ البـصـريـ مـذـهـباـ (رـسـمـيـاـ) ، وـسيـطـرـ حتـى عـلـى الـدرـس النـحـوـيـ فيـ عـصـرـناـ هـذـا ، وـماـ تـزـالـ الكـتـبـ (المـقرـرـةـ) فيـ مـدارـسـ الـاقـطـارـ الـعـرـبـيـةـ عـلـى اختـلـافـ مـراـحلـهاـ تـؤـلـفـ عـلـى غـرـارـ الكـتـبـ الـقـدـيمـةـ ، وـيـقـومـ بـتأـلـيفـهاـ (بـصـرـيـونـ) صـغـارـ وـرـثـواـ الـمـنهـجـ الـمـنـطـقـيـ فـيـ النـحـوـ فـطـبـقـوهـ فـيـ غـيرـ وـعـيـ ، وـلـمـ تـفـدـ مـعـهـمـ صـرـخـاتـ الدـعـوـةـ إـلـىـ التـجـدـيـدـ وـالـاصـلـاحـ وـالـتـيسـيرـ ، فـقـدـ خـطـطـ لـهـمـ أـنـ يـحـنـطـوـاـ عـقـولـهـمـ وـيـغـلـقـواـ دـوـنـ أـذـهـانـهـمـ الـبـابـ الـمـؤـدـيـ إـلـىـ سـاحـةـ الـدـرـسـ الـلـغـوـيـ الـفـسـيـحـةـ الـتـيـ مـهـدـتـهـا الـدـرـاسـاتـ الـلـغـوـيـةـ الـحـدـيـثـةـ .

وـماـ تـزـالـ مـؤـسـسـاتـنـاـ الـثـقـافـيـةـ وـالـادـبـيـةـ وـالـعـلـمـيـةـ تـسـلـكـ سـبـيلـ الـأـولـينـ ، وـتـفـرـضـ عـلـىـ عـقـولـ النـاشـئـينـ (نحوـ اـبـنـ مـالـكـ وـشـرـاحـ أـلـفـيـتـهـ) ، وـنـحـوـ اـبـنـ الـحـاجـبـ وـشـرـاحـ كـافـيـتـهـ بـأـسـلـوبـهـ الـعـقـيمـ ، وـمـنـهـجـهـ الـعـقـلـ السـقـيـمـ وـبـمـاـ اـتـسـمـاـ بـهـ مـنـ جـدـبـ وـجـمـودـ .

وـتـعـقـدـ المؤـتـمـراتـ التـرـبـوـيـةـ وـالـلـغـوـيـةـ وـالـادـبـيـةـ فـتـتـنـاـوـلـ بـالـدـرـسـ كـلـ شـئـيـءـ الاـ مشـكـلـةـ الـعـقـمـ الـذـيـ اـتـسـمـ بـهـ تـدـرـيـسـ النـحـوـ ، معـ عـلـمـهـمـ بـعـزـوفـ الـجـيـلـ عـنـهـ ، وـبـرـمـهـ بـهـ ٠٠٠ـ وـأـكـتـفـيـ بـهـذـاـ ثـلـاثـاـ يـخـرـجـ القـوـلـ بـيـ عـنـ حـدـودـ ماـ أـنـاـ بـصـدـدـهـ ، وـلـانـ لـلـكـلامـ عـلـيـهـ مـجاـلـآـ آـخـرـ ، وـمـقـالـاتـ آـخـرـ .

غلبة المذهب البصري

سار الدرس النحوي الكوفي منذ نشأته في بغداد على هذا النهج الذي أهلته طبيعة الدرس من جهة ، وسبيل القراء في الدرس من جهة أخرى ، وغير الدارسون في بغداد يعتمدون الرواية والسماع والمشاهدة أصولاً للدرس النحوي ، بعيداً عن الاعتبارات العقلية ، والاحتتجاجات والتعليلات والقياسات التي ي مليها منطق أعقل ، غير أن هذا كان ، من وجهة النظر البصرية ، افساداً للنحو ، وارتقاوا بال نحو إلى أسفل على حد تعبير أبي محمد اليزيدي في غمزة الكسائي واصحابه وتلاميذه (١) .

وقد تعامل ابن درستويه على الكسائي فزعم ان الكسائي « كان يسمع الشاذ الذي لا يجوز من الخطأ واللحن وشعر غير أهل الفصاحة والضرورات فيجعل ذلك اصلاً ، ويقيس عليه حتى افسد النحو » (٢) .

وتصدى أبو حاتم السجستاني للدارسين في بغداد وفيهم علي بن حمزة الكسائي ، ويحيى بن زياد الفراء ، وأحمد بن يحيى فتعامل عليهم تعاملاً دل على تخبطه في فهم طبيعة الدرس ، وزعم أن أحدهم « يتحفظ مسائل من نحو بلا عمل ولا تفسير ، فيكثر كلامه عند من يختلف إليه ، وإنما هم أحدهم إذا سبق إلى العلم أن يسيّر اسماء يخترعه نينسب إليه ، فيسمى الجمر

(١) نور القبس ٢٨٧ . . جاء ذلك في أبيات لابي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي ، أولها:

على لسان العرب الأول

كنا نقيس النحو فيما مضى

والبيت الذي أشرنا إليه هو :

يرقون في النحو إلى أسفل

ان الكسائي واصحابه

(٢) معجم الأدباء ١٣ / ١٨٣ .

خضا ، والظرف صفة ، ويسمون حروف الـجـرـ حـرـفـ الصـفـاتـ والعـطـفـ النـسـقـ وـ (ـ مـفـاعـلـيـنـ)ـ فـىـ اـعـرـوـضـ (ـ فـعـولـانـ)ـ ، وـ نـحـوـ هـذـاـ مـنـ اـتـخـلـيـطـ (ـ ٣ـ)ـ .

وعابـ غـيرـهـماـ عـلـىـ أـبـىـ اـنـبـاسـ ثـلـبـ اـنـهـ «ـ كـانـ يـدـرـسـ كـتـبـ الفـرـاءـ وـ كـتـبـ الـغـسـائـيـ دـرـسـاـ ، وـ لـمـ يـكـنـ يـعـلـمـ مـذـهـبـ الـبـصـرـيـينـ ، وـ لـاـ مـسـتـخـرـجـاـ لـمـقـيـاـسـ وـ لـاـ طـالـبـاـ لـهـ ، وـ كـانـ يـتـوـلـ :ـ قـالـ اـنـفـرـاءـ وـ قـالـ الـكـسـائـيـ ، فـاـذـاـ سـئـلـ عـنـ الـحـجـةـ وـ الـحـقـيقـةـ فـىـ ذـلـكـ نـمـ يـغـرـقـ فـىـ النـظـرـ (ـ ٤ـ)ـ .

لـقـدـ ظـنـ السـجـسـتـانـيـ وـابـنـ درـسـتـوـيـهـ وـغـيرـهـماـ مـمـ اـحـتـذاـهـمـاـ اـنـ سـبـيلـ الـدـرـسـ الـنـحـوـيـ هـوـ الـأـغـرـاقـ فـىـ النـظـرـ ، وـاصـطـنـاعـ التـعـلـيلـ وـالتـأـوـيـلـ وـالـقـيـاـسـ ، وـكـانـواـ فـىـ هـذـاـ وـاهـمـيـنـ ، لـاـنـهـمـ كـانـواـ يـجـهـلـونـ طـبـيـعـةـ الـدـرـسـ وـيـجـهـلـونـ اـنـ سـبـيلـهـ هـيـ الـرـوـاـيـةـ وـالـسـمـاعـ وـالـمـلـاحـظـةـ ، وـهـوـ ماـكـانـ الـكـوـفـيـوـنـ اـبـغـدـادـيـوـنـ يـصـطـنـعـونـهـ فـىـ درـاستـهـمـ الـنـحـوـ ، وـوـضـعـهـمـ اـصـوـلـ .

غـيرـ اـنـ النـهـجـ الـذـيـ رـسـمـهـ الـكـسـائـيـ المـقـرـءـ ، وـتـعـهـدـهـ الفـرـاءـ الـذـيـ كـانـ يـحـترـمـ اـقـرـاءـ ، وـيرـىـ فـىـ النـقـلـ عنـ الـمـوـثـقـ بـفـصـاحـتـهـمـ أـصـلـاـ منـ اـصـوـلـ هـذـاـ الـدـرـسـ كـانـ يـشـقـ طـرـيـقـهـ فـىـ بـيـثـاتـ الـدـرـسـ فـىـ بـغـدـادـ ، وـيـضـعـ اـسـسـهـ لـاـ يـلـوـيـ عـلـىـ شـيـءـ ، وـلـمـ يـشـنـهـ عـنـ ذـلـكـ حـمـلـاتـ الـمـعـصـبـيـنـ وـتـخـرـصـاتـهـمـ عـلـيـهـ .

وـاـذـ كـانـ هـذـاـ عـيـباـ نـمـ قـدـمـاءـ الدـارـسـيـنـ الـبـصـرـيـينـ ، وـافـسـادـاـ لـلـنـحـوـ ، فـقـدـ تـغـيـرـتـ الـعـالـىـ فـىـ هـذـاـ العـشـرـ ، وـلـمـ يـعـدـ مـقـبـولاـ مـنـ دـارـسـ شـهـيدـ نـضـجـ الـدـرـسـ الـذـنـوـيـ ، وـتـحـدـدـ مـنـاهـجـ الـدـرـسـ أـنـ يـتـابـعـ الـقـدـمـاءـ مـتـابـعـةـ ، أـوـ يـقـلـدـهـمـ تـقـليـداـ ، فـلـمـ يـعـدـ الـدـرـسـ الـنـجـوـيـ نـظـراـ وـجـدـلاـ وـتـعـلـيـلاـ ، كـمـاـ لـمـ يـعـدـ الـدـارـسـ الـنـجـوـيـ مـنـاظـراـ فـىـ تـنـازـلـهـ مـوـضـوـعـاتـ الـنـحـوـ بـالـدـرـسـ .

كـانـ الـقـدـمـاءـ اـذـ درـسـوـاـ الـنـحـوـ فـىـ غـيرـ مـنـهـجـهـ قدـ فـتـحـوـ الـبـابـ اـمـامـ الـاعـتـبارـاتـ الـعـقـلـيةـ فـىـ الـاحـتـجاجـ لـهـ وـالـتـعـلـيلـ لـظـواـهـرـهـ ، وـكـانـ الدـارـسـوـنـ الـبـصـرـيـوـنـ هـمـ الـذـيـنـ فـتـحـوـ هـذـاـ الـبـابـ ، موـغـلـيـنـ فـىـ التـأـوـيـلـ وـالتـقـدـيرـ ، غـالـيـنـ فـىـ الـقـيـاـسـ

(٣) مـرـاتـبـ الـنـحـوـيـنـ ١٠١ـ ، ١٠٢ـ .

(٤) طـبـقـاتـ الـنـحـوـيـنـ وـالـلـغـوـيـنـ ١٥٥ـ ، ١٥٦ـ .

وأنتعليل ، متأثرين بالاعتبارات الجدلية التي كانت سبيل الناظر والمتكلمين في الدفاع عن العقيدة ، ومقارعة الأفكار المعادية الوافدة .

وكانت البصرة موطن الكلام والنظرية ، وكان ظهور المتكلمين يمهد السبيل لعقلية الجديدة التي أخذت مكانها في تاريخ الفكر والحضارة ولم يكن ذلك ليكون قبل الوقوف على ثمرات الجيود الإنسانية التي سبقت الإنسان العربي المسلم . لهذا كان المجتمع العربي الإسلامي متفتحاً لثقافات الأجنبية التي أخذت تظير شيئاً فشيئاً حتى اكتمل ظيورها بالترجمة والنقل ، وكان العصر العباسي هو عصر هذه النقلة العظيمة للحياة العقلية ، النقلة التي تجاوزت بالحياة من أفقها الحدود إلى أفق أوسع وأرحب ، التقت فيه بآفاق الامم وحضاراتها . وكان لعصر المؤمن خاصية تأثير كبير في هذه النقلة فقد كان من التفتح أن ضمن لمثل الأديان المختلفة حرية الدين والعبادة . وكان المؤمن يفتح مجلس الخلافة أمام هؤلاء وغيرهم ، وكان يشجع الفنون والعلوم والأداب والفلسفات « وقد أرسى البعض إلى القسطنطينية والسكندرية وانتاكية وغيرها من المدن للبحث عن مؤلفات علماء اليونان ، واجرى الارزاق على طائفة كبيرة من المתרגمين لنقل هذه الكتب إلى العربية ، وانشأ مجتمعًا علميًّا في بغداد ومرصددين فيها وفي تدمر ، وكان الأطباء والفقهاء والموسيقيون والشعراء وعلماء الرياضة والفلك يستمتعون كلهم بعطائهم »^(٥) .

ويرجع هذا الفتح لثقافات والعلوم والفلسفات إلى ما كان المتكلمون والنظرار يمهدون له في نظاراتهم وجداولهم من دعوة إلى تحكيم العقل في الإيمان والمعتقد وسائل شئون الحياة .

وكان اندرس النحوي في البصرة بدأ ينضج في هذه البيئة التي جعلت العقل وأحكامه فوق جميع الاعتبارات ، ويتأثر بأساليبه ، وإذا عرفنا أن

(٥) قصة الحضارة ٦٩/١٣ .

كثيراً من النحاة كانوا من المتكلمين أدركنا عمق الصلة بين الدرس النحوي وأساليب المنطق والكلام ، ومدى تأثره بأساليب المتكلمين والنظرار وكان الدارس النحوي يزداد اتصالاً بالفلسفة والمنطق حتى خضع لاسلوبها خصوصاً كاملاً عند نحاة القرن الرابع الميلادي ، ولم يكن متوقعاً أن يظل في نجوة من هذا المد العقلي الذي طغى على كثير من الدراسات .

وكان من مظاهر ذلك ان ظهر دارسون تمثل فى نتاجهم عمق الاتصال بين العقلية العربية الاسلامية والعقليات الاجنبية من يونانية وهندية وفارسية واتسموا بسمة الاطلاع ، وتعدد جوانب المعرفة ، ومن بين هؤلاء : ابو حنيفة الدینوری وابن قتيبة .

اما ابو حنيفة الدینوری فقد كان مهر فى ثقافات متعددة . فهو اخذ اللغة والنحو من شیوخ بغداد وغيرهم فقد كان ، كما تروى كتب الطبقات مهندسا وحاسبا وراوية موثوقة بروايته . وان الوقوف على اسماء الكتب التي صنفها مما اشار اليه ياقوت وغيره ليدل على مبلغ تعمقه في الثقافة البغدادية ، واتساع المame بالثقافات الجديدة ، فمن كتبه : كتاب الانواء ، وكتاب حساب الدور ، وكتاب البحث في حساب الهند وكتاب البلدان ، وكتاب النبات ، وكتاب الاخبار الطوال ، وكتاب نوادر الجبر ، وكتاب الكسوف ، وكتب اخرى في اللغة والادب والتفسير ، ككتاب الفصاحة ، وكتاب الشعر والشعراء ، وكتاب تفسير القرآن ، وكانت

ثقافته العربية عميقة وواسعة حتى كان أبو حيان التوحيدي يفضله على الجاحظ ، ويرى أن لفظه « اعدب واغرب ، وادخل فى اساليب العرب من لفظ ابى عثمان »^(٦) .

واما ابن قتيبة فكان واحدا من الذين نالوا اعجاب المدارسين فى عمق ثقافته وتعدد جوانبها ، فقد حدق العربية لغة وادبا وافاد من الثقافات الجديدة . يدل على ذلك ما كتبه فى الأدب والشعر واللغة ، وما اضاف اليه من ثقافة الفرس واخبارهم ، وفلسفة اليونان وعلومهم ، الا ان الطابع الغالب فى كل ما كتب عربياً أعرابياً ، وابرز ذلك : عيون الاخبار ، وادب الكاتب ، والشعر والشعراء ، والمعارف ، وغريب الحديث ، واعراب القرآن^(٧) .

غير ان الدرس النحوي في بغداد ظل امينا على منهجه ، بعيدا عن التأثر بأساليب المتكلمين بالرغم من ان شيخ هذا الدرس وباني نهجه أبا زكرياس الفراء كان واحدا من المتكلمين ، خائضا فيما كان يخوض فيه المدارسون فى بغداد ، وذلك لصلة هذا الدرس بالمقرئين القراءات ، والتزامه بمنه ،—يج القراء ، وكان أبو العباس ثعلب وارث علم انكسيانى والفراء خير من يمثل هذا الاتجاه الذى كان سمة الدرس النحوي فى بغداد وطابعه ، حتى كان التزامه هذا المنهج ، وتطبيقه على علمه بال نحو يعد في نظر النحاة المناطقة عيبا يغمزونه به حتى كان قائلهم يقول : « كان يدرس كتب الفراء وكتب الكسيانى درسا ، ولم يكن يعلم مذهب البصريين ، ولا مستخرجا للقياس ، ولا طالبا له . وكان يقول : قال الفراء وقال انكسيانى ، فإذا سئل عن الحجة والحقيقة فـ ذلك لم يغرق في النظر »^(٨) .

(٦) معجم الادباء ٢٧/٣ .

(٧) فهرست ابن النديم ١١٥ ، ١١٦ . وفيات الاعيان ٢٤٦/٢ .

(٨) طبقات النحوين واللغويين ١٥٥ ، ١٥٦ .

وكانت انجلة العظيمة التي شهدتها بغداد في الحضارة والفكر قد مهدت
أذهان الدارسين لقبول النحو البصري المتأثر بالفلسفة ، والقائم على الجدل
والتحليل والاحتجاج ، وقد وضع هذا في اوضاع صورة بورود المبرد ببغداد
بنحوه المتأثر بالفلسفة الكلامية ، وكان وروده ببغداد متحولا للدرس النحو
فيها ، فما كاد يستقر بالمبرد المقام في بغداد حتى نفت انتباه الدارسين إلى نفسه ،
فأقبلوا عليه يفتشونه ويناظرونـه في مسائل اللغة والنحو ، فرأوا فيه
طرازاً جديداً ، ونمطاً في الدرس لم يعهدوه من قبل ، ولم تمض الأيام حتى
انضم إلى مجلسه نفر من تلاميذ ثعلب ، وفي مقدمتهم أبو إسحاق الزجاج
الذي انقطع عن مجلس ثعلب ليلازم المبرد ، يأخذ عنه ، ويقرأ عليه كتاب
سيبوـيه ، وأخذ نفر آخرونـ من تلاميذ ثعلب يختلفونـ إلى المجلسين ، ويأخذونـ
عنـ الشـيخـين .

واستطاع المبرد بقوـةـ بيانـهـ ، وحـدقـهـ اسـاليـبـ الجـدلـ انـ يـسـتـأـثـرـ باعـجابـ
الـاـمـرـاءـ ، ويـجـتـذـبـ الـيـهـ أـنـبـهـ الدـارـسـينـ ، واسـتـطـاعـ تـلـامـيـذـهـ بـحـدـقـهـ اـسـلـوبـ
الـجـدلـ ، وـقـدـرـهـ عـلـىـ استـخـرـاجـ الـقـيـاسـ وـالـعـلـلـ انـ يـفـرـضـواـ مـذـهـبـهـ الـجـدـيـدـ
الـذـىـ اـخـذـهـ عـنـ الـمـبـرـدـ عـلـىـ مـجـالـسـ الـدـرـسـ ، وـيـسـطـوـواـ سـلـطـانـ الـمـذـهـبـ
الـبـصـرـيـ عـلـيـهـ بـالـنـابـيـنـ مـنـ تـلـامـيـذـهـ الـذـيـنـ آـلـتـ الـيـهـ الرـئـاسـةـ فـيـ النـحـوـ
كـابـيـ بـكـرـ بـنـ السـرـاجـ وـابـيـ القـاسـمـ الزـجـاجـيـ وـابـيـ سـعـيدـ السـيرـافـيـ وـابـيـ الـحـسـنـ
الـرـمـانـيـ وـابـيـ عـلـىـ الـفـارـسـيـ وـغـيرـهـ ، فـقـدـ كانـ هـؤـلـاءـ يـدـعـونـ إـلـىـ هـذـاـ الـمـذـهـبـ
وـيـتـعـصـبـوـنـ لـهـ ، وـرـبـماـ حـاوـلـاـ اـنـيـلـ مـنـ هـذـهـ الـبـغـدـادـيـنـ الـذـيـنـ لـزـمـوـاـ اـسـلـوبـ
أـشـيـاـخـهـ ، فـتـأـثـرـ بـهـ الـدـارـسـوـنـ عـلـىـ تـعـاقـبـ الـعـصـورـ ، وـتـابـعـهـ فـيـمـاـ تـعـصـبـوـ ،
وـفـيـمـاـ أـمـلـوـاـ وـفـيـمـاـ نـاظـرـوـاـ . وـكـانـ ظـهـورـ الـمـذـهـبـ الـبـصـرـيـ عـلـىـ الـمـذـهـبـ الـكـوـفـيـ
الـبـغـدـادـيـ مـنـعـطـفـاـ لـلـدـرـسـ الـنـحـوـيـ عـنـ نـهـجـهـ الـلـغـوـيـ السـلـيمـ .

وبالرغم من غلبة المذهب البصري ، وبسط سيطرته على بيوتات الدرس ، وخطوه بتشجيع الحدام والامراء ومؤازرتهم اياد بقى المذهب الكوفي البغدادي محتفظا بأصولته ، مؤثرا حتى في أعلام المذهب البصري ، فارضا كثيرا من آرائه على عقول الدارسين ، مشينا كثيرا من أوضاعه ومصطلحاته في حوار الدارسين وكتاباتهم . ويكتفي أن تتصفح كتاب الأصول لابن السراج وكتاب الجمل للزجاجي، وغيرهما من مؤلفات المعاصرين لهم لتتفق على مدى تأثير هذا الدرس الأصيل في الدارسين الذين ميزوا أنفسهم بانتسابهم إلى البصريين .

وكان للدرس الكوفي البغدادي دعوة من تلاميذ ثعلب ، وتلاميذ تلاميذه يدعون له ، ويدافعون عنه ، ويرجع اليهم الدارسون الآخرون في تفهمه ، والوقوف على آراء أعلامه .

فقد تلمذ أبو القاسم الزجاجي ، وهو الداعية لمذهب البصريين لبعض أعلام الدرس الكوفي البغدادي ، وأفاد منهم كثيرا ، لأنهم كانوا قد احاطوا علماء بأصول المذهب الكوفي البغدادي وأصول المذهب البصري ، وكانوا « قدوة أعلاما في علم الكوفيين ، وكان أول اعتمادهم عليه ، ثم درسوا علم البصريين بعد ذلك فجمعوا بين العلمين » (٩) ، الا أنهم كانوا أميل في دراستهم إلى الكوفيين كأبي بكر بن شقيق وأبي بكر بن الخطاط ، ولبعض أعلام الدرس البغدادي الذين لزموا هذا المذهب، وتعصبا له كأبي بكر بن الانباري ، وأبي موسى الحامض ممن شهر من الكوفيين، و « أبي الفضل الملقب بزبيل ، وأبي محمد عبد الملك بن مالك الضرير » (١٠) ، ممن لم يشهر منهم ، كما رجع ابن السراج من قبله إلى كثير من آراء الكوفيين البغداديين كالكسائي والفراء وثعلب ، وحفظ كثيرا من أقوالهم في أصوله ، وروى كثيرا من آرائهم .

ولم يستطع المذهب البصري بغلبته وسيطرته على جمهور الدارسين أن يهزم المدرس الكوفي البغدادي ، فقد بقي حيا يتخذ منه النابهون من الأدباء والشعراء

(٩) الإيضاح ٧٩ .

(١٠) المصدر نفسه .

والمصنفين مذهباً أقاموا عليهم أدبهم وشعرهم وتصنيفهم ، فقد حيَّ هذا المذهب بشعر أبي الطيب ، وبشارح ديوانه وبأعمالِ أحمد بن فارس اللغوي في كتابه (الصاحب)، وأعمال ابن خالويه وغيرهم ، وهي حتى بالتأخر من حذاق النهاة الذين احتذوا البصريين كالرضا الاسترابادي في كثير من الآراء التي أخذ بها وانتصر لها وغيره ، وهي أيضاً بأعلام الدارسين في الأفاق البعيدة الذين كانوا قد رحلوا إلى الشرق ، واحتذوا عن أعلام الدرس البغدادي ، ثم عادوا إلى تلك الأفاق لينشروا هذا المذهب ، ويشيعوا ما صنف فيه ، كجودي بن عثمان الذي كان قد لقي الكسائي والفراء ، وأدخل كتاب الكسائي الاندلس (١١) ، من الاندلسيين الأوائل ، وابن مضاء القرطبي والسهيلي من الاندلسيين المؤخرين .

لقد كان مذهب الكوفيين البغداديين شاخصاً حياً ، وكان البصريون ، بالرغم من تعصبهم لمذهبهم ، وتحاملهم على منافسيهم لم يسيطروا أن يتبعاهوا المذهب خلاً أعلاه ، ولم نجد أحد من القدماء ينكر وجود هذا المذهب ، أو يجعل أن هناك مذهبَا نحوياً شهدته مجالس الدرس في بغداد وسمى فيما بعد بالمذهب الكوفي .

وإذا رجعت إلى كتب الطبقات رأيت ذلك واضحاً فيما أثبت فيها من طبقات للدارسين في البصرة ، وللدارسين في بغداد . أما كتب التراجم التي لم ترتب على أساس الطبقات ، مثل معجم الادباء ، ونزة الالباء ، ووفيات الاعيان وآباء الرواة فلم تغفل نسبة الدرس إلى المذهب الذي ينتمي إليه ، كأن يكون هذا من البصريين ، وذلك من البغداديين أو الكوفيين ، أو كأن يكون هذا يتعصب للبصريين وذلك يتعصب للكوفيين ، وأمثال ذلك من العبارات التي تضع الدرس في الجماعة التي ينتمي إليها ، وتعد في الفريق الذي تنظم أفراده طريقة خاصة فيتناول موضوعات النحو بالدرس .

وغيَّرت الحال على ما ذكرت إلى عصْرنا هذا ، غير أن الامر لم يعد كما كان من قبل ، فليس هناك نحويون يتبعون البصريين في منهجهم ، وآخرون يتبعون

(١١) طبقات النحوين واللغويين . ٢٧٨

ابن نداديين أو الكوفيين في منهجهم ، فلهم يهدى بين النهاة المتأخرین من کان يعتنق
مذهبنا نحویا ، أو ينطليق في وعی عن مذهب نحوی بعینه ، وصارت النسبة الى
بغداد أو الكوفة ، أو الى البصرة قضية تاریخیة ليس لها معنی يرتبط الواقع بالرغم
من استثناء المتأخرین الانتساب الى هنا الفرق أو ذاك ، فقد تجد في کلام
الزمھری ، أو في کلام ابن الحاجب أو غيرهما ما يدل على انتصار للبصریین ، او
انتساب الى مذهبهم ، فليس ذلك في رأينا الا متابعة خالصة ، وتقلیدا محضا ،
لان أسلوب الدرس ابن بصری أو الكوفی كما کن ، لم يعد له وجود ، لان مصادر
الدرس التي کان يصدر عنها الدارسون لم يعد ليها وجود ، والاختلاف في المذهب
انما يقوم ، فيما نرى ، على أساس الافادة من المصادر الحية في استخراج الاصول
العامه في الدرس ، أو بعبارة أدق على أساس اسلوب الافادة منها في ذلك .

أما المتأخرُون من النحاة فلم يجدوا أمامهم إلا مصنفات في النحو تضمنت وجهات نظر مختلفة ، فرأيوا يختارون هذا الجانِب أو ذاك بحسب ملائمة لأسلوب الدرس الذي اصطنعوه .

وجاء الدارسون المحدثون فأخذوا يتناولون موضوعات النحو بالدرس
انتهى اليهم عن المتأخرین في مفصل الزمخشري وشرحه ، وألفیة ابن مالک
وشرحها ، ومتون ابن هشام وشرحها ، ومقامتي ابن الحاجب وشرحها ، أو عن
نحاة صغار ليس لهم رأي ، ولا لدراستهم أصالة ، ولبعضهم جماعون ملفقون أتيح
لهم أن يقفوا على كتب نحوية لنحاة سابقين ، فاحتذوا بها ، ولفقوا كتاباً الفوا فيهما
بين الأقوال المختلفة ، والآراء المتفاوتة ، كالسيوطى في همع الهوامع ، والازهرى
في شرح التصریح على التوضیح ، وأمثالهما .

غير أن الدارسين المحدثين أخذ يحسون أن النحو الذي ورثوه عن هؤلاء لم يعد يلائم الدرس الحديث لا منهجا ولا موضوعا، وراحوا يعيدون النظر في نحو العربية بحيث يتلاءم مع حال اللغة العربية التي لم تعد حوشية ولا بدوية، ولكنها عادت لغة متطرفة أفادت من اتصالها بالشرق والغرب، وتلقحت بثقافات جديدة لم تشهدها من قبل، فسلكوا في دراستها دروبا مختلفة، ومرت هذه الدراسة بمراحل :

كانت المرحلة الأولى أحياء آثار السلف الذي كان من اللذة الجية على كتب ،
فنشرت أمات الكتب التي تعد أصول هذا الدرس .

وكانت المرحلة الثانية تصنيف الكتب والرسائل الجامعية التي تتناول
بالدرس أحد شيوخ النحو الأوائل ، والمذهب الذي ذهب اليه ، أو المنهج الذي
اتخذه ، أو تتناول بالدرس مذهبها نحوياً بعينه كـ «مذهب الكوفيين البغداديين ،
ومذهب البصريين» .

وكانت المرحلة الثالثة نقد النحو القديم ، والدعوة إلى أحيائه ، أو تجديده
ليتلاءم مع متطلبات الدرس النحوي الحديث .

وكان الدارسون الجدد يختلفون في اتجاهاتهم اختلافاً اقتضاه محضول الدرس
في هذا الميدان ، وكان المستشرون هم البادئين ، فقد درس (فلوكل) كتاب فهرست
أبن النديم ، وقدم له ونشره ، ثم نشر بحثاً في المدارس النحوية التي استخلصها
من تصنيف ابن النديم . ودرس (گوتولد فايل) كتاب «الإنصاف في مسائل
الخلاف» للأنباري وقدم له ونشره وكان له رأي في المذاهب النحوية القديمة
سيأتي بيانه . ثم (بروكلمان) الذي وقف على أعمال غيره من المستشرون فصنف
كتابه الكبير «تاريخ الأدب العربي» الذي كان الدكتور عبد العليم النجار قد بدأ
بترجمته ، فترجم منه ثلاثة أجزاء ، ولم تمثله المنية . ثم (يوهان فل) في كتابه
(العربية) الذي ترجمه النجار أيضاً .

واحتذهم الدارسون العرب فخاضوا ماسبق أن خاضه هؤلاء ، فتناول
صاحب (ضحى الإسلام) النحو بالدرس مع ما تناول من موضوعات تتعلق بالحضارة
العربية والفكر العربي ، وعرض في تناوله النحو للمذهبين النحويين الرئيسين
مذهب أهل البصرة ، ومذهب أهل الكوفة ، ووازن بين المذهبين ، ولكن لم يأت
بجديد ، لأن ماأثبته في (ضحى الإسلام) لا يعدو أن يكون ترجمة لما جاء عند
أولئك المستشرون .

وتناول النحو بالدرس دارسون آخرون ، ولم يكن لهم إنما بثقافة النزب فراحوا يؤرخون لدحو النحوة ، والذئاب التحوية على غرار ما كان القديمة يفعلون ولم يجد الدرس فيما صنفوا شيئاً جديداً يزيد على « ماجاء في كتاب السيوطي ، وكتب من أخذ السيوطي عنهم » .

وأخذ الدارسون العرب يتسابقون في أحياء مذهب . أو تحقيق مخطوطة ، فكتبت المقالات في المجالات ، وألقيت المحاضرات في المؤتمرات المجتمعية ، وألقت اكتب التي تتناول أحد النحوة بالدرس ، أو تتناول مذهبها نحوياً معيناً .

ثم هيأ بعض الدارسين أنفسهم للدعوة إلى أحياء النحو وتخلصه من الشوائب التي فتح الباب أمامها إليه دارسون لم يفهموا من الدرس النحوي إلا تعليقات فلسفية ، وتأويلات بعيدة ، وتقديرات لا تتحملها النصوص ، فكان مآل هذا الدرس الحيوي الإنساني إلى الجدب القاتل ، والجمود المميت .

وكان أول صوت نداء عالياً يدعو الدارسين إلى دراسة النحو من أول ، وإعادة النظر فيما آن إليه الدرس النحوي من مآل مخيف يهدى هذا الدرس بالجمود بل بالاضمحلال .. هو صوت أستاذنا إبراهيم مصطفى في كتابه الخالد (أحياء النحو) .

ثم تصدى الدكتور شوقي ضيف لنشر كتاب لابن مضاء القرطبي ، اسمه « الرد على النحوة » ، وقدم له بمقدمة ظاهرها الدعوة إلى أحياء النحو ، وتخلصه من أوضاع الفلسفة والمنطق التي علقت بهذا الدرس جرها عليه دارسون من الفلاسفة والمناطقة والاصوليين والشకنيين ، ورمماها البعيد غمز صاحب (أحياء النحو) ، وتوجيهه انتباه الدارسين إلى أن ماجاء في (أحياء النحو) إنما هو اقتباس ليس فيه أصالة ولا جدة .

ولكن الدكتور شوقي ضيف الذي بدأ منذنشر هذا الكتاب يحاول أن يتخصص في كل فرع من فروع العربية ، ويتناول بالدرس كل عصر من عصورها ، وكل موضوع من موضوعاتها .. لم يكن على حق في غمزه صاحب (أحياء النحو) ،

ولا على صواب في موازنة ماجاء به مع مasicب اليه ابن مضاء ، لأن ابن مضاء حين نادى بالفقاء التعلييات والتأويلات والتقديرات خي الشعور ثم بين نيتجاوز لحدود التي رسمها النكسياني وافراء وتشعب من البغداديين ، ونان ند حمل على البصريين من خلال معاصرية الذين كانوا يتذمرون للبصريين على التوفيقين كابن خروف وغيره ويكتفي لنصف هذه الموازنة بين ابرجلين أن نعرف أن ابن مضاء كان يهدف إلى الهدم حسب ، أما ابراهيم مصطفى فكان يرسم خطة فريمية زبنا ، وفرق بين هدم لا يرمي إلى أبعد من اهدم ، ونان يخاطب لدرس جديده رات بمقابلات المدرس النحوي الجديـث ، ونان تخطيطا لم يتم .

ومهما يكن من أمر فالنحو الذي ورثناه عن النحو الذي بسجع سلطانه على مجالس الدرس ، وهو النحو البصري الذي أصطبغ باصبعه (arserمية) ، ولذلك نحو مشوه لم يبق فيه أثر نـان في نحو البصريين الأولـ من حيوية وقوـة ، فقد أثـقل بـاتـعلـيلـات ، وأفسـد بـاتـأـوـيـلـاتـ والـتـقـدـيرـاتـ ، حتى عـدا وـنـانـهـ شـرعـ من فروع الفلسفة ، وبـحـثـ من بـحـوثـ عـلـمـ الـنـالـامـ ، ومن أـجـلـ ذـكـ ، وـمعـ ذـلـكـ يـجـسـيـ باـحـثـ مـحـدـثـ ، وـيـتـحدـثـ عـنـ الـبـصـرـيـنـ وـنـحـوـهـمـ ثـيـرـيـ «ـ أـنـ الـبـصـرـيـنـ كـانـواـ أـكـثـرـ حرـيـةـ وـأـقـوىـ عـقـلاـ ، وـأـنـ طـرـيـقـهـمـ أـكـثـرـ تـشـيـماـ ، وـأـنـوـيـ سـيـطـانـاـ شـلـيـ اـسـخـ » (١٢) ، مع أنه كان يرى أن النحويين بوضعهم هذه القواعد كانوا «ـ فـدـ أـهـدـرـواـ كـثـيرـاـ من الاستعمالات التي نـانـ يـنـطـقـ بهاـ الـعـربـ فيـ تـنـظـيـمـهـمـ قـوـاعـدـهـمـ الـكـلـيـةـ ، وـشـدـدـرـاـ فيـ اـحـترـامـهـاـ ، وـخـضـعـ النـاسـ لـهـاـ ، لـأـنـهـمـ كـانـواـ أـسـيـطـرـيـنـ عـلـىـ الـتـعـلـيمـ » (١٣) .

لـهـاـ .
ولا أدرى كيف يؤثر باـحـثـ مـحـدـثـ أنـ يـكـونـ النـحـوـ أـقـوىـ عـقـلاـ ، وـطـرـيـقـهـ الـقـيـاسـ فيهـ أـكـثـرـ تـنـظـيـماـ ، وـأـقـوىـ سـلـطـانـاـ عـلـىـ الـلـغـةـ ؟ـ وـأـيـ نـحـوـهـذاـ الـذـيـ يـسـتـخـلـصـ منـ القـوـاعـدـ الـمـوـضـوـعـةـ ، وـلـاـ تـسـتـفـتـيـ فـيـهـ الـلـغـةـ ؟ـ كـلـ الـلـغـةـ ، معـ أـنـ الـاستـعـمـالـ هوـ صـاحـبـ السـلـطـانـ ، الـلـغـةـ لـاـ عـقـلـ الفـردـ وـلـاـ مـنـطقـهـ ، وـلـاـ قـاعـدـتـهـ الـمـوـضـوـعـةـ وـالـمـفـروـضـةـ عـلـىـ الدـارـسـيـنـ ؟ـ أـلـيـسـ هـذـاـ تـقـلـيدـاـ -ـ فـيـ غـيـرـ وـعـيـ -ـ لـافـكـارـ عـتـيقـةـ كـانـتـ تـفـهـمـ النـحـوـ عـلـىـ

(١٢) ضـحـىـ الـاسـلـامـ ٢٩٦/٢ طـ ٢ .

(١٣) ضـحـىـ الـاسـلـامـ ٢٨٢/٢ طـ ٢ .

أنه منطق وفلسفة وتعليق وتقدير ، ثمليس هذا تردیدا لمزاعم المتعصبين الذين كانوا يرون في منافسيهم الذين كانوا يحترمون ما ورد عن العرب ، ويحرصون على الفصيح المستعمل – دارسين افسدوا اللغة والنحو ، وينعرضون بالكسائي الذي اجتمع لديه النحو والقراءة ، فيتهمونه بافساد النحو ، ويزعمون انه «كان يسمع الذي لا يجوز الا في الضرورة فيجعله اصلا» ؟

ولم يقف الامر عند هذا التعسف في الزعم بل ظهر دارسون محدثون تابعوا المذهب البصري في غير وعي ، وتعصبو له حتى بلغ بهم التعصب ان يطروا آثار الكوفيين وأراءهم واقواهم ، ثم يتعاملوا عليهم ويشكروا حتى في أن يكون لهم مذهب على حدة ، وربما خلط بعض صغار النحاة في عصرنا فراح يعرض لآراء الكوفيين ويضعفها ، كما تلقى من شيوخه ، وكما وقف عليه في كتب البصريين . ولفق هذه المزاعم في رسالة قال أنها رسالة جامعية ، وأنه الزم نفسه اتباع المنهج العلمي ، فلا يقر الا مقام عليه الدليل (١٤) .

ومن مبادئ المنهج العلمي ان يستقرى ويستوعب ، وهذا المدعى اتباع منهج البحث لم يستقر ، ولم يستوعب ، فقد تناول آراء الكوفيين من خلال كتب المتعصبين عليهم كأبي البركات الانباري واضرائه ، ولم يكلف نفسه ان يرجع الى كتب الكوفيين انفسهم كمعانى القرآن لفراه ومجالس ثعلب وغيرهما ، وفي هذه الكتب كثير من آراء الكوفيين ، وهذه الكتب ليست ببعيدة عن متناول يده ، ولكنه لم يرجع اليها ولم يقف على آراء الفراء وثعلب فيها . أما « معانى القرآن » فلم يكن من بين مراجعه ومصادره التي عقد لها فهرسا في آخر رسالته «مجالس ثعلب» فلم يعنه الا هامش لحقن اكتاب عبدالسلام هارون .

(١٤) مدرسة البصرة النحوية – الدكتور عبدالرحمن السيد – نقدمة ص (ز) .

ولو كان هذا الدرس منهجياً ، كما زعم ، لما اطرح كتب الكوفيين و تقول عليهم من خلال كتب الدارسين المعروفين بتعصبيهم على الكوفيين ، ولكن استوفى كل ماوصل اليها من كتبهم ، ولكنه لم يفعل ، ولم ينجز في دراسته نهج الدارسين المحايدين (الموضوعين) بل اخذ يخلط كما كان القدماء يخلطون ، ويتهم الكوفيين كما كان المتعصبون المبهرون يفعلون ، وافتات عليهم بأنهم « لم يعنهم ان يقفوا عندما روى لهم من نصوص يستوثقون منه ، ويتبينون صحته ، ويكترسا عهم لامثاله حتى يصبح جديراً بالأخذ ، لم يفعلوا ذلك وانما تلقوا الشواهد النادرة ، وقبلوا الروايات الشاذة »^(١٥) .

ولم يكتف بهذا الافتراض بل اخذ يزيف ويهرج فيقول : « ولقد ثبت ان الكوفيين نقلوا كثيراً عن خلف الاحمر»^(١٦) ويتلقي من استاذه زعماً يجعل منه نصاً لا يتطرق الشك اليه فيقول : « فهم يعتمدون على الشعر المصنوع ، والمنسوب لغير قائله ، دون ان يهتموا بالتمحيص »^(١٧) .

وكل ما استند اليه في تقرير هذا انه وجد في (وفيات الاعيان) خبراً منسوباً إلى أبي زيد الانصارى يحكى عن خلف الاحمر انه قال : « اتيت أتكوفة لاكتب عنهم الشعر فبخلوا به علي فكنت اعطيهم المحول وأخذت الصحيح ، ثم مرضت فقلت لهم ، ويلكم أنا تائب إلى الله ، هذا الشعر لي فلما يقبلوا مني فبقى منسوباً إلى العرب لهذا السبب»^(١٨) .

واذ سرد هذه الحكاية المفتعلة كان يجهل ان الرواى هذه الحكاية هو ابو حاتم السجستاني المعروف بتعصبه الشديد على الكوفيين وان الحكاية مشار

(١٥) مدرسة البصرة النحوية ١٤٦ .

(١٦) مدرسة البصرة النحوية ١٥١ .

(١٧) مدرسة البصرة النحوية ١٥٢ .

(١٨) مدرسة البصرة النحوية عن (وفيات الاعيان) ج ١ ص ٢٦٠ .

اليها في (مرايا النحويين) قبل أن يتلقفها ابن خلkan . والعتالية ، مسع هذا ، ظاهرة الافتعال ، ينقض آخرها أو ابنا ، ولا يخفى ذلك على الدارس الفطن ، لأن الكوفيين اذا كانوا قد بخلوا على خلف الاحمر بالشعر فكيف كان يأخذ الصحيح منهم ويعطيهم المنحول ؟ وإذا كان ابو زيد الانصاري وهو الموثوق بروايته يحكى هذا الخبر حقا فكيف يطمئن الى روایات الكوفيين ، ويسمع منهم ؟ فقد كان يستبشر عن المفضل الضبي الكوفي ، وجاء في مقدمة نوادره : « قال ابو حاتم : قال لي أبو زيد : ما كان فيه من شعر القصيدة فهو سمعي من المفضل بن محمد الضبي ، وما كان من اللغات وابواب الرجز فذلك سمعي من العرب » (١٩) .

وإذا كان ثابتا ، كما يزعم صاحب (مدرسة ابصيرة النحوية) ان الكوفيين كانوا يعتمدون على الشعر المصنوع فكيف كان الاصمعي يروى عن حماد الرواية شيئا من الشعر ، ويقول : « كل شيء في ايدينا من شعر امرئ القيس فهو عن حماد ابراوية الا نتفا سمعتها من الاعراب وابي عمرو بن العلاء » (٢٠) .

فلو رجع هذا الدارس الى (معانى القرآن) واستوعب ما في مجالس ثعلب ، وسلك مسلك الباحثين في تقويم الآراء التي يقف عليها لا وقع فيما وقع فيه من تخليط .

وإذا فاته أن يقف على حقيقة مذهب الكوفيين ، وترجمتهم في روایة من لا يوثق به فلا ينبغي أن يترك سادرا في وهمه ، لهذا احيله على نص للفراء ينقض كل ما جاء في رسالته من تخليط حمله عليه وهمه وتسره وتقليده .

(١٩) كتاب النوادر في اللغة ص ١ .

(٢٠) مرايا النحويين ٧٢ .

قال الفراء حين عرض لقراءة قوله : « وان هذان لساحران » : « فقراءتنا
بتشديد (ان) وبالالف على جهتين : احدهما : على لغة بنى الحارث بن كعب ،
 يجعلون الاثنين في رفعهما ونصبهما وخفضهما بالالف ، وانشدني رجل من
اسد عنهم ، يريد بنى الحارث :

فأطرق اطراق الشجاع ولو يرى مساغا لناباه الشجاع لصمما

قال : وما رأيت افصيغ من هذا الأسدى ، وحکى هذا الرجل عنهم : هذا
خط يدا أخي بعينه « (٢١) .

وقد ايد القرطبي الفراء فذكر انها لغة بنى الحارث بن كعب وزبيد وختعم
وكناة بن زيد (٢٢) ، ونقل القرطبي عن ابى جعفر النحاس ، وهو بصـرى ،
انه قال : « وهذا القول - يعني قول الفراء - احسن ما حملت عليه الآية
اذا كانت هذه اللغة معروفة ، وقد حكاهما من يرتضى بعلمه وامانته منهم :
ابو زيد الانصاري ٠٠٠ وابو الخطاب الاخفش ، والكسائي والفراء » (٢٣) .

فقد وثق النحاس الفراء فى روايته ، وجعله قريبا لأبى زيد الانصاري وابى
الخطاب الاخفش البصريين وعده فيمن يرتضى بعلمه وامانته ، وهو بعد
ذلك استاذ الكوفيين وحجتهم ومرجعهم ، وفي هذا رد على المزاعم المتهافته التى
تحايل بها على الكنوئين بصرىون عرفوا بتعصبهم الشديد عليهم كأبى حاتم
السجستانى ، وابى الطيب اللغوى وابن درستويه ٠

غير ان الدكتور عبد الرحمن السيد لم ير كتاب (معانى القرآن) جديرا
بأن يرجع اليه ، واستبدل به كتاب « النحو الجديد » و « تاريخ أداب الملة »

(٢١) معانى القرآن ٢/١٨٤ .

(٢٢) الجامع لاحكام القرآن ١١/٢١٦ .

(٢٣) الجامع لاحكام القرآن ١١/٢١٧ .

العربية» و«تاريخ الادب العربي» وكتاب «الملاحة والنحو» وكتاب «سيبوبي⁴، امام النهاة» وكتاب «القواعد التحوية» وامثالها ، مما هو مثبت في مسرد مصادره ومراجعه .

احد التشكيك بوجود مذهب نحوى يخالف مذهب البصريين يتخد اشكالا مختلفة ، ويتجه اتجاهات متفاوتة ، وقد من بنا ما جاء فى كتاب « مدرسة البصرة النحوية » من تخليط فى اتهام الدارسين الذين نافسوا البصريين واتخذوا لانفسهم منهجا مخالفا يتسم بأنه اقرب الى طبيعة الموضوع المدروس وبأنه اكثر تحررا من ربقة الأصول الموضوعة التي تمسك بها البصريون أيمما تمسك ، وعدوا الترخيص في رفضها والخروج عليها افسادا وتخليطا .

وليس الدكتور عبد الرحمن السيد نسيج وحده ولكنّه واحد من الأمثلة الكثيرة التي شهدتها القرون المتأخرة ، قرون الخرافات والأوهام والخرفانات فإذا كان لأولئك عذر فيما خلطوا فليس لدارس في عصرنا هذا عذر في تغليف ذهنه وعقله بمخالفات زمن قديم متهرئ بال ، بعد أن ظهرت بوادر جادة لحياة النحو وتتجديده وتوجيهه .

وليس الدكتور عبد الرحمن السيد بدعا من الدارسين المخلطين ، فقد سبقه إلى مثل موقفه دارسون أقدم تجربة ، وأعلى مرتبة منه ، تخرجت بهم أفواج من الطلبة ، وتناولوا صناعة النحو بالدرس ، وأرخوا للنحو ، وعرضوا للمذهبين النحويين الكبيرين ، وأمنوا بما آمن به من قبلهم من دارسين رأوا في الدرس البصري طرازاً قوياً ، ونموذجًا عاليًا للدرس النحوي ، لأنّه أقوى عقلاً ، وأكثر تنظيماً ، وأقوى سلطاناً على اللغة بل ذهب بعض هؤلاء إلى بعد مما ذهب إليه المتعصبون على الدرس الكوفي ، فلم يقنع بآن يضعفه ، أو يغض من شأنه أو يتهمه بالفساد والشذوذ ، بل انكره انكاراً ، وهو أمر عجب حقاً .

هذا الدرس هو صاحب كتاب (في أصول النحو) وهو استاذ يكن له تلاميذه تقديرًا ، ورئيس قسم اللغة العربية في جامعة عربية محترمة سنتين طرالاً ، وقدم للدرس النحوي نتاجاً يتفاوت قوته وضاعفاً ، ولعل اضعف نتاجه وأقلّه شأنًا هو تتابه (في أصول النحو) . لقد غلا فيه في اتباع مذهب البصريين ، وتشبّث بتخرصات ذوى العصبية عليهم ، فقد عقد فيه فصل لا لبيان «الفارق بين المذهبين البصري والكوفي»^(٢٤) كان قد أرسّل فيه أقواله وأراءه ارسالاً لم يقم على أساس من البحث العلمي (الموضوعي)، وأخذ يتسبّب بالواهى من الدلائل ، وراح يضعف المذهب الكوفي بل ينسفه من الأساس .

(٢٤) في أصول النحو - الاستاذ سعيد الأفغاني ١٨٨ .

فإذا قرأ أنَّ المدرس النحوى مذهبين مختلفين ، مذهباً يقوم على السماع ، ومذهباً يقوم على القياس ، كما ذهب إليه صاحب (صحيح الإسلام) (٢٥) والاستاذ طه الرواى فى مقالة له (٢٦) ، عقب على تلاميذه بالرد والتضعيف ، وقال : « الحق البصريين : زوا بالسماع فحرزوه وضبظوه (واحترموه) على حين زيفه الكوفيون وبليلوه » (٢٧) . وانتهى من عرضه الآراء ومناقشته اياها بقوله « اميل إلى ان المذهب الكوفي لا هو مذهب سماع صحيح ، ولا مذهب قياس منظم لكن التاريخ يؤيد وجود المذهبين ، مذهب السماع ، ومذهب القياس ، وهما حقاً و جداً ولكن في البصرة لا في الكوفة » (٢٨) . وهو في هذا ينكر أن يكون هناك مذهب كوفي يعتمد به ، معتمداً في ذلك على نقول اقتبسها من الانباري في (الانصاف) والسيوطى في (بغية الرعاة) والقطفي في «أنباء الرواة» ، ويم يكلف نفسه الرجوع إلى اقوال ائفائه واقوال ثعلب وغيرهما من أئمة بغداديين والkovيين . وليس له من عذر في عدم الوقوف على اقوال الكوفيين وأرائهم بحججة أنه لم يعلم أن شيئاً من كتبهم قد طبع (٢٩) وإن يقبل مسن باحث اعتذار من هذا القبيل ، فإذا لم يكن شيء منها قد طبع فقد يكون لها مخطوطات في هذه المكتبة او تلك ، ولابنتبهم ، او شيء منها نسخ مخطوطة فعلاً حوتها دور الكتب في الاقطان العربية وفي خارجها ، وقد طبع بعضها ، أو ربما طبع بعضها قبل أن يتم هذا الباحث تأليف كتابه هذا .

أما كتاب (معاني القرآن) للفراء فقد وقف الباحث على خبره في فهرست ابن النديم كما أشار إليه في كتابه ، وكان لمعاني القرآن عدة نسخ مخطوطة في دار الكتب المصرية ، ثم طبع الجزء الأول منه سنة ١٩٥٥ ، أي قبل أن يعيّد

٢٩٥ / ٢٠) ضحى الاسلام

٢٦) نظرة في النحو - مجلة الجمع العلمي العربي ١٤ / ٣١٩ .

١٩٩ النحو اصول في (٢٧)

٢٠٠) في أصول النحو (٢٨)

٢٩) في أصول النحو ١٨٧

مؤلف (في أصول النحو) طبع كتابه بنحو تلات سنوات ، واذا كان كتاب (في أصول النحو) قد أُنجز عام ١٩٤٩ كما يشير اليه تاريخ مقدمته ، وكان له بعض العذر في عدم وقوفه على (معانى القرآن) فبماذا يعتذر عن ابقاء ماجاء في كتابه من تخليل في طبعته الثانية التي ظهرت بعد طبع الجزء الاول من (معانى القرآن) ؟

ان ايمان الباحث بقدسية الآراء التي جاء بها او لئك النحاة المتعصبون المخلطون كان قد حال دون أن يرجع الى ما طبع من كتب الكوفيين ، ليعيد النظر في آرائه ، وليقف على حقيقة ما كان عليه الكوفيون ، وما كان عليه المتعصبون عليهم .

وأما كتاب (المجالس) لشلوب فيبدو أن هذا الباحث كان لا يعرف أنه طبع قبل أن يطبع كتابه أول مرة ، فقد طبعت مرتين ، كانت المرة الأولى عام ١٩٤٨ ، كما يدل عليه مقدمة الطبعة الأولى ، وكان الكتاب قد نال الجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمي في المسابقات الأدبية التي نظمها المجتمع اللغوي في القاهرة عام ١٩٤٩ - ١٩٥٠ ، وكانت المرة الثانية عام ١٩٥٦ ، ولكن صاحب كتاب (في أصول النحو) لم يلائم بين ماجاء في كتابه ، وما كان يمكن أن يقف عليه لو عني بالبحث عن كتب الكوفيين انفسهم ، وليس من منهج البحث في شيء ان يتجاهل الباحث كتب الكوفيين ثم يروح يتلقّط المعايب التي الصقها المتعصبون بالковيين ومذهبهم في النحو . ألم يكن من مقتضيات البحث العجاد أن يستقرى الباحث ويتقصى ، ويبذل أقصى ما لديه من جهد ، والا" تحمل وزر تقصيره في البحث ، وتعجله في ارسال الاحكام قبل أن تتوافر لديه أسبابها .

وللذكي يبلغ الاستاذ الافغانی هدفه في نسف المذهب الكوفي راج يبين ان الكوفيین لم يكونوا الا تلامذة للبصریین ، وأنهم يفتقرن الى الاصالة في

الدرس ، ثم نقل خبرا من معجم الادباء ، ولكن بعد أن حرّفه لينسجم مع هواه في تضييف شأن الكوفيين ، فقد عرض لشعلب ، ووصفه بالعصبية التي حرم نفسه الخير بسببها ، وقال : « وأراد شعلب هذا أن يقرأ على البرد البصري ، فأنكر عليه أصحابه الكوفيون ، وقالوا : « مثلك لا يصلح أن يمضى إلى البصري ، فيقال غدا انه تلميذه ، فاستجاب لهم عصبية وحرم نفسه الخير » (٣٠) .

لم يكن الاستاذ الافغاني متثبتا في نقله هذا الخبر ، فالذى حکاه ياقوت عن أبي بكر بن الانباري قوله : « سمعت أبا العباس يعني ثعلبا يقول : عزمت على المضي الى المازني لا ناظره فأنكر ذلك علي أصحابنا الخ ٠٠٠٠ (٣١) . فلما يعتزم ثعلب المضي الى البرد بل الى المازني أستاذ البرد ، ولم يعتزم المضي الى المازني ليقرأ عليه بل ليناظره ، وكيف يتوهם الاستاذ الافغاني أن ثعلبا يريد أن يقرأ على البرد ، مع أن ثعلبا آلت اليه الرئاسة في النحو قبل أن يرد البرد بغداد ، وكان قد تلمذ لشعلب أكثر أعلام الدرس الذين أخذوا عن الرئيسين ، وأفادوا منهما جمیعا ، ولم يجتمع ثعلب مع البرد الا للمناظرة كما هو معلوم ٠

والى الان لم أصل الى تفسير معقول لوقف الاستاذ الافغاني من الكوفيين ، واني لاعيند أستاذًا جليلًا مثل الافغاني أن يدفعه الهوى الى التعصب الذي لا يليق بتجرد العلماء وحيادهم ٠

و قريب من هذا ما ذهب اليه الدكتور أحمد مكي الانصارى في كتابه (أبو زكريا الفراء) الا أنه كان أقرب الى النهج العلمي المتجرد من مؤلف (في أصول النحو) ، فلم ينكر أن يكون للكوفيين مذهب بعينه ، أو يكون لهم ملامح شخصية علمية مستقلة ، فقد أثبتت خصائص المذهب الكوفي ، ووازن بينه وبين المذهب البصري ، وخلص الى رأي مقبول في هذه الموازنة ٠

(٣٠) في أصول النحو ٢١٠ .

(٣١) معجم الادباء ٥/١١٥ .

الا أنه قصر الدرس الكوفي على دارسين لم يكونوا نحاة ولا نحوين ، ولم يكن
نיהם مذهب واضح ، ولا نزعة معروفة ، وجعل أبا جعفر الرواسي مؤسس المذهب
ولم يقدم للدارسين من آراء الرواسي أو أقواله الى أن يكون رئيس مدرسة
رمؤسس مذهب^(٣٢)

اما الكسائي والفراء فلم يكونا عنده من البصريين ولا من الكوفيين ، فقد
نسبهما الى مدرسة ثالثة لاهي بالبصرية ولا بالковية ، مدرسة يقوم مذهبها
على أساس من خلط المذهبين ، وجمع مزاياهما في مذهب منتخب مختار هو المذهب
البغدادي على حد وهم الدارسين المحدثين ، بل جعل الفراء مؤسس مدرسة بغداد ،
وبنى كتابه (أبو زكريا الفراء) على أساس هذه الفكرة ، ولا أراه الا متكلفا ، وقد
التقى مع الأفغاني من حيث أراد او لم يرد في نسف المذهب الكوفي الذي نشأ
أول مانشأ في بغداد ، وفي انكار أن يكون للبغداديين ، وعلى رأسهم الكسائي
والفراء مذهب مستقل بازاء مذهب البصريين ، بل لقد انتهى من حيث أراد او لم
يرد الى أن الفراء كان يصطنع اوضاع البصريين ، ويقف من القراءات موقف
البصريين ، ويقدر ويتأول ، وينتهج في نحوه منهج الفلسفه والمتكلمين ، ويعتقد
بالقياس ، ويلتزم بالضبط والتقييد ، ويختaciء العرب ، ويخطئ القراء ويطعن
عليهم ، ولم يبقَ للدارس أي دارس الا أن يجزم أن الفراء بصرى المذهب ، بل
راس المذهب للبصريين ، وقد وقفت مع الدكتور الانصاري في هذا وقفة طويلة
لأرى العودة اليها هنا الا تطويلا^(٣٢) .

وهناك دارسون محدثون آخرون لم يسعهم التشكيل في وجود مدرسة
نحوية بازاء مدرسة البصرة ، ولكنهم - مع ذلك - أنكروا أن يكون للكوفيين مدرسة
ولدراستهم أصلية ، فراحوا يحملون بعض النصوص أكثر مما تتحمل ، فنسبوا
النحو الكوفي الى نحاة بصريين .

(٣٢) انظر : الجزء الرابع من المجلد السابع والاربعين من مجلة مجمّع
اللغة العربية بدمشق ١٩٧٢ .

كتاب الانصاف ومدرسة الكوفة

ولعل أول من فتح الباب هو : (گوتولد فايل) في مقدمته لكتاب الانصاف فقد شيك في وجود مذهب مكتمل يقف بازاء مذهب البصرىين الذى كتب له الانتصار والغلبة فسيطر على بيئات التعليم في مختلف العصور ، بل ذهب الى أن الكوفيين « لم يؤسسوا مدرسة نحوية خاصة » .

وكان (فايل) في هذا مشدودا بسبعين :
الاول : أنه كان مأخوذا بالضجعة التي أحدثها انتصار المذهب البصرى ، وبسط نفوذه على أكثر المصنفات النحوية ، وعلى أذهان أكثر الدارسين ، وبالبهجة التي اتسم بها كتاب (الانصاف) في عرض وجهات النظر المختلفة .

والثاني : أنه لم يقف على مصنفات الكوفيين فلم يلم بآراء الكوفيين وأعلامهم التي يستطيع الدارس أن يرسم الدارس للمذهب الكوفي بها صورة واضحة الخطوط واللامع .

لم يقف (فايل) على كتب الفراء ، ولم يسمع الا بأسمائها « وكتاب الحدود ومعاني القرآن اللذان احتويما مجموعة من الآراء الصائبة الصالحة للبقاء » لم يصل إليه ، ولم يقف عليهما (٣٣) . وما وصل اليه من أقوال وآراء من خلال كتاب (الانصاف) لم يؤلف عنده مذهبًا مستقلًا يقف بازاء المذهب البصرى ، ولذلك ذهب الى أن « علم النحو برمته بصرى » (٤٣) ، ولا ريب أنه انما يعني أن النحو الذي تناوله الدارسون بعد غلبة المذهب البصرى بصرى ، لأنه لم يقدر يقف على مصنفات للكوفيين كان الدارسون يتداولونها ويتناولونها بالدرس .

رأى (فايل) أن أهم ما اتسم به النحو الكوفي هو سلوكه منهجا خالفا فيه كثيرا من الآراء البصرية ، وقد أتاحت له دراسته كتاب (الانصاف) أن يقف على

(٣٣) مقدمة كتاب الانصاف - ترجمة الدكتور عبدالحليم التجار .

(٤٣) المصدر نفسه .

الآراء الكوفية وعلى الآراء البصرية ، وعلى آراء بعض البصريين المتقدمين الذين صدرت عنهم آراء تخالف آراء الفريق البصري السائد .

وكان (فایل) يرى أن للفراء بين الدارسين الكوفيين تأثيراً خاصاً في نمو مدرسة الكوفة ، وأن حدة طبعه وميله إلى الخلاف كانا سبباه إلى اتخاذ مذهب خالف به معاصريه ، بل خالف الكسائي نفسه أيضاً ، ولكن (فایل) رأى أن هذه المخالفة لم يبتدعها الفراء نفسه ولكن لها جذوراً قديمة عند البصريين أنفسهم ، وغلب على ظنه أن يونس بن حبيب البصري كان صاحب التأثير الموجه في كلا الكوفييَّن الكسائي والفراء . وبني رأيه هذا على أمور :

١ - أن اسمه قرن باسم الكوفيين في بضع مسائل ، كان الانباري يسميه فيها يمثل آراء الكوفيين ، وأن صاحب كتاب (المفصل) كان قد ذكره سبع مرات ، وكان رأيه يمثل آراء الكوفيين في خمس مرات منها .

٢ - ما ذكره النحاة وأصحاب الطبقات عن يونس بن حبيب ، وخص بالذكر منهم أبا سعيد السيرافي ، ونقل عنه قوله : « وله قياس في النحو ، ومذاهب يتفرد بها » (٣٥) .

٣ - ما رواه أصحاب الطبقات أن الكسائي والفراء كانوا قد سمعا منه وأخذوا عنه ، وأن الفراء ، خاصة ، استثنى عنه . غير أن هذه الأمور لم تدعم رأيه ، ولا صوبت مذهب إليه ، فاقتصر اسم يونس باسم الكوفيين في بضع مسائل لا يعني شيئاً ، ولا ينهض حجة له ، لأن موافقة الكوفيين إياه لا تعني أن يكون صاحب التأثير الموجه في الكسائي والفراء ، فإذا كان يونس أثر فيهما في بضع مسائل فمن ، ترى ، صاحب التأثير فيما فيسائر المسائل التي خالفا فيهما يونس والبصريين ؟

(٣٥) أخبار النحوين البصريين ٢٧ .

وأما أن الكسائي والفراء قد سمعا منه ، كما يقول أصحاب الطبقات (٣٦) ، فلا يدعم زعمه أيضا ، لأن اتصال الكسائي والفراء بيونس لم يكن من قبيل اتصال التلميذ باستاذه ، ولم يصح أن يكون الكسائي أخذ عنه .

يضاف إلى هذا أن الذي حكاه أصحاب الطبقات ينقض هذه التلمذة وينفيها فقد حكوا أن الكسائي لما قطع رحلته ورجع لم يكن له هم إلا البصرة ولكنه وجد الخليل قد مات ، وتصدر يونس بن حبيب في مجلسه ، وجلس الكسائي إلى يونس « فجرت بينهما مسائل أقر لها يونس فيها ، وصدره في موضوعه » (٣٧) .

ومما يؤيد أن اتصال الكسائي بيونس لا يعني تلمذته له ، ولا الاخذ عنه : مارواه السيرافي عن ابن السراج أنه قال : « ان مروان بن سعيد سأله الكسائي بحضوره يونس عن (أي) ، ثم سأله ، وأكثر من الاسئلة عن اختلاف حالها اعرابا وبناء ، فقال له الكسائي : « أي كذا خلقت » . فغضب يونس لالجاج مروان في مسئلته وقال : « تؤذون جليسنا ومؤدب أمير المؤمنين » ؟ ! (٣٨) فلو كان الكسائي يجلس إلى يونس ليأخذ عنه أو يتلمذ له لما كان لسؤال الكسائي معنى ، ولكان السائل وجه السؤال إلى من تصدر مجلس الدرس ، وهو يونس . ولو كان مكان الكسائي في مجلس يونس مكان التلميذ لما غضب يونس ، ولما سماه جليسا .

وأما أن ليونس قياسا في النحو ، ومذاهب يتفرد بها فأمر لا يدل على أن يونس كان صاحب التأثير في الكسائي ، فليونس وجنبه نظر تلتقي مع البصريين في أكثر المسائل ، وتفرق عنهم في بعضها ، وللكسائي أيضا مذهب يتفرد به

(٣٦) أخبار النحوين البصريين ٢٧ . نزهة الالباء ٦٠ ، معجم الادباء ٦٤/٢٠ . وفيات الاعيان ٦/٢٤٢ .

(٣٧) نزهة الالباء ٨٤ .

(٣٨) أخبار النحوين البصريين ٢٨ .

ويخالف به البصريين في أكثر المسائل ، وإذا التقت وجنته نظر الكسائي بوجهة نظر يونس في أربع مسائل أو خمس فلا يعني هذا أن يكون يونس هو مؤسس مدرسة الكوفة أو صاحب التأثير الموجه في الكسائي ، والتشبيث به تشبيث بالأسباب الواهية لاثبات قضية خاسرة .

هذا ما يتعلق باتصال الكسائي بيونس ، أما اتصال الفراء به فلا أحسبه الا اتصال دارس طلعة يعني بأن يلم بأطراف الدرس ، وأن يقف على الآراء المختلفة ، ولا أعلم أن الفراء كان قد انقطع إلى يونس وإلى البصرة انقطاعاً أخذ في أثنائه عنه أو تلمذ له ، أو تأثر به ، ولعل اتصاله به كان عابراً ، والدرس الذي يتحدث عن الفراء بأنه دارس « لم يهتم إلا قليلاً بالأخذ للتناقل في هذا العلم ، بل يبدو عليه طابع من يؤسس فرقة أو مذهبها » (٣٩) لا ينتهي إلى مثل ما انتهى إليه من تشبيث بالوهم في تأثر الفراء بيونس .

الحق أن الدارس ربما وقف على بعض روايات للفراء عن يونس ، ولكنها روايات لا تتعلق بال نحو ، ولا أحسبني وقفت على حكاية للفراء عن يونس تتعلق بموضوع من موضوعات النحو ، فإذا كان الفراء يبدو عليه طابع المؤسس المذهب ، وأن المسائل التي يرويها الفراء عن يونس لا علاقة لها بال نحو فمن التمحل ما ذهب إليه (فайл) من أن يونس كان صاحب التأثير في الفراء .

ان كل ماصدر عنه (فайл) في مقالته هذه إنما يستند في الواقع إلى ذلك الاتفاق في الرأى بين يونس والkovfien في خمس المسائل التي لا تكاد تذكر إلى جانب المسائل التي تضمنها كتاب (الانصاف) ، وعدتها احدى وعشرون وعشرين مسألة ، فإذا اعتمد (فайл) في بسط رأيه في تأثر الفراء بيونس على هذه المسائل فكيف يفسر اختلافه معه في سبع عشرة وعشرين مسألة ؟ ومن كان صاحب التأثير في الفراء فيها ؟

(٣٩) مقدمة الانصاف - ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار .

أما مازعمه «فائيل» من أن الكوفيين أنفسهم كانوا يدعون استكتار الفراء عن يونس ، والبصريين ينكرون ذلك فلا يؤيد رأيه ، لأن استكتار الفراء عنه اذا صحت الرواية لا يعني أنهم يريدون أن ينسبوا الدرس الكوفي إلى يونس ، او يعدونه مؤسساً لمذهبهم ، ولو كانوا يريدون بهذا إلى ما استنتج «فائيل» لما كان لزعم الكوفيين أنفسهم رئاسة الرواسي للنحو الكوفي معنى ، وهذا هو ما ذكره فائيل نفسه أيضاً . قال : « يبدو أن ثعلباً - تقليداً للروايات البصرية التي جمعها المبرد على عهده - مع زملائه عن النحوي القديم أبي جعفر الرواسي الذي لم تستفاض شهرته من قبل ، على أنه أستاذ الكسائي والفراء ، وعدهوه مؤسسة مدرسة الكوفيين ، ونسبوا إليه كل الآراء القديمة المجهول أصحابها » (٤٠) .

على أن (فائيل) كان قد استند في استنتاجه أن يونس مؤسس مدرسة الكوفة إلى ما جاء في (بغية الوعاة) من قوله : « وأخذ [الفراء] عن يونس ، وأهل الكوفة يدعون أنه استكتار عنه ، وأهل البصرة يدفعون ذلك » فقال « أي أن البصريين كانوا يريدون نسبته [يونس] إلى مدرستهم معارضين في ذلك الكوفيين الذين يرون فيه مؤسس مدرستهم » (٤١) .

مع أن السيوطي الذي زعم أن أهل الكوفة يدعون أن الفراء استكتار عنه لم يدر في ذهنه أنهم بهذا يريدون إلى القول بأن يونس مؤسس مدرستهم ، بل قال في ترجمته لأبي جعفر : « وهو أول من وضع من الكوفيين كتاباً في النحو ، وهو أستاذ الكسائي والفراء » (٤٢) وقال في المزهر بعد أن عرض لرأي أبي حاتم فيه : « وأهل الكوفة يُعظمون من شأنه ، ويذِّهبون أن كثيرة من علومهم وقراءاتهم مأخوذة عنه . قلت : الأمر كذلك ، وأبو جعفر هذا هو أستاذ الكسائي ، وهو أول

(٤٠) مقدمة الانصاف .

(٤١) المصدر نفسه .

(٤٢) بغية الوعاة ٨٢/١ .

هنَّ وضع هنَّ الكوفيين كتاباً في النحو » (٤٣) . فاذا كان الكوفيون قد نسبوا
الى أبي جعفر الرواسي هذا لم يبق وجه لما استنتجته « قايل » من كلام السيوطي .

ولم يكن قايل ليكون مخلطاً في مزاعمه على النحو الذي جاءت أقواله عليه
لو أنه وقف على مصادر الدرس الكوفي ، ووصلت اليه كتبهم ، وقد مر بنا أنه
لم يقف على (معانى القرآن) الذي حوى كثيراً من آراء الفراء الصائبة على حد
قوله ، والذي جعله يطمئن الى سلامة النتائج التي توصل اليها أن الكتابة المتأخرة
لم يعرضوا النصوص منه ، ولا أشاروا الى آراء الفراء التحوية فيه .

ويبدو ان اشتداد المنافسة بين تلاميذ ثعلب وتلاميذ المبرد ، وغلبة تلاميذ
المبرد وسيطرتهم على التعليم في مجالس الدرس وفي المدارس التي اسست
كالنظمية وغيرها حملت المدارسين على اطراح كتب الكوفيين ، فضاع منها ماضع ،
وبقي منها ما بقي ، ولكن الباقي منها لم يتداول ، ولم يتدارس ، ولم يعرفه
الدارسون الا منذ الثلاثينيات من هذا القرن ، فلم يطبع كتاب (المجالس) لشعلب
الا في سنة ١٩٤٨ ، ولم يطبع كتاب (معانى القرآن) جزءه الاول الا في سنة
١٩٥٦ ، ولم يتم طبعه الا في هذا العام أي سنة ١٩٧٣ ، وهذا الكتابان ، وان لم
يخلصا للنحو ، كانوا قد احتوياً كثيراً من الاراء الناضجة الصائبة التي تحمل في
ثنياهما سمات النهج الكوفي البغدادي والخطوط الرئيسية التي قام عليها
الدرس الكوفي في بغداد . وكان ينبغي لمثل (قايل) أن يبذل الجهد للوقوف على
هذين الكتابين وغيرها اللذين كانوا من المخطوطات التي كان الدارسون ، فيما
يظن ، يحجمون عن الاضطلاع بتحقيقها ونشرها .

بروكلمان ومدرسة الكوفة :

ولم يكن حظ الدرس الكوفي عند (بروكلمان) بأحسن من حظه عند
(قايل) بالرغم من وقوف (بروكلمان) على كتاب (معانى القرآن) ، فقد وصفه

• ٤٠٠ / ٤٣) المزهر .

وصفا يدل على انه لم يفته ان يقف على مخطوطته ، وقد لاحظ ان الفراء « هو الكوفي اوحيد الذى تناول مسائل النحو على وجه متسلسل فى تفسيره للقرآن الكريم ؛ كتاب معانى القرآن» (٤٤) .

وكان (بروكلمان) يأسف لنقص علمه بنمو هذه المدرسة اعنى مدرسة الكوفة ، وذلك لقلة ما وصل الى الدارسين من مصنفات الكوفيين . أما الآراء التي يتمثل فيها الخلاف بين المذهبين مما نقلته مصنفات المؤخرين من النحاة فلم تعرض في امانة ودقة ، لأنها في رأيه « قليلة الانصاف للمدرسة الكوفية ذلك ان المؤخرين فضلوا المذهب المدرسي النظري الذى تم له الانتصار وهو مذهب البصرىين الذى يؤثر التعمق في اشكال والدقائق النحوية على مذهب الكوفيين المتوجه الى الواقع الاستعمال » (٤٥) .

كان (بروكلمان) على صواب في تفسيره غلبة المذهب البصرى على المذهب الكوفى ، فقد وضع يده على السبب الذى كتب به انتصار المذهب البصرى على منافسه .

واكبر الظن ان الدرس النحوي الذى يعتمد على المصادر الحية من كلام العرب كان قد انتهى بنضوب المصادر الحية ، وتحول لغة المحادثة عن اللغة الموحدة ، وانقسام اللغة الموحدة الى لهجات ، وانحسار الفصاحة عن لغة التخاطب ، واقتصرها على لغة الكتابة والشعر والتأليف ، فلم يبق امام الدارسين المؤخرين الا آراء ونقول تعبر عن وجهات النظر المختلفة التى كانت المصادر الحية من كلام العرب تميلها على الدارسين من وجهات نظر متفاوتة تستهدى في تفاوتها بمناهج دراسية تتفاوت في قربها من طبيعة الموضوع المدروس وبعدها عنه . وصار علم الدرس بالنحو ينقوم بمقدار قدرته على

(٤٤) تاريخ الادب العربي ٢/١٩٦ الطبعه العربيه .

(٤٥) تاريخ الادب العربي ٢/١٩٦ الطبعه العربيه .

التعليق والتأويل وبمدى تعمقه في استخلاص الوجوه العقلية المحتملة للمسألة الواحدة وفي استخراج انقياس ، واستنباط القواعد المحكمة ، وتحديد الموضوعات النحوية بحدود المناطقة الجامعة المانعة .

وكان الدرس البصري اخبر في القياس والتعليق ، وقدر على اصطناع الاماليب العقلية ، وكان الدرس يتوفى الصدق بواقع الاستعeman واعنى بتعبيارات الفصحاء ، واحفل بالنقل والسماع ، وابعد في التتبع والاستقراء .

وهذا في رأيي من اهم الاسباب التي حملت الدارسين على العزوف عن الدرس الكوفي ، واطراح المصنفات الكوفية ، وعلى ترويجهم للدرس البصري واياشراهم ايام .

وقد اطلق على (بروكلمان) ما كان قد اطلق على جمهور الدارسين ففهم من النسبة الى الكوفة ان يكون للكوفة تاريخ في النحو ، كما كان للمبصرة، وعرض لابي جعفر الرواسي على انه مؤسس مدرسة النحو في الكوفة ، وان الخليل استفاد من بعض مصنفاته ، وجاز عليه تخليط انسيوطي فذكر ان معاذ الهراء واضح علم الصرف ، وذهب الى انها يمثلان تاريخ النحو والصرف في الكوفة ، وكان (بروكلمان) في عرضه لهذا متبعاً للقدماء لا محققاً ولا ناقداً .

وفي حدود ما أعلم أنَّ الكسائي والفراء وثعلبا لم يسموا بالковيين الا في اثناء القرن الرابع للهجرة ، ولم اجد فيما وقفت عليه من اقوال ومصنفات أنَّ أحداً من الدارسين الاولئ كان يسمى الكسائي أو الفراء أو ثعلبا أو أحد اصحابهم وتلاميذهم بالکوفي ، وسيأتي بيان ذلك في فصل قابل . اما ابو جعفر الرواسي ومعاذ الهراء فليس لهما من الأقوال والآراء مما يدل على ان

لهمما مذهبها بعينه او ان لها صلة بمدرسة بعينها ، ولذلك كان من التخلط أن يقرنا بأحد من رجال المدرستين ، او ان يتوهם احد الدارسين ، فيزعم ، فـ غير وعي ، ان الرواسى مؤسس مدرسة النحو فى الكوفة ، وان الهراء واصنع علم الصرف .

شوقي ضيف ومدرسة الكوفة :

وجاء الدكتور شوقي ضيف فى كتابه (المدارس النحوية) بعد ان وقف على اعمال هؤلاء الدارسين ، ووقف على اندرايسات الحديثة التى تمت باشرافه او باشراف غيره من شيوخ النحو الذين اخذ هو عنهم ، ووقف على مصنفات اللكوفيين لم يتع لكثير ممن سبقه ان يقف عليها ، ككتاب (مجالس ثعلب) ، وكتاب (معانى القرآن) للفراء وكتاب (المنقوص والمدود) للفراء . وغيرها من الكتب التى اخرجها دارسون عرروا بالتحقيق ونشروها ، واغنوا المكتبة العربية بها .

وإذا كان مثل الأفغاني في كتابه (فى اصول النحو) والدكتور عبد الرحمن السيد في رسالته (مدرسة البصرة النحوية) قد انطلقا في تخليصهما من منطق التعصب الذي لا يليق بالدارسين ، ومن التعجل في اطلاق الاحكام

الذى لا يجوز مثله للباحثين فلا يصح ان يورط الدكتور شوقى ضيف نفسه
فيتناول موضوعا لم تكتمل نديه أسباب نضجه ، ولا امتدت يده الى ابعاده .
لقد بدا على الاستاذ الجليل فى كتابه (المدارس النحوية) انه طارىء على
الدرس النحوى . مقحما نفسه فى ميدان ليس له موضع قدم فيه ، الا ان شهرته
فى العلم ، وبعْد صيته فى التأليف كان قد وطأ له هذا المركب الخشن ، وان
اخلاذ الناقدين الى اعفاء انفسهم من ملاحقة الكتاب الذين اجترءوا على السخرية
من الدارسين كان قد شجعه على ارتياه هذه الطريق .

وقد بدا الدكتور (ضيف) فى كتابه هذا مناقضا نفسه فى تقويماته
مدرسة الكوفة النحوية ، وكان في كتابه هذا مع (قايل) ، لم ير فى مدرسة
الكوفة اصالة ، ولا اعتد بمذهبها النحوى الذى نافس بقوة مذهب البصرىين
وفعل ما فعله (قايل) فأرجع مقومات الدرس الكوفى الى نحوى بصرى كان
فى رأيه هو صاحب التأثير الموجه فى الدارسين الكوفيين فى بغداد ، الا انه
خالف (قايل) فلم يذهب الى ان يونس بن حبيب هو ذلك الرجل ، بل لقد عاب
على (قايل) رأيه فى تأثير يونس فى الكوفيين لاتفاقه معهم فى بعض مسائل
« وهى لا تعدو اربعة آراء » (٤٧) .

البصري الذى يرى الدكتور (ضيف) انه الموجه والمؤثر فى الكوفيين هو
الأخفش سعيد بن مسعدة صاحب سيبويه وتلميذه ، فقد زعم ان الاخفش هو
الذى مهد لنشأة مدرسة الكوفة والمدارس المتأخرة المختلفة ، فقد كان - على
حد زعمه - اكبر ائمة البصرىين بعد سيبويه ، وهو الذى جرأ النحاة من بعده
على تحطئة سيبويه ، او « فتح ابواب الخلاف عليه » (٤٨) او الذى « فتح
للكوفيين ابواب الخلاف على سيبويه واستاذه الخليل بما بسط من

(٤٧) المدارس النحوية ٩٥ .

(٤٨) المدارس النحوية ٩٥ .

وجوهه «(٤٩)» ، والذى تلمذ له انكسائى والفراء وتابعاه فى كثير من آرائه
التي خالف فيها سيبويه والخليل .

ولابد للدكتور (ضيف) بعد ان رتب هذه المقدمات ان يصل الى مثل
ماوصل اليه «قایل» من قبل ، فكان الاخفش في رأيه هو صاحب التأثير في
ال Kovin ، وهو الذي اوحى للكوفيين اتجاهات المذهب الكوفي ، وهو الذي اعد
بما تلقاه الكوفيون عنه من آراء واقوال لنشأة مدرستهم ، فهو بحق «الاستاذ
ال حقيقي للمدرسة الكوفية» (٥٠) ، او هو «الامام الحقيقي للكوفيين ومدرستهم» (٥١) .

وكان سببـه الى هذا النزاع هو موافقته الكوفيين في ثلاثة مسائل من
من مسائل الخلاف التي ضمنها كتاب (الانصاف) «وإذا كان (قایل) لاحظ ان
بعض الكتب النحوية ذكرت اتفاق يونس والكوفيين في مسائل لا تعدو
اصابع اليد الواحدة فقد مر بـنا في ترجمة الأخفش انفاق انكسائى والفراء
الكوفيين معـه في نحو ثلاثة مسائل» (٥٢) ، وكـأنـ هذا الاكتشاف انتصار
للفكرة التي طـلعـ بها على «قـایلـ» الذي قـنـعـ بـاتفاقـ يـونـسـ معـ الكـوفـيـنـ فيـ
مسائل لا تعدـو اصابعـ اـيـدـ الـواـحـدةـ .

اـذاـ صـارـ الأـخـفـشـ اـمـامـ الـكـوـفـيـنـ بـاـتـفـاقـهـ مـعـهـ مـعـهـ فـىـ نـحـوـ ثـلـاثـيـنـ مـسـائـلـ فـمـنـ
اماـمـهـ فـىـ الـاحـدىـ وـالـتـسـعـيـنـ مـسـائـلـ التـىـ نـهـضـوـ بـعـبـءـ الـمـخـالـفـةـ فـيـهـ دـوـنـ تـوـجـيـهـ
مـنـ الـاـخـفـشـ؟ـ!ـ وـلـيـسـ هـذـاـ عـدـدـ هـوـ كـلـ مـاـ خـالـفـ الـكـوـفـيـوـنـ الـبـصـرـيـيـنـ فـيـهـ
فـمـسـائـلـ الـخـلـافـ كـثـيرـةـ وـلـمـ يـحـطـ بـهـ الـأـنـبـارـيـ وـلـاـ غـيـرـهـ ، وـلـمـ يـقـلـ الـأـنـبـارـيـ اـنـهــاـ
كـلـ مـسـائـلـ الـخـلـافـ بلـ قـالـ :ـ هـىـ مـشـاهـيـرـهـ ،ـ كـمـ جـاءـ فـىـ مـقـدـمـتـهـ لـكـتـابـهـ ،ـ
وـفـىـ كـتـبـ الـنـحـوـ مـسـائـلـ لـاـ يـسـهـلـ عـدـهـاـ كـانـ الـكـوـفـيـوـنـ يـخـالـفـونـ فـيـهـاـ الـبـصـرـيـيـنـ .ـ
وـلـمـ يـكـنـ لـلـأـخـفـشـ مـشـارـكـةـ فـيـهـ .ـ

(٤٩) المدارس النحوية ٩٦ .

(٥٠) المدارس النحوية ٩٦ .

(٥١) المدارس النحوية ٩٦ .

(٥٢) المدارس النحوية ١٥٦ .

ويبدو لي ان (فайл) كان اقوى حجة من الدكتور (ضيف) وان كان عددا
السائلى التى استند اليها فى تأثير يونس فى الكوفيين لا تعدو اصابع اليد
الواحدة ، لأن شخصية يونس النحوية لا تدان بها شخصية الأخفش ، فيونس
استاذ سيبويه ، وآراؤه التى نقلها سيبويه وحده آراء نم تكن لتصدر الا عن
فحوى له مذهب تفرد فيه فعلا . اما سعيد بن مسعدة الاخفش فلا يسمح ماضيه
في النحو خاصة ان يتخذ له مكانا في المؤسسين ، او الملمحين او الائمة ،
بالرغم من كثرة ما نسب اليه من اقوال وآراء في كتب النحو .

على ان الدكتور(ضيف) مالبث ان ناقض نفسه ، فحين ترجم الكسائي قال جازما:
« لا ريب في ان الكسائي يعد امام مدرسة الكوفة ، فهو الذي وضع رسومها
ووطأ منهاجها »^(٥٣) ، وحين ترجم للقراء قال جازما ايضا : « ان القراء يقومون
في الكوفة مقام سيبويه في البصرة ، فهو الذي اعطى المدرسة الكوفية تشكيلا
النهائي الا بعض اضافات زادها الكوفيون بعده وفي مقدمتهم ثعلب »^(٥٤) .

فإذا كان الكسائي هو الذي وضع رسوم المدرسة ، ووطأ منهاجها ، والقراء
هو الذي اعطى المدرسة طابعها المتميز فماذا بقي للأخفش الذي قدر له ،
على يد الدكتور ضيف ، أن يحتل مكانا لم يؤيده ماضيه في اعلم فـ
احتلاله ؟!

وإذا فطن الدكتور (ضيف) لاتفاق وجهة نظره من بعض المسائل مع وجهة
نظر الكوفيين فقد فاته ان يفطن انه لم يكن شيئا عند سيبويه ، ولا عند
تلاميذه ، ولم يسمع له رأى في مسألة نحوية قبل وفاة سيبويه ، او وجهة
نظر نحوية قبل وروده بغداد .

وقد روی عن ابی عثمان المازنی انه قال : « حدثني الأخفش قال : حضرت
مجلس الخليل فجاءه سيبويه فسأله عن مسألة ، وفسرها له الخليل فلم افهم

^(٥٣) المدارس النحوية ١٧٥ .

^(٥٤) المدارس النحوية ١٦٥ .

ما قالا ، فقمت وجلست له في الطريق ، فقلت له : جعلنى الله فداءك . سأله الخليل عن مسألة فلم افهم ما رد عليك ففهمنيه ، فاخبرني بها فلم تقع لي ولا فهمتها ، فقلت له : لا تتوهم انى اسألك اuntas فانى لم افهمها ، ولم تقع لي ، فقال : ويلك : ومتي توهمت انى اتوهم انك تعنتني ؟!»^(٥٥) . كما روى ايضا ان الأخفش جاء سيبويه يوما يناظره « فقال له الأخفش : انما ناظرتك لاستفيد منك . فقال سيبويه : اترانى اشك فى هذا ؟»^(٥٦) .

وروى ايضا « ان ابا عمر الجرمي وابا عثمان المازنى ، وكانا رفيقين ، توهما ان ابا الحسن الأخفش قد هم ان يدعى (الكتاب) لنفسه ، فقال احدهما للآخر : كيف السبيل الى اظهار الكتاب ، ومنع الأخفش من ادعائه ؟ فقال له : ان نقرأ عليه . فاذا قرأناه عليه اظهرناه واسمعنا انه ليس بسيبوه فلا يمكنه ان يدعى عليه ۰۰۰ وشرعا فى القراءة عليه ، واخذ الكتاب عنه ، واظهرنا انه ليس بسيبوه ، واساعوا ذلك فلم يمكننا ابا الحسن ان يدعى الكتاب »^(٥٧) .

وهذا ابو حاتم سهل بن محمد السجستاني ، وهو احد تلاميذ الأخفش ، وقرأ عليه كتاب سيبويه ، كان لا يرى في الأخفش ، وهو يعاصره ما يراه الدكتور (ضيف) في هذا العصر ، فقد كان ابو حاتم يتهم الأخفش بوضع كتابه في القرآن على كتاب ابى عبيدة^(٥٨) . ويظن ان الأخفش كان قد وضع كتابه في النحو من كتاب على "الجمل"^(٥٩) ، وهو نحوى من المدينة ۰

ولا ريب أن نظرة الأخفش الى نفسه فيما حكاها المازنى ، ونظرة الجرمي والمازنى فيما حكى منها ، ورأى ابى حاتم فيه وفيما صنف في القرآن والنحو

(٥٥) معجم الادباء / ١٦ / ١٢٦ ۰

(٥٦) أخبار النحويين البصريين ٤٩ ۰ نزهة الالباء ٧٨ ، ٧٩ ۰

(٥٧) معجم الادباء / ١١ / ٢٢٦ ۰ نزهة الالباء ١٨٥ ، ١٨٦ ۰

(٥٨) طبقات النحويين واللغويين ٧٤ ۰

(٥٩) مراتب النحويين ١٠٠ ۰ طبقات النحويين واللغويين ٧٥ ۰

يجعل موقف الدكتور (ضيف) برفعه الأخفش الى مكان المؤسسين الموجبين حرجا ضعيفا .

يؤيد ما قيل عنه أن الذين ترجموا له لم يذكروا احدا من شيوخ النحو باسمه كان الأخفشقرأ عليه النحو ، وكل ما قالوه هو أنه « لقي من لقيه سيبويه من العلماء » (٦٠) ، أو « اخذ عنمن اخذ عنه سيبويه » (٦١) .

ولكن سيبويه كان قد لقي الخليل ، وتلمذ له ، واكثر من الأخذ عنه ، ولم يأخذ الأخفش عن الخليل شيئا (٦٢) ، فاذا لم يأخذ الأخفش عن الخليل فعنمن اخذ ؟ ومن النحوي الذي تلمذ له الأخفش ، واستكثر عنه ، ووصل به الى ان يكون اعلم الناس ؟

تذكر بعض كتب الطبقات التي بين أيدينا انه اخذ عن ابى مالك عمرو بن كركرة النميري (٦٣) ، ولم يقع لي ان ذكر غيره ، وابو مالك هذا هو أحد فصحاء العرب الذين سمع منهم العلماء ، وقد ذكره ابن النديم في فصحاء العرب المشهورين الذين سمع العلماء منهم (٦٤) ، وهذا يعني انه اخذ عنه اللغة ، أما النحو فلا ، لأن النميري لم يكن من النحاة .

اما قولهم انه اخذ عنمن اخذ عنه سيبويه ، أو لقي من لقيه سيبويه من العلماء فقول **بَهُمْ** لا يعني شيئاً ، لأ الذين لقيهم لم يكونوا ذوى تأثير فى سيبويه . والأخفش لم يأخذ عن الخليل ، ولم يفده منه شيئاً ، لانه « كان مع الخليل فى بلد واحد فلم يحك عنه حرفا واحدا» (٦٥) .

(٦٠) اخبار النحويين البصريين ٣٩ .

(٦١) معجم الادباء ٢٢٥/١١ .

(٦٢) مراتب النحويين ٦٨ .

(٦٣) مراتب النحويين ٦٨ . انباه الرواة ٤٠/٢ .

(٦٤) الفهرست ٦٦ .

(٦٥) الخصائص ٣/٣١١ .

اما ما قيل من أنه تلمذ ليعسى بن عمر بقرينة نقله عنه ، او سيماعه منه فلا يعني شيئاً ايضاً ، لأن حدود عيسى بن عمر في عيشه لا تتجاوز حدود طبقته ، ولو كان علم عيسى بن عمر في النحو مما جعل الأخفش يستكثر عنه ، ويكون أعلم الناس لما كانت نقول سيبويه عنه لا تقاد تتجاوز العشرة ، ولما انقطع سيبويه عنه الى مجلس الخليل اذا ثبت حقاً أنه تلمذ له .

أما الاخبار التي تروى انه صار اعلم من سيبويه بما في الكتاب بعد ان
كان سيبويه اعلم به منه فصادرة عن الاخفش نفسه . فقد قال الرياشي :
« حدثني الاخفش قال : كان سيبويه اذا وضع شيئاً من كتابه عرضه على ،
 وهو يرى انى اعلم به منه ، وان كان اعلم منى ، وانا اليوم اعلم منه» (٦٦) .
ولا يسع الدارس الا أن يرد هذه القولة ، ويشكك في صحة هذا الزعم ،
لان ذلك يتعارض مع ما رواه ابو عثمان المازنی عنه مما سبق ذكره ، ولأن تلاميذه
ومعاصريه لم يروا فيه هذا ، بل لم يروه في النحو شيئاً .

واما تلمذة الكسائي والفراء له فليس في حياة الأخفش العلمية مما يؤيدها ، وليس ما استمسك به القائلون بهذه التلمذة الا روايات غامضة مصدرها الأخفش نفسه ، ويبدو عليها الافتعال ، لأنها اطلقت مجملة لا يهم الدارسين بأنها واقع ، ولصرفهم عن الدرس الكوفي والغض من شأنه ، ولم تبين الروايات كيف كانت تلك التلمذة ، ولا ما أفاده الكسائي والفراء منها . وكل ما جاء فيها مزاعم لا تكاد تخفي التعصب الذي كان منطلق تلك الروايات . يبدو مما حدث به الأخفش نفسه أيضا أن اتصاله بالكسائي واصحابه انما انما كان في بغداد ، وقد ورد الأخفش ببغداد طلبا للرزق وان كان كلامه يلمع انه وردها ليثار لسيبويه بعد فشله في المناظرة التي حدثت في بغداد بينه وبين الكسائي .

٦٩) مرات النحوين .

ومهما تكن الدوافع التي دفعت الاخفش الى الاقامة في بغداد فان الكسائي قد استطاع بعلمه وكفاءته ولباقيته أن يغطي على شخصيته ، وأن يضمه الى اصحابه وان يستدرجه الى تأديب أولاد له ، ثم يجري عليه مقدارا من المال ، وقد مال الاخفش اليه فعلا ، وعاش في كنفه . وقد تحدث الاخفش عن نفسه فقال : « لما ناظر سيبويه الكسائي ورجع وجه الي فعرفني خبره معه ، ومضى الى الاهواز فوردت بغداد فرأيت مسجد الكسائي فصليت خلفه الغداة ، فلما انفلت من صلاته وقعد وبين يديه الفراء والاحمر وابن سعدان سلمت وسألته عن مئة مسألة فأجاب بجوابات خطأته في جميعها فأراد أصحابه الوثوب علي فمنعهم ، ولم يقطعنى ما رأيتم عليهم عما كنت فيه ، فلما فرغت قال لي : أما انت ابو الحسن سعيد بن مسدة ؟ قلت : نعم . فقام الي وعانقني ، وأجلسني الى جانبه ، ثم قال : لى أولاد ، وأحب أن يتآدبوا بك ، ويتخرجو اعليك ، وتكون معي غير مفارق لى فأجبته الى ذلك » .

لقد التحق الاخفش فعلا باصحاب الكسائي ، وانطوى في كنفه ، وطفت عليه شخصية الكسائي حتى كاد لا يذكر من المواقف ما يتناسب مع مزاعمه ومزاعم البصريين الا أخبارا قليلة كان أكثرها صادرا عن الكوفيين ، فقد روى ثعلب عن سلمة عن الفراء عن الكسائي أنه قال : « لم يكن في القوم - يعني البصريين - أعلم من الاخفش ، نبههم على عوار الكتاب وتركهم . يعني كتاب سيبويه » (٦٧) . وحكى ثعلب أيضا « ان الفراء دخل على سعيد بن سالم ف قال : قد جاءكم سيد أهل اللغة ، وسيد أهل العربية فقال الفراء : أما مadam الاخفش يعيش فلا » (٦٨) وكان ثعلب يفضلها ، « وكان يقول : هو أوسع الناس - ولعله يعني البصريين - علما » (٦٩) .

(٦٧) مراتب النحوين ٦٨ .

(٦٨) معجم الادباء ٢٢٧/١١ .

(٦٩) نزهة الالباء ١٨٧ .

اذ كان هذا من قول ثعلب فلا أظن أنه يعني الناس جميعاً كوفيين وبصريين ولا سيما الفراء الذي قال ثعلب فيه : « لو لا الفراء لما كانت اللغة ، لأنه حصلها وضطها ، ولو لا الفراء لسقطت العربية ، لأنها كانت تتنازع ، ويدعوها كل من أراد ، ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرائحهم فتزهـب » (٧٠) . وأكبر الظن أنه احتدى الكسائي فيما حكى عنه فلم يقصد بالناس غير البصريين .

ومن المستغرب أن تصدر هذه الأقوال عن ثعلب الذي لم يكن يرى البصريين شيئاً ومن المستغرب أيضاً أن يكون الفراء نفسه يشيد بعلم الأخفش في اللغة والعربية ، وهو الذي لم يكن يرى سيبويه شيئاً ، لأنه فيما زعموا ، كان « على تيه وعجب وتعظم وكان زائد العصبية على سيبويه » (٧١) . ولو كان الفراء يرى في الأخفش ما صورته الرواية لكان الأخفش من مصادره في اللغة والعربية ، ولكن الدارس لا يرى في مصنفات الفراء ذكرأ للأخفش ولا اشارة إليه .

وليس ببعيد الاحتمال أن تكون هذه الأقوال مما افتعل على ثعلب ، افتعلها تلاميذ المبرد الذين تعصباً للبصريين على الكوفيين . أو مما قاته ثعلب فعلًا لأنره من مذهبهم ، ومخالفته سيبويه في بعض المسائل التي خالفوه هم فيها متابعة لهم ، وتقتربا إليهم .

أما القصة التي حكها عن نفسه ووصف فيها وزوجه بغداد ، ومساءلةاته للكسائي أن يلزمه ، ويؤدب أولاده فهو مدع غال فيما حكاه من سؤال الكسائي بعد الفراغ من الصلاة عن مئة مسألة خطأ في جواباته كلها ، لأن مثل هذا بعيد الوقع ، والا كان على غير الحال التي آلت إليها أمره . لقد جاء إلى بغداد - كما قالت القصة - ليثار لسيبوه ، ومن كان هذا قصده لم يضعف ، كما فعل

(٧٠) نزهة الآباء ١٢٧ .

(٧١) بغية الرعاة ٢/٣٣٣ .

عین لوح له الكسائي بالزلفي التي منحه اياها ، وبالجريدة التي أجرتها عليه ولم يكن النسائي ، اذ ضمه الى أصحابه ، ليأخذ عنه ، ولا ليفيد منه ، ولكن لم يُؤدب أولاده ولو كان الاخفش على ما ادعى لكان للكسائي معه موقف آخر . ولكنه رضى من طلب الشار بالانضمام الى أصحابه ، ومن فرض شخصيته العلمية بقيامه بتأنيب أولاده ، ويبدو أن الاخفش كان قد مهر في هذا فقد كان يذهب الى التكسب .

أما تلمذة الفراء له فأبعد احتمالا ، وذلك أن الاخفش الذي زعم أنه اقرأ الكسائي الكتاب سرا (٧٢) ، لم يقل ذاك ولم يلمح اليه في الفراء وكل ماقاله أنه : « لما اتصلت الايام بالمجتمع سألهني - يعني الكسائي - أن أُلْفَ لـه كتابا في معاني القرآن ، فألفت كتابي في المعاني ، فجعله اماما ، وعمل عليه كتابا في المعاني ، وعمل الفراء كتابه في المعاني عليهمما » (٧٣) .

لو كان الاخفش صادقا فيما ادعى لرأينا له أثرا فيما أمل الفراء من معاني القرآن ، ولكن الاخفش أحد من كان الفراء يروي عنهم فيه ، أو يروي لهم ، وما عهدنا الفراء الا ثقة أمينا في كل ماروى وحكي وحدث .

أما العربية فلم يزعم أحد حتى الاخفش أن الفراء تلمذ له فيها . لأن الفراء اذ ذاك كان يهيء نفسه للرئاسة بعد الكسائي ، لم يزعم ذاك حتى أشد المتعصبين على الفراء .

فتلمذة الفراء للإخفش تفتقر الى الدليل ، وهو مالم يتيسر للتذاعمين ، ولن ينقض رئاسة الفراء في العربية في بغداد أنه وقف على كتاب سيبويه ولازمه (٧٤) ، فكتاب سيبويه كتاب البصرة ، وخلاصة علم الخليل ، ولا بد للدارس الحاذق أن يقف عليه ، وعلى ما فيه من آراء ، واذا صبح أنه كان ملازما

(٧٢) معجم الادباء ١١ / ٢٢٩ . مراتب التحويين ٧٤ .

(٧٣) اباء الرواة ٢ / ٣٧ .

(٧٤) مراتب التحويين ٨٧ .

للكتاب فليس في ذلك مايغض من شأنه ، لانه لم يتعلم العربية به فهو فيها رئيس لاينازع ، وقد خالف على سببويه كثيرا « وكان زائد العصبية عليه » (٧٥) .

لم يجعل الدكتور(ضييف) شيئاً مما عرضت ، فقد قيل ذلك كله ، ودُوّن ، وتناولته أفواه الرواة وكتب الطبقات ، ولاشك أنه كان قد وقع له ، ووقف عليه، ولكن لم ينفعه فيما خطط له ، فلو أخذ به لما كان لتأليفه (المدارس النحوية) فائدة ، ولا لاستنتاجاته في فصوله معنى ، ولما تنسى له أن ينعم بالمخالفة مجرد أنها مخالفة .

تلاميذ ثعلب والمبرد

شهدت بيئات الدرس في بغداد بعد ثعلب والمبرد جيلاً من الدارسين اتسموا بالتحرر من العصبية المذهبية ، وشغلوتهم الحياة الجديدة عن الخصومات القديمة ، فلم يتحرجوا في الاخذ عن البصريين ولا عن غيرهم ، ولم يتوانوا عن الافادة من الثقافات المختلفة الوافدة من هنا وهناك ، لأن الاذهان كانت اوسع أفقاً ، واكثر انفتاحاً ، وأوسعى للافكار الجديدة ، وأبعد ما تكون عن التعصب الذي اتسمت به اذهان البصريين الذين وجدوا آباءهم على أمة فلم يحيدوا عن آثارهم ، ولا رأوا فيما وراء دائرةهم علماً يعتد به ، أو درساً جديراً بالعناية .

فبغداد في نظر المتردمين من البصريين « مدينة ملك ، وليس بمدينة علم ، وما فيها من العلم فمنقول إليها ، ومجلوب للخلفاء وأتاباهم ورعايتهم ، ونیتهم بعد ذلك في العلم ضعيفة ، لأن العلم جد ، وهم قوم الهزل أغلب عليهم ، واللعب أملك لهم » (١)

والدارسون في بغداد في نظر المتعصبين منهم « حشو عسكر الخليفة ، لم يكن بها من يوثق به من كلام العرب ، ولا من يرتضى روايته ، فان ادعى أحد منهم شيئاً رأيته مخلطاً صاحب تطويل وكثرة كلام ومكابرة ، ولا يفصل بين علماء البصرة بال نحو ، وبين الرواسي والكسائي ، ولا بين قراءة أهيل الحرمين وقراءة حمزة ، ويتحفظ أحدهم مسائل من النحو بلا علل ولا ولا تفسير » (٢) .

(١) مراتب النحوين ١٠١ .

(٢) المصدر نفسه .

غير أن الحياة الثقافية في بغداد كانت تستعصي على فهم أبي الطيب اللغوي ، فلم ير فيها علما ، ولم يجد في نية البغداديين قوة ، لأن العلم جد والقوم عنده هازلون .

وكانت بغداد أوسع من أن يحيط بها ادراك أبي حاتم ، فلم ير فيها في الدارسين على اختلاف تخصصاتهم ، وتنوع مهاراتهم إلا مخالطين أصحاب تطويل وكثرة كلام ومكابرة .

ولكن الحياة الثقافية ظلت تنمو وتزدهر ، وتنسج وتنعمق ، وأبو حاتم وأبو الطيب اللغوي من بعده ظلا يعانيان جدبًا وجمودًا وضيقًا وضحالة ، ولم يبق في أيديهما لمواجهة التجديد إلا التحامل ونفث الحقد والتعصب ، فكان نصيب الفراء وأصحابه من أبي حاتم أن يوسموا بعیسیٰ التخلیط والمکابرة ، ومن نصيب ابن قتيبة من أبي الطيب اللغوي أن يوصف بأنه كان يختلط بالحكایة عن الكوفيين « ويتسروع في أشیاء لا يقوم بها » ، ويصف كتبه ، وفيها : أدب السکاتب ، وعيون الاخبار والمعارف ، والشعراء بأنها « مما أزرى به عند العلماء ، وإن كان نفق بها عند العامة ومن لا بصيرة له » (٣) .

وكل ما عيب به على الفراء أنه خالف على البصريين ، و « تعمد الخلاف على سیبویه » ، واصطعن اوضاعاً ومصطلحات وسميات لم يألفها البصريون ، وكل ما عيب به على ابن قتيبة أنه كان يحتكى عن الكوفيين حکایات يزعم أبو الطيب أنه لم يكن اخذها عن ثقات » (٤) .

وقد أدى ذلك إلى أن يعيش الدارسون البصريون في عزلة ، وإن يتحاموا الانفتاح لما يجري في غير بيئتهم ، لئلا يوسموا بالتخلیط أو يتهموا بالافساد . أما الدارسون في بغداد فحالهم مختلفة ، فهم أوعى للثقافات ، واكتسر انفتاحاً للافكار ، وأقل تعرجاً في الأخذ والحكایة عن هذا العريق أو ذاك .

وتمضي الأعوام ، ويمضي معها ثلب والمبرد ، ويبقى جيل من الدارسين بعيد عن الخصومات ، لا يرى في طلب العلم من بصرى أو كوفي حرجاً ولا يجد

(٣) مراتب النحوين ٨٥ .

(٤) الصدر نفسه .

في الحكاية عن كوفي غضاضة ، ولم يعدم أن يكون فيه من يواجه تعصب المبرد بما يجده منه ، كما كان من أبي احسن بن كيسان مع المبرد ، فقد « كان ابن كيسان يسأل أبا العباس محمد بن يزيد المبرد عن مسائل فيجيبه ، فيعارضها بقول الكوفيين » ^(٥) .

لقد استرعى هذا الجيل الذي تلمذ لشعلب والمبرد انتباه الدارسين ، فرأوا فيه جيلاً جديداً متفتحاً ليس فيه تزمر البغداديين الأوائل ولا تعنت البصريين الأوائل ، ولا تعصيهم لراء شيوخهم ، وكان هنا التفتح على ممثلي المذهبين وأرائهم لافتاً انتباه ابن النديم خاصية فكان منه أن جعل رجاله فريقاً ثالثاً من الدارسين ، مميزاً إياهم من رجال المذهب البصري ، ورجال المذهب الكوفي بأنهم خلطوا المذهبين ولم يعن ابن النديم بخلط المذهبين التلمذة للمبرد وشعلب ، بل كان يعني أنهم تحرروا من تزمر المتعصبين من الفريقين ، فلم يتعرجوه في الحكاية عنهم بأية أنه جعل ابن قتيبة الذي لم يأخذ عن شعلب ولا عن غيره من البغداديين الكوفيين في مقدمة من خلط المذهبين ، لأنه كان يحكى في كتبه عن الكوفيين .

ويمكننا أن نجعل أعلام هذا الجيل ثلاثة طوائف :

الطاقة الأولى : جماعة من الدارسين لزموا شعلباً ومذهبة ، وروجوا له ، ورعوه وانتصروا له .

والطاقة الثانية : جماعة من الدارسين لزموا المبرد ومذهبة ، وتعهدوه وانتصروا له .

والطاقة الثالثة : جماعة من الدارسين كانت تختلف إلى شعلب والمبرد ، وتتلذذ لهما ، و تستكثر عنهما .

(٥) مراتب النعويين - ترجمة الفراء ٨٨ ، ١٣٧ / ١٧ ، ١٣٨ .

اما الطائفة الاولى فمن أشهر اعلامها :

١ - أبو موسى العامض ، سليمان بن محمد بن احمد (توفي سنة ٣٠٥ هـ) لزم أبا العباس ثعلبا ، وكان من اكابر اصحابه ، وألصقهم به ، وقد خلفه في الرئاسة ، وتصدر مجلس التدريس بعده ، وكان شديد التعصب على معاصريه من الدارسين الذين لازموا المذهب البصري ، وأخذوا عن المبرد والزجاج وغيرهما .

كان أبو موسى من الشيوخ الذين كان الزجاجي كثيراً ما يشير إلى أنه كان من جمع علم البصريين إلى علم الكوفيين (٦) ، وكذلك فعل اصحاب الطبقات (٧) إلا ياقوت فقد زعم أنه «كان جاماً بين المذهبين ، الكوفي والبصري» (٨)، ولعله تأثر ابن النديم في عد أبي موسى العامض فيمن خلط المذهبين ، دون أن يذكر الذين أخذ منهم من البصريين ، ولعل ابن النديم كان قد وهم فעהو فيهم ، وما نسب إليه من رفض لمنع المصرف من الصرف اختياراً واضطراراً يوافق فيه جمهور البصريين (٩) ، لا يعني أنه كان يخلط المذهبين ، لأن اجتهاد من أبي موسى ، ووجهة نظر خاصة ، وليس من النادر أن يوافق كوفي بصربيا في مسألة ليخالف أصحابه فيها ، كما ليس من النادر أن يوافق بصربيا كوفيا في هذه المسألة أو تلك .

٢ - وأبو بكر بن الانباري ، محمد بن انقاسم بن بشار (توفي سنة ٣٢٨ هـ) أبرز تلاميذ ثعلب ، واوسعهم اطلاعاً ، واغزراهم علماً ، وقد جعله الازهري في عرضه لطبقات النحاة بوزن منافسه أبي اسحاق الزجاج ، بل يبدو من ثنایا

(٦) نظر : الايضاح في علم النحو ٧٩ .

(٧) طبقات لغويين ولغوين . انباء الرواية ١٤١ / ٣ . نزهة الاباء ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، و

(٨) معجم الادباء ٢٥٤ / ١١ .

(٩) همع المهاوم ٣٧ / ١ .

الحديث انه كان يرجحه ، فقد كان « مقدما في صناعته ، معروفا بالصدق ، حافظا ، حسن البيان ، عذب الالفاظ ، لم يذكر لنا الى هذه الغاية من الناشئين بالعراق وغيرها أحد يخلفه ، أو يسد سده » (١٠) .

وكان ابو بكر بن الانباري من اعلم الناس فى نحو الكوفيين ، ومن اكثراهم حفظا للغة ، وكان قد صنف فى موضوعات شتى فى علوم القرآن وفى الحديث ، وفي المدح ، وفي النحو وفي الشعر (١١) .

ومن مصنفاته :

(رسالة المشكك) كان قد عملها لشرد على ابن قتيبة وابي حاتم ، وهو كتاب فى تفسير المشكك فى القرآن ، وكان قد املأه وبلغ فيه الى سورة طه (١٢) ، وكان الازهري يقول : « كان واحد عصره ، واعلم من شاهدت بكتاب الله ومعانيه واعرابه ، اختلاف اهل العلم فى شكله » (١٣) .

و (كتاب الاضداد) وهو مطبوع ، وابو بكر في هذا الكتاب كثير الرواية عن ابي العباس ثعلب ويعقوب بن انسكيت وابن الأعرابي والفراء والبسائى، وبعض البصريين مثل ابي عبيدة والأصمسي . وكان قد تصدى فى مواضع منه لتخطئة قطرب ، وابن قتيبة والرد عليهم .

من ذلك قوله : « انشدنا أبو العباس (يعنى ثعلب) وغيره :

وحديث أله هو مما تشتهيه النفوس يوزن وزنا
منطق صائب وتلحن أحيا نا وخير الحديث ما كان لحنا

وقال : اراد (تلحن) تصيب وتخطيء ، واراد بقوله : (ما كان لحنا) : ما كان صوابا . وقال ابن قتيبة : اللحن فى هذا البيت : الخطأ ، وهذا الشاعر

(١٠) تهذيب اللغة ٢٨/١ .

(١١) نزهة الالباء ٣٣٠ فطا بعدها .

(١٢) المصدر نفسه .

(١٣) تهذيب اللغة ٢٨/١ .

استملع من هذه المرأة ما يقع في كلامها من اخطاء . قال ابو بكر : وقوله عندنا
حال ، لأن السب لم تزل تستقبع اللحن من النساء كما تستقبعه من الرجال ،
ويستملعون البارع من تلام النساء كما يستملعونه من الرجال « (١٤) .
ومن ذلك قوله : « قال قطرب : من الاضداد قولهم : قد خدمت النعل ،
اذا انقطعت عروقها وشسعاها ، واخذتها اذا اصلحت عروقها وشسعاها . وهذا
ليس عندي من الاضداد ، لأن (خدمت) لا يقع الا على معنى واحد ، وكذلك
ولفظ (اخذمت) يخالف لفظ خدمت) ، وما لم يعبر الا عن معنى واحد بلفظه
لا يكون من الاضداد » (١٥) .

ويبدو أن أبا بكر الأنباري كان من المرموقين في سعة علمه ، وكثرة حفظه، وكان قد شهد عنوان العصبية المذهبية ، واضطر إلى مواجهتها ، وكان من اتباع المذهب البصري يحاجونه في كثير من الأصول الكنوفية ، فزعم الزجاجي انه كان يصطعن في احتجاجه اسلوب البصريين ، ويدفع منطق البصريين ، ويناظر خصومه بمثل اساليبهم في المعاشرة ، وربما اضطر إلى ان يحكى عن الفراء وغيره ، لم يقولوه من تعليلات ونفسيرات ، غير أن لم يتحقق الجدل حذق البصريين ، ولا مهر فيه مهاراتهم .

٤١) الامداد ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

• ٣٧١ (١٥) الاٰضداد

١٦) الإِضَاحُ فِي عَلْلِ النَّحْوِ ٦٣

ولابي بكر بن الانباري آراء تتناقلها كتب النحو ، لم تخرج عن الحدود التي رسمها شيوخه مؤسسو هذا المذهب من اعتداد بالنقل واعتماد لا يحده على القراءات .

من ذلك : ذهابه الى عدم اشتراط الاتفاق في المعنى في التشنيمة والجمع ، وذلك « لوروده في قوله تعالى : واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق . ومن قوله صلى الله عليه وسلم : الأيدي ثلاث ، فييد الله هي العليا ، ويد المعطي ، ويد السائل السفلي ، قوله العرب : القلم احد اللسانين »^{١٧} .

٣ - وأبو عمر الزاهد ، محمد بن عبدالواحد (توفي سنة ٣٤٥ هـ) . كان من تلاميذ ثعلب المقربين حتى عرف بغلام ثعلب . وقد اضطربت الآراء فيه ، فهى بين موثق ومضعف ، ففيما يشيد ابن برهان بعلمه ويرى انه اعلم من تكلم في العربية اذ بالخطيب البغدادي يزعم ان جماعة من اهل الادب يطعنون عليه ، ويقولون : لو طار طائر في الجو لقال : حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي ، غير ان المحدثين يوثقونه » . وكان انتوخى يقول : « لم يُرَ قط احفظ منه»^{١٨} .

ولابي عمر مصنفات في اللغة والنحو منها : المدخل في اللغة ، وشرح الفصيح ، واليواقيت . وتفسير اسماء الشعراء ، وفاثت الجمهرة . وفائد العين . وغريب الحديث ، والنوادر او كتاب العشرات .

لازم ابو عمر ثعلبا واستكثر عنه ، وكانت عامة الحكاية في كتاب (الداخل في اللغة) عن ابي العباس ثعلب .

واخذ عنه أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي الأديب الكاتب اللغوى ، وأبو الطيب عبدالواحد بن علي اللغوى الحلبي صاحب كتاب شجر الدر الذى

(١٧) حمع الهوامع ٤٣/١ .

(١٨) تاريخ بغداد ٣٥٧/٢ . معجم الادباء ٢٢٧/١٨ . نزهة الالباء ٣٦٤ .

(١٩) معجم الادباء ٢٢٦/١٨ .

سلك فيه مسلك شيخه أبي عمر في كتابه (المدخل) ، وابو القاسم عبد الواحد ابن على بن برهان الأسدى .

سمع الخطيب البغدادي ابن برهان هذا يقول : « لم يتكلم في علم اللغة أحد من الاولين والآخرين احسن من كلام أبي عمر الزاهد » (٢٠) .

وسمع الخطيب « غير واحد يحكي عن أبي عمر الزاهد ان الاشراف والكتاب واهل الادب كانوا يحضرون عنده ليسمعوا كتب ثعلب وغيرها » (٢١) .

اما تضعيقه ، واتهامه بالكذب ، واختلاق الحكايات التي تغمذه فنقوض بما سمعه الخطيب من مشايخه ، وبما حکاه عن تلميذ أبي عمر وهم اعلام موثقون .

ولابي عمر اقوال تتناقلها كتب النحو وهو في نسوه ولغته كوفي أصيل .
ومن آرائه في النحو : ذهابه إلى جواز حرفة حرف المعرب لغير جزم ،
نحو (يأمركم) وتابعه ابن مالك في هذا ، وقال : « إن أبا عمرو حکاه عن لغة
تميم ، وخرج عليه قراءة « وبعولتهن أحق » بسكون التاء » (٢٢) ، وهذا هو
مذهب الفراء في جواز حذف حرفة (يفعل) لغير جزم تخفيفا .

ومنها : الغاء (عسى) فقد حکى قوله : « عسى زيد قائم » ، وقد تمسك
بحكايته بعض النحاة فخرجها على اسناد (عسى) ضمير الشأن (٢٣) .

وبأمثال هؤلاء الدارسين امكن للمذهب الكوفي البغدادي ان يواصل
مسيرته ، ويحتفظ بحيويته ونقاءه على تعاقب العصور ، وتفاوت الآفاق .

واما الطائفة الثانية فمن أشهر اعلامها :

١ - أبو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج (٣١١-٢٣٠ هـ) . كان

(٢٠) تاريخ بغداد ٣٥٨/٢ .

(٢١) تاريخ بغداد ٣٥٦/٢ .

(٢٢) همع الهوامع ٥٤/١ .

(٢٣) همع الهوامع ١٣٠/١ .

يشتغل بخرط الزجاج ، ليقتات ويقيت اسرته ، ويستعين به على طلب العلم شأنه في ذلك شأن النابهين في تلك البيئة الحضارية .

تلمند لأبي العباس ثعلب عالم بغداد بال نحو واللغة والأدب ، ووارث علم الفراء والكسائي . وبقي ملazما ثعلب آخذا عنه نحو البغداديين الكوفيين، وعلمهم باللغة والنحو والأدب والشعر .

ثم ورد المبرد بغداد سنة ٢٤٧ للهجرة فارا من سامراء بعيد مقتل المتوكل وكان اذا ورد بغداد ورد بلدا « لا عهد له باهله ، فاختل وادركته الحاجة ، شهود صلاة الجمعة ، فلما قضيت الصلاة اقبل على بعض من حضره ، (وسائله) ان يفاتحه السؤال ليتسبب له القول فلم يكن عند من حضره علم . فلما رأى ذلك رفع صوته ، وطفق يفسر ، يوهم بذلك انه قد سئل » (٢٤) . وقد نجح في ذلك ، واسترعى انتباه الدارسين اليه ، وأراد الزجاج ان يفتش عنه ، وكان ذلك اول اتصاله به .

حكى الخطيب عن ابي الحسن العروضي عن ابي اسحاق الزجاج انه قال : « كنت اقرأ على ابي العباس ثعلب ، واميل الى قولهم - يعني الكوفيين - فعزمت على اعناته ، فلما فاتحته الجمنى بالحججة وطالبني بالعلة ، وألزمني الزمامات لم اهتد لها ، فتبينت فضله واسترجحت عقله ، وجدت فى ملازمته » (٢٥) .

وروى الزبيدي قصة انقطاع الزجاج عن ثعلب ولزومه المبرد بمثل ما حكاه الخطيب ، ونكنه عزا مفاتحة الزجاج الى طلب ثعلب وزعم انه ذهب اليه مع هارون بن الحائك احد أصحاب ثعلب ، وبعد ان رأى الزجاج من المبرد ما رأى اعترض ملازمته ، والتلمذة له . وأجرى على المبرد ثلاثة درهما فى الشهر هي ما كان يدخله من ايام عمله الخمسة من كل شهر لطلب العلم ،

(٢٤) طبقات النحوين واللغويين ١١٨ .

(٢٥) تاريخ بغداد ٣/٣٨١ .

ووافق المبرد بعد ان اشترط انقطاعه عن ثعلب ، واطراحته كتب الکوفيين .
واذعن للأمر ، ولازمه حتى برع فى نحو البصريين ، ونبه ذكره فى اصحاب
المبرد حتى كان المبرد لا يقرئ احدا كتاب سيبويه حتى يقرأه على ابراهيم ،
ويصحح به كتابه « ٢٨ ٠ وكان ذلك ايامه الى رئاسة ابى اسحاق بعد المبرد ،
وكان أبو بكر مبرمان يقول ، فيما يروى الزبيدي عنه ، : « قصدت ابن کيسان
لاقرأ عليه كتاب سيبويه ٠ فامتنع وقال : اذهب الى أهله ، يشير بذلك الى
الزواج » ٢٧ ٠ ثم آلت رئاسة النحو البصرى بعد المبرد الى الزجاج فعلا ،
وكان من بعده مرجع الدارسين فى مذهب أهل البصرة فى النحو ، ولم يعده احد
فيمن خلط المذهبين ، بل لم يذكر الا على انه امام المذهب ومستشار البصريين ،
ولم تسعف له تلمذته لشعلب ليكون من خلط المذهبين ، ولا أخذه عن الرجلين
ليكون احد رجال المدرسة البغدادية ٠

وهذا يؤكّد أمرين :

اولهما : ان ابن النديم لم يكن ليعني بمن خلط المذهبين ان يكون له
مذهب ثالث ليس بالبصرى ولا بالکوفي ، ولو كان ذلك مما دار فى خلد ابن
النديم لكان ابو اسحاق الزجاج عنده فى مقدمة الفريق الذى كان يختلط
المذهبين ، ولكن ابن النديم لم يعده فيهم ، بل عده فى العلماء البصريين وفى
اصحاب ابى العباس المبرد ، بل « اقدم اصحاب المبرد قراءة عليه » ٢٨ ٠

وثانيهما : ان الاساس الذى بنى عليه المحدثون فكرة المذهب البغدادى
هو التلمذة لشعلب والمبرد ، والتعمق فى مصنفاتهما ومصنفات شيوخهما من
البصريين والکوفيين ، وليس بين تلاميذ الرجلين من افاد منهما وتعملق فى
مصنفاتهما ووقف على علم الكوفيين وعلم البصريين كابى اسحاق الزجاج ٠

(٢٦) طبقات اللغويين والنحوين ١١٩ ٠

(٢٧) طبقات اللغويين والنحوين ١٧١ ٠

(٢٨) فهرست ابن النديم ٩٠ ٠

ومع ذلك لم يكن الزجاج معدوداً عندهم في أعلام بغداديين ، وذلك يدل في
وضوح على أن الأساس الذي بنى المحدثون فنرتهم عليه متهاوت لم يلبت ان
اهمار .

ولم أر أحداً من الدارسين يعد الزجاج في رجال المذهب البغدادي المزعوم
غير هدى محمود قراءة ، فقد قدمت لكتاب (ما ينصرف ، وما لا ينصرف)
للزجاج مقدمة سريعة عرضت فيها فنرة أن يكون الزجاج مؤسساً للمذهب
البغدادي ، لأنه كثيرة ما يتعدد في سمعها «ان المذهب البغدادي ما هو الا
خلاصة المذهبين ، الكوفي والبصرى . ما هو الا ان يختار افضل ما في المذهبين
من آراء ليخلص لنا مذهب تتركز فيه الآراء المختارة ، ولن نرى اقدر من
الزجاج ولا افضل منه مؤسساً للمذهب البغدادي ، وواضعها نبته الاولى ،
فالزجاج قد جمع علم البصرىين والковيين . . . فاذا اضاف الى ذلك آراء انفرد
بها ووضح انه مؤسس المذهب البغدادي »^(٢٩) .

بهذه السذاجة ارادت الدراسة هدى محمود قراءة ان تخوض فيما خاص
فيه الدكتور الانصارى والدكتور ضيف من افعال المذهب ثالث ، وبهذه
السذاجة ايضاً فهمت ان جمع الآراء الى آراء يؤلف مذهبًا جديداً ، وان اضافة
آراء جديدة الى ما تلقاه من آراء الفريقين يقوى فكرة المذهب الثالث .

لو كانت الدراسة الفاضلة عنت ما قالت حقاً لبينت لنا الآراء الكوفية التي
اختارها الزجاج وجمعها الى الآراء البصرية ، لم تفعل شيئاً من ذلك لأنها لا
تملك شيئاً من ذلك ، ولم تطلق الزعم اطلاقاً الا تقليداً واتباعاً .

كان للزجاج مكانة مرموقة في الدارسين ، وقد تلمذ له اعلام المدرس في
القرن الرابع مثل أبي بكر بن السراج ، وأبي القاسم الزجاجي ، وأبي على
الفارسي ، وأبي جعفر النحاس ، وأبي الحسن الرمتاني وأبي بكر مبرمان وغيرهم .

(٢٩) ما ينصرف وما لا ينصرف ١٢

وله مصنفات كثيرة في اللغة والنحو والمصرف ، وفيما له صلة بهذه الموضوعات .

وهو بصرى المذهب ، يقيس ويعمل ويفترض ويصطمع النفاط المتكلمين
وعباراتهم ، وفي كتابه (ما ينصرف وما لا ينصرف) امتهن يفتح منها منهجه
العقلى فى الدرس النحوى .

من ذلك قوله : «التنوين علامة لامكن الاشياء عندهم ، وقد يكون متمثلاً لا تنوين فيه ، فيترك التنوين فى المتمكن الذى هو ثقيل عندهم ، وذلك كله ما لا ينصرف غير منون ، ليفصل بين المستوفى التمكثن وبين الناقصين التمكثن » (٣٠) .

وقوله في تعلييل امتناع الجر فيما لا ينصرف : « فاما الجر وهو الخض
فانما امتنع فيما لا ينصرف من قبـل أنـ ما لا ينصرف فرع في الاسماء ، كما
ان الافعال فرع عن الاسماء ، لأن الاسم قبل الفعل ، فقد اشبه ما لا ينصرف
ال فعلـ فلا يكون في انحاء اعرابه ما لا يدخل الفعلـ » (٣١) .

ومن ذلك تعليمه انصراف ما زيد فيه الألف والنون في النكارة . فقد قال : « وانما انصرف في النكارة لانه اشبه (سبتان) في الزيادتين ، وانحط عن باب (سبتان) لانه ليس مثله في الحركة والسكن ، وانه ليس له مؤنث على حدته » (٣٢) .

(٣) مانعه ف و ما لانعه ف - ص ١ .

^{٣١} ما ينصرف وما لا ينصرف - ص ٢١

٣٦ فـ وـ مـا لـانـجـه

٣٣) مانصف، وما لانصف ص ٦ .

وقوله : « وقد اجمعوا ان جميع ما لا ينصرف يصرف في الشعر »^(٣٤) .
ومن ذلك تمسكه بالاووضع البصرية كالاووضع التي يرددونها في باب
ما لا ينصرف ، كالعدل ، وشبه الفعل ، وما لا ينصرف ، وتعليقه منع الصرف
بوجود علتين فرعيتين الى غير ذلك .

٢ - وابو القاسم عبدالرحمن بن اسحاق الزجاجي (توفي سنة ٣٣٧هـ)
احد اعلام الدارسين ، وصاحب التصانيف وصاحب كتاب (الجمل) الذي لم
يحيى كتاب في النحو بمثل شهرته بعد كتاب سيبويه ، ويمثل ما قبل
عليه الدارسون قراءة وشرحه وتحاليله .

كان الزجاجي قد اخذ عن اعلام عصره وتلمذ لابي اسحاق الزجاج ، ولزمه
واستتر عن نسبه حتى نسب اليه ، ولابي الحسن بن كيسان وابي بكر بن الخياط
وابي بكر بن الأنباري ، وعلى بن سليمان الاخفش وغيرهم .

وقد عُرِفَ الزجاجي في كل ما كتب ناهجاً نحو استاذه أبي اسحاق في
النزع إلى مذهب البصريين ، والاحتجاج له ، والرد على من خالفه من اتباع
مذهب الكسائي والفراء وثعلب ، وفي تصانيفه شاعت التسمية بالكتوفي والковفين
علمًا لاتباع ثعلب ويبدو أن هذه التسمية ظهرت ، أول ما ظهرت ، في مجالس
أبي اسحاق الزجاج ومصنفاته تميزاً له ولا تباعه من معاصريه تلاميذ ثعلب الذين
لازموه وانتصروا لمذهب ، ولم يظهر إلى أن أحداً من الدارسين قبل الزجاج كان
يستطيع هذه التسمية .

وكان احتذاء الزجاجي استاذه في هذه التسمية واضحاً حتى لا يجد الدارس
عنه تسمية غيرها لاتباع مشايخ بغداد الاولين ، وبالرغم من أنه كان قد تلمذ
لتلاميذ ثعلب ، واحد عنهم ، ووقف على مذهب البغداديين بهم ، سواء من
خلص منهم لمذهب ثعلب ، مثل أبي بكر بن الأنباري أم من تلمذ منهم لشعلب

(٣٤) ما ينصرف وما لا ينصرف ص ٥٠ .

والبرد ، وجمع علم البصريين الى عنم الكوفيين ، مثل أبي بكر بن الخياط ، وأبي بكر بن شقير وعلي بن سليمان الاخفش وغيرهم .

وإذا أردنا أن نتخيّل من محض التلمذة لمشيخين والوقوف على علم الفريقيين أساساً لماقول بالمذهب الثالث كان الزجاجي أحد اعلام هذا المذهب ، لانه اخذ عن تلاميذ البرد وتلاميذ ثعلب ، ووقف على علم البصريين وعلم الكوفيين ، غير ان هذه الفكرة بلغت من السذاجة حداً لا يتجدد معه في نفس الدارس الجاد قبولاً .

وكان الدكتور مازن المبارك في كتابه (الزجاجي) حاول أن يطبق هذه الفكرة التي سبق إليها فلوكل وبروكمان واحمد امين ومن تابعيهم على مذهب الزجاجي في النحو ، فذهب إلى مثل ما ذهبوا إليه ، وقال : « والزجاجي واحد من هؤلاء الذين تلقوا علم البصرة والكوفة ، وبسطوا أقوال علماء المذهبين جميعاً ، منتخبين منها ما يرون أنه الحق ، وكان بعد ذلك اميل إلى البصريين في آرائه وأحكامه ، وليس غريباً أن يكون الزجاجي بعدهما النزعة مع ميله إلى الأخذ باقوال البصريين » (٣٥) .

وقد استخلص الدكتور المبارك هذا من أقواله في كتابه (الايضاح في علل النحو) ، وكان الزجاجي حقاً لا يخفي أنه انتفع باخذه عن علماء الكوفيين إلا إن الذين اخذ عنهم علم الكوفيين طائفتان :

طائفة كان أول اعتمادها على علم الكوفيين ، ثم درسوا علم البصريين بعد ذلك ، فجمعوا بين العلمين ، وذكر منهم أبا الحسن بن كيسان وأبا بكر بن شقير وأبا بكر بن الخياط ، وابا الحسن علي بن سليمان الاخفش .

وطائفة كان اعتمادها على علم الكوفيين ، لم يجمعوا بينه وبين علم البصريين ، وذكر منهم أبا بكر بن الانباري وأبا موسى العامض وابا الفضل

(٣٥) الزجاجي - حياته وآثاره ومذهبة النحو . ١٠ .

الملقب بزبيل وأبا محمد عبد الملك بن مالك الضرير . ولم يجد من مقالته أنه أفاد من هؤلاء شيئاً إلا أبو موسى الحامض ، فقد ذكر أنه اخذ عنه حكايات يسيرة .

ويبدو نلدازس أن الدكتور المبارك تغافل عن مواقف الزجاجي من الكوفيين ومنظارته اياهم ورد مذهبهم بالمذهب الذي اتبعه وهو مذهب البصريين ، وباسلوبه في الاحتجاج والجدل . واغفل ان يذكر لنا رأياً كوفيياً اختاره اللهم إلا بعض الاوضاع والمصطلحات الكوفية التي رأى الزجاجي يصطفعها في كتاب (الجمل) ، ولا يعني اصطدام المصطلحات انكوفية أن يكون الزجاجي من خاطر المذهبين ، واختار من أقوال علماء المذهبين مارأى أنه الحق ، لأن كثيراً من المصطلحات التوفيقية كانت قد شاعت في بيئات الدرس ، فلم يكن من السهل تجاهلها والاضراب عنها ، فقد جرى بها قلم الزجاج وابن السراج ، ولم يكن ذلك بمخرج اياهما عن دائرة المذهب البصري ، بل لم يكن اخذ ابن السراج ببعض الاراء الكوفية ، وحكايته عن الكوفيين بمخرج ابن السراج عن كونه أحد أتباع المذهب البصري ، ولم أر احداً من القائلين بفكرة المذهب الثالث من جعل ابن السراج واحداً من أتباعه .

ولم يتغافل الدكتور المبارك عن ذلك حسب ، ولكنه رأى الزجاجي نفسه يسلك نفسه في البصريين حين كان يعبر عنهم بعبارة (أصحابنا) فلم يعره شيئاً من اهتمامه .

وأنه ما أخشاه أن يكون الدكتور المبارك قد اوقع نفسه في تناقض لم يوقعه فيه إلا تمثيله في جعل الزجاجي بغدادي النزعة ، فعدّ الزجاجي نفسه في البصريين ، واصطنانه الجدل والاعتلال ، وفتحه ابواب الجدل على نفسه لا يلتقي مع فكرة ان النزعة الكوفية تمثل الوجه الآخر لمذهبة النحو .

وليس عدم اغلاظه القول للكوفيين اذا رد عليهم مُخرجاً اياه عن الخط المذهبى الضيق الذى اختاره استاذه أبو اسحاق الزجاج ، وتابعه الزجاجي فيه

أعني متابعته المحضة للمذهب البصري ، لأن فتور التعصب على الكوفيين عند الزجاجي يرتبط بمناجة لابن زوجه منازع البغداديين ، وكيف يمكن الزجاجي بغدادي النزعة ، وهو لا يفتأ يتحدث عن الكوفيين تحدث من لاصلة له بهم ، ويرد عليهم آراءهم في كل مسألة يعرض لها في (الايضاح) ، ويدرك البصريين على انهم أصحابه ؟ ألم يكن النص الذي نقله الدكتور المبارك عن (مختصر ازاهر - الورقة ١) : « وليست هذه المسألة مسيطرة لاصحابنا في شيء من كتبهم البتة ، وهي مسيطرة في كتب الكوفيين » (٣٦) ، كافيا في الدلالة على ان الرجل اتهم بالنزعة البغدادية اتهاما ، ولم يشفع له عند من اتهمه انه جهر بالانتساب الى البصريين ، والنزوع الى مذهبهم ، وأنه ألف كتابا في العلل هو كتاب (الايضاح) .

وبعد ثمانى سنوات من تأليف الدكتور المبارك كتابه (الزجاجي) يجيء الدكتور شوقي ضيف بكتابه (المدارس النحوية) ليرد ما قاله الدكتور المبارك ، ويضيف عليه طابعا جديدا حتى لكانه ابتداع لم يسبق اليه .

ويتحدث الدكتور ضيف عن الزجاجي ، كما تحدث عنه الدكتور المبارك الا بعض الاختلاف في اسلوب العرض ، فالزجاجي عنده من البغداديين ، ولكنه جعله آخر الجيل الاول منهم (٣٧) .

ولم يستطع الدكتور ضيف ان يُوفّق بين ذهابه الى بغدادية الزجاجي ، ووصفه كتاب (الايضاح) بقوله : « ومن يقرأ الكتاب يرى الفلسفة والمنطق وعلم الكلام والفقه ، او بعبارة ادق عللها جميعا تمس جوانب التعليل والاحتجاج فيه » (٣٨) ، ولم يشفع للزجاجي عنده ذلك ، ولا اصراره على أن « يسلك نفسه

(٣٦) الزجاجي ١٤ .

(٣٧) المدارس النحوية ٢٤٦ .

(٣٨) المدارس النحوية ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

في البصريين » (٣٩) ، ولا معايجه الحجة الكوفية التي تنقصها الدقة المنطقية الشائعة في حجج البصريين « حتى تسبك في الصورة البصرية » (٤٠) ۰۰۰ لم يشفع ذلك تله لازجاجي عنده لبسه في اعلام المدرسة البصرية ۰

ان من حق الدارس أن يتوقع من الدكتور ضيف أن يبسط فكرته ، ويرسم خطوطها العريضة ، ويبين كيف يكون الدارس بصريا اذا لم نأخذ بعين الاعتبار أسلوبه في الجدال والحجاج ، ومنظقيته فيتناول الموضوعات بالدرس ، ولم نعتد بصريح انتسابه الى البصريين ومناهضته للمkovيين ، وتعصبه عليهم ! واما الطائفة الثالثة فتتألف من الدارسين الذين كان اعتمادهم اولا على الكوفيين ، ثم اخذوا عن ابصريين ، فجمعوا علم البصريين الى علم الكوفيين ، وهم الذين كان ابن النديم وغيره يعدونهم في العلماء الذين خلطوا المذهبين ۰

واشهر اعلام هذه الطائفة : ابو الحسن بن كيسان ، وابو بكر بن الخياط ، وابو بكر بن شقير وابو الحسن علي بن سليمان الاخفش ، الا أنهم ، في اكبر الظن ، لايمثلون اتجاهها ثالثا مستقلا عن الاتجاهين الرئيين ، البصري والكوفي ، ولم يحل جمعهم بين العلمين دون أن يسلكوا في احد الفريقين ، وييمكن للدارس أن يسلك بعضهم في الكوفيين ، وبعضهم في البصريين ، وبين يديه من اقوال الدارسين القدماء ، وآراء الدارسين المحدثين مايؤيد ذلك ۰

ومن أجل أن يتضح الامر للدارس نتناول بالدرس ثلاثة من اعلام هذا الفريق ، ونقف على آراء القدماء فيهم ، وهم : ابو الحسن بن كيسان ، وابو بكر بن شقير ، وابو الحسن علي بن سليمان الاخفش ۰

اما ابو الحسن بن كيسان فهو محمد بن احمد (توفي سنة ٢٩٩) كان من اوائل من تلمذ لشلب ، ووقف على دقائق المذهب البغدادي ، وبعد ورود المبرد

(٣٩) المدارس النحوية ٢٥٥ ۰

(٤٠) المصدر نفسه ۰

بعداد ، واقبال الدارسين على مجلس المبرد كان ابن كيسان من أولئك الذين اختلفوا إلى مجنسه واستكثروا عنه ، ولعل أسلوب الدرس عند المبرد ، وفي المصنفات النحوية القديمة كان قد راقه ، ووقع من نفسه موقعاً حسناً ، لأن ابن كيسان، فيما يبدو، كان من أولئك الدارسين الذين شغفوا بالثقافات الجديدة التي أخذت منذ أوائل القرن الثالث تتلمس طريقها إلى مجالس الدرس على اختلافها ، ووجد في منطق المبرد وأسلوب تناوله موضوعات الدرس ما يتافق مع منازعه الفكرية .

وبعد المبرد وتعجب كان ابن كيسان في مقدمة الذين حفظوا المذهبين وألموا بأسلوبهما في الدرس ، ومعالجتها موضوعاته ، وكان مرجع طلاب العلم الذين كانوا يريدون الوقوف على مذهب المغداديين الأوائل ، المذهب الذي أخذ ظله ينحصر عن مجالس الدرس بعد غلبة المذهب البصري ، وكان الزجاجي يعده في مقدمة العلماء الذين كانوا قدرة اعلاماً في علم الكوفيين (٤١) ، إلا أن حفظ المذهبين ، والأخذ عن الشيوخين لا يؤلف مذهبها نحوياً جديداً ، لأن محض الوقف على الآراء لا يعني التأثر بها مالم يوافق ذلك هو في نفس الدرس ، ة مالم يكن أسلوبه في معالجة موضوعات الدرس متاثراً بها مطابعاً بطبعها .

والطبع العام للدرس عند ابن كيسان ، فيما يبدو من اقواله وتوجيهاته هو انطباع البصري المتأثر بأساليب المتكلمين والحكم الاعتبارات العقلية فسيأصول الدرس النحوي ومسائله ، فقد كان ابن كيسان يعالج الدرس النحوي بمثل ما كان البصريون يعالجونه به ، وكان في تأليفه كتاب (المختار في عمل النحو) الذي ذكره الزجاجي (٤٢) ، يبدو كمن يريد أن يفسف النحو البصري، ويُقوّم من ميَّله عند النظارة والحجاج ، وكتاب المختار في عمل النحو يان ابن كيسان

(٤١) الإيضاح ٧٩ .

(٤٢) الإيضاح ٥٠ .

صنفه في ثلاثة مجلدات أو أكثر^(٤٣) ، ويدل اسمه على أنه ليس كتابا في النحو، ولكنه في بيان عمل النحو .

كان كتاب « المختار في عمل النحو » في أكبر الظن ، الصادر الذي صدر عنه الزجاجي في تصنيفه كتاب (الايضاح في عمل النحو) ، وتأن ملهم ابن جنى في وضع كتابه (الخصائص) ، وجاء أبو البركات الانباري (توفي سنة ٥٧٧ هـ) فتابع ابن جنى والزجاجي وعمل كتابه (اسرار العربية) وكتابه (الاغراب في جدل الاعراب) ، وكتابه (لم الادلة) ظهر الدرس النحوي فيها هيكل لا ينطوي على حياة ، ولم يبق من اندرس النحوي فيها الا اسمه والا مصطلحات وعبارات ليس لها مدلول لغوي ، ومع ذلك يجيء باحث في آخر الزمان فيبارك عمل الانباري ، ويحاول ان يقيل من عثراته ، وي Sidd من خطواته فيقول : « نحن نعرف أن التطلع الى ان يتكون للعربية علوم وقواعد وأصول على مثل ما للشرعية أمنية داعيت هم الكثير من العلماء منذ المئة الثانية للمigration ، فمحاكاة اهل الحديث في فن الرواية ، والعنایة باسند معروفة ، وكذلك تقليدهم مدرسة الرأى في النقه في تعليل الاحكام حدتهم على ان يجدوا لاحكام العربية علا تشبيه تلك من جهة ، وتشبه من جهة ثانية عمل المتكلمين الذين اعتمدوا انعقلا والمنطق سلاحين في دعوتهم الى فلسفة العقيدة ، فكان للنحو احتاج بقواعد تشبيه ما للمحدثين ، وقياس وتعليل يشبهان ما للفقهاء والمتكلمين » (٤٤) .

وهو كلام لا يصدر مثله عن دارس واحد لطبيعة الدرس النحوي ، واذا كان للانباري عذر في تصنيفه هذه اكتب بجهله طبيعة الموضوع والمنهج الذي يدرسه وفقه فيما عذر دارس معاصر توافرت له مناهج الدرس الحديث ، ورسمت له خطوط الدرس اللغوي والنحوي بوجه خاص !

(٤٣) معجم الادباء / ١٧ / ١٣٩ .

(٤٤) انظر مقدمه الافتتاحي لكتابي الانباري : الاغراب في جدل الاعراب ولم الادلة ، ص ١٩

وبتلمنة ابن كيسان لشعلب والمبرد ، وجمعه علم البصريين الى علم الكوفيين عده ابن النديم فيمن خلط المذهبين ، وقال عند ذكره اياته : « كان ابو الحسن فاضلا ، خلط المذهبين ، واخذ عن الفريقين » (٤٥) .

وسلكه أبو سعيد السيرافي في النحوين البصريين ، وفي أصحاب ابى العباس المبرد ، وكان يرى أن الرئاسة في النحو البصري آلت اليه والى أبى اسحاق الزجاج بعد المبرد ، فهو بصرى المذهب وان « كان يخلط المذهبين » (٤٦) . وذكره ياقوت وقال : « كان يخلط المذهبين ، الكوفي والبصرى في النحو ، لانه أخذ عن المبرد وشعلب » ، وعقب على مازعمه ابو بكر بن مجاهد من ان ابن كيسان كان « أنجى من الشيختين ، يعني المبرد وشعلبا » ، فقال : « كان ، كما قال ، يعرف المذهبين الا أنه كان الى البصريين اميل » (٤٧) .

اما مؤلف «المدارس النحوية» فرأى من تلمذته لمشيختين ، وخلطه المذهبين تأييداً للفكرة التي دعا اليها ، ولكي يجعل من ابن كيسان نموذجاً للمدارسين البغداديين أخذ يتقول على الذين ترجموا له ، فزعم انهم يقولون : « انه مزج النحوين البصري والكوفي ، فأخذ من كل واحد منهما ما غالب على ظنه صحته واطرد له قياسه ، وترك التعصب لاحد الفريقين » (٤٨) .

غير ان المترجمين له لم يقولوا هذا ، وكل ما قالوه انه خلط المذهبين، لانه أخذ عن الشيختين ، اما انه كان يختار من الاراء من كل واحد منهما ما غالب على ظنه صحته ، واطرد له قياسه ، وترك التعصب لاحد الفريقين ، فزيادة وتلقيق من عنده ، طاويلا الاشارة الى اختلاف القدماء فيه ، لكي تستقيم له الفكرة ، وتقوى له الحجة ، ولو رجعنا الى اقوال القدماء فيه ارأينا انهم اختلفوا فسي تقويم نزعته مذاهب شتى :

(٤٥) فهرست بن لنديم ١٢٠ .

(٤٦) انظر : أخبار النحوين البصريين ١٠٨ بيروت .

(٤٧) معجم الادباء ١٧ / ١٣٧ .

(٤٨) المدارس النحوية ٢٤٩ .

فالزبيدي يرى أنَّ «مِيلَهُ إِلَى مَذْهَبِ الْبَصْرِيِّينَ أَكْثَرَ»^(٤٩) ، ولكنَّه جعله في الطبقة اتسادسة وهي عبارة عن طبقة اصحاب ثعلب^(٥٠) . والمرزبانى لم يضعه في طبقة بعينها ، ولم يترجم له ، ولم يذكره الا في ترجمة المبرد^(٥١) .

وابن النديم يصفه في جماعة من العلماء خلطوا المذهبين^(٥٢) . وأنزجاجى يذكره في العلماء الكوفيين . والسيرافي يسلكه في النحويين البصريين ، ويجعله في طبقة اصحاب المبرد وانْ كَانَ يخْلُطُ الْمَذْهَبَيْنَ .

وياقوت يرى انه كَانَ يخْلُطُ الْمَذْهَبَيْنَ ، ولكنَّه إلى البصريين اميل . وقد اغفل الدكتور ضيف هذا كله وجعله على رأس البغداديين ، وراح يعرض آراء نَهَا وافق فيها البصريين ، وآراء آخرى وافق فيها الكوفيين ثم آراء اشتقتها لنفسه^(٥٣) ، لبخلص إلى ان ابن كيسان كان المؤسس للمدرسة البغدادية . ولا اظن منهج البحث يقر الدارس على ان يترخص في تشويه النصوص ونقطيعها ، واختيار ما يتلاءم من اجزاءها مع الفكرة التي يدعو إليها .

الحق انَّ الاقوال التي حذَّرَها النحويون عن ابن كيسان تدل على انه ينزع إلى البصريين ويعالج مسائل النحو بالطريقة التي كان البصريون يعالجونها بها .

فقد كان يتمسك بالعامل ، وبتقديره اذا لم يكن مذكورا ، وكان يرى ان الظرف في نحو قوله : زيد امامك ، ليس خبرا ، لأن الخبر في الحقيقة

(٤٩) طبقات النحويين واللغويين ١٧١ .

(٥٠) طبقات النحويين واللغويين ١٧٠ .

(٥١) نور القبس ٣٢٧ .

(٥٢) فهرست ابن النديم ١٢٠ .

(٥٣) المدارس النحوية ٤٥١ .

« هو العامل المحدود ، وان تسمية الظرف نفسه خبرا مجاز »^(٥٤) . ولاشك ان القول بان الخبر هو العامل المحدود قول بصري . اما الكوفيون فيذهبون الى ان الظرف نفسه هو الخبر ، فهم اذن لا يقدّرون محدودا .

وكان يتفلسّف في تلاميذه على مسائل النحو ، شأن البصريين الذين فتحوا الباب للفلسفة الكلامية لتوثّر في موضوعاتهم النحوية ، فقد تناول واو العطف بالدرس تناولا فيه تشير من ظلال الفلسفة الكلامية ، فقال : « هي لمعنى حقيقة . واستعمالها في غيرها مجاز ، قال : لأنها لما احتملت الوجه ثلاثة ، ولم يكن فيها أكثر من جمع الأشياء كان أغلب احوالها أن تكون لجمع في كل حال حتى يكون في التلام ما يدل على التفرق »^(٥٥) .

وكان يصطـنـعـ الحـدـ الجـامـعـ المـانـعـ فـىـ تـعرـيـفـاتـ مـوـضـوعـاتـ النـحـوـ ، وـقـدـ حدـ الـاسـمـ بـاـنـهـ « صـوتـ مـوـضـوعـ دـالـ بـاـنـفـاقـ عـلـىـ معـنـىـ غـيرـ مـقـرـونـ بـزـمانـ »^(٥٦) ، وقد كان للزجاج البصري مثل هذا الحد « فقد سئل الزجاج عن حد الاسم فقال : صوت مقطّع مفهوم دال على معنى غير دال على زمان ولا مكان »^(٥٧) .

والحدود التي جرى عليها البصريون لا تختلف عن الحدود التي جرى عليها المناطقة . قال الزجاجي : « وعندنا الحد : هو الدال على حقيقة الشيء »^(٥٨) . وهل الحد الدال على حقيقة الشيء غير الحد الذي لا يكون إلا جاماً مانعاً ، وهو الحد الذي يقوم على ذكر الجنس والفصل ، وهو ما يقوم به مصطلح (الحد) عند المناطقة .

اما النحاة الكوفيون فلم يعرفوا الحدود بمعناها المنطقي ، ولم تجرء على

(٥٤) هـمـمـ الـهـوـامـعـ ٩٩/٢ .

(٥٥) هـمـمـ الـهـوـامـعـ ١٢٩/٢ .

(٥٦) الـايـضـاحـ ٤٨ .

(٥٧) الصـاحـبـيـ ٥١ .

(٥٨) الـايـضـاحـ ٤٦ .

الستheim ، ولكن حدودهم تساق للتقرير على الدارسين . ومن حدود

الاسم عندهم :

الاسم : ما وصف . . وهو قول الكسائي^(٥٩) .

والاسم : ما احتمل التنوين او الاضافة او الالف واللام . وهو قول

الفاء (٦٠)

والاسم : ما دخل عليه حرف من حروف الخفض . وهو قول هشام .

اما الآراء التي تابع فيها الكوفيين فلا تعود ان تكون من الآراء التي تنطلق من وجهة نظر خاصة ، واتباع دارس مذهبنا معينا لا يعني اغلاق باب الاجتهاد دونه ، ولا الحجر على ان يفكر تفكيرا مستقلا ، ولم يكن اتباع المذهب ملغيين المزايا العقلية الخاصة ، ولا حاجرا على الحرية في التفكير ، ولو كان الامر كذلك لخرج المبرد عن الدائرة البصرية باختلافه مع سيبويه رأس المذهب ، ونقضه كثيرا من آرائه ، ولخرج الفراء عن الدائرة الكوفية بمخالفته الكسائي رأس المذهب ، ونقضه كثيرا من آرائه .

على ان بعض الاراء التي وافق فيها ابن كيسان الكوفيين كان الزجاج ، وهو من اعلام المذهب البصري ، قد وافقهم فيه ايضا . من ذلك ان الكوفيين كانوا يرون ان الضمير في (هو) و (هي) هو الهاء فقط ، وقد وافقهم الزجاج وابن كيسان فذهبا الى مثل ما ذهبوا اليه ، ولم يخرج هذا بالزجاج عن كونه من اشد الدارسين لزوماً لمذهب البصريين ، وانتصاراً له .

٤٩) الصاحبي (٥٩)

٥٠) الصاحب (٦٠)

٥٠) الاضاح

اما عدم تعصبه على الكوفيين ، وهو الذى اتى منه الدكتور ضيف قرينة على كونه بغدادى المذهب ، فلا يعنى الاخذ بمذهبهم ، لأن ذلك يتافق مع مزاجه الخاص ، ونرتبط بتلذته لشعلب ، وصلته به وتعظيمه ايات ، وقوه شخصيته التى لم تضعف امام اغراءات المبرد ، كما ضعفت شخصية الزجاج حين ائتمر بأمره ، واطرح كتب الكوفيين .

وبعد فابن كيسان فى نهجه وطريقه تفكيره وتناوله موضوعات النحو بالدرس لم يخرج عن حدود المذهب البصرى ، فقد كان معنيا بالعلل والأسباب غالبا فى العامل وتقديره ، والنحوى الذى يعنى بالعلل ، ويصنف فيها كتابا كبيرا ابعد ما يكون عن أن يكون آخذا بمذهب الكوفيين .

واكبر الظن ان الدارسين الذين جعلوا ابن كيسان فيمن خلط المذهبين لم ينظروا الى خصائص طريقة ، وانما نظروا الى انه كان ملما بآراء البصريين والكوفيين بتلذته لشعلب والمبرد . ووقف الدارس على آراء مدرسة بعينها لا يعنى انه من رجالها ما لم يكن آخذا بأسلوبها فى تناول الموضوعات بالدرس ، ولا أرى ابن كيسان الا بصريا ، لانه كان ينزع الى البصريين بعيانته بالعلل ، ومزج كلامه بالمنطق ، وتلك سمة من ابرز سمات مذهب البصريين فى الدرس النحوى .

واما أبو بدر بن شقير فهو احمد بن احسن بن العباس (٦٢) ، « نوفي سنة ٣١٧ هـ (٦٣) ، روى عن ابى عصيدة احمد بن عبيد بن ناصح تصانيف الواقدى . وحدث عنه ابو بكر بن شاذان (٦٤) . له من المصنفات : كتاب مختصر فى النحو ، وكتاب فى المقصور والممدود ، وكتاب فى المذكر

(٦٢) وفي الإيضاح (ص ٧٩) : أحمد بن الحسين بن العباس . وما أثبتته هو الصواب .

(٦٣) تاريخ بغداد ٤ / ٨٩ .

(٦٤) المصدر نفسه .

والموئل(٦٥) ، وكان من آئمة العربية(٦٦) وانضمت الاقوال في مذهب
النحوى .

فالسيرافي يعده فيمن خلط المذهبين ، ويضعه هو وابا بكر بن الخياط
في طبقة ابى بيكر بن السراج وابى بكر ميرمان(٦٧) ، ولعل السيرافي في
ذكره ايام في النحويين البصريين يشير الى انه من اتباع المذهب البصري .

وابن النديم يعده فيمن خلط المذهبين ، ولم يلحقه بالبصريين ولا
بالковفيين .

وأبو بكر الزبيدي يضعه في طبقة اصحاب المبرد ، وان سقطت ترجمته
في النسخة المطبوعة ، ولم يثبت الا اسمه(٦٨) .

وأبو القاسم الزجاجي وهو معاصره وأخذ عنه يتحدث عنه وعن ابن الخياط
وابن كيسان ، ويعدهم في الكوفيين ، ويقول : « ومن علماء الكوفيين الذين أخذت
عنهم : ابو الحسن بن كيسان ، وابو بكر بن شقير ، وابو بكر بن الخياط ، لأن
هؤلاء قدوة اعلام في علم الكوفيين ، وكان أول اعتمادهم عليه ، ثم درسوا
علم البصريين بعد ذلك فجمعوا بين العلمين »(٦٩) ، ثم خصه بشيء لم يشرك
صاحبيه فيه فقال : « كان شديد التعلق بمذهب الكوفيين على البصريين »(٧٠) .

وابو البركات الأنباري يعده في النحاة الكوفيين . قال : « كان عالما
بالنحو ، وكان على مذهب الكوفيين » (٧١) .

(٦٥) نزهة الالباء ٣١٥ .

(٦٦) مصدر نفسه .

(٦٧) أخبار النحويين البصريين ٦٠٩ .

(٦٨) طبقات النحويين واللغويين ١٢٨ .

(٦٩) الايضاح ٧٩ .

(٧٠) الايضاح ٨١ .

(٧١) نزهة الالباء ٣١٥ .

ويعني خلطه المذهبين انه جمع بين العلمين عالم الكوفيين وعالم البصريين ،
ولا تكاد كتب الطبقات تذكر من شيوخه غير ابى عصيدة احمد بن عبيدة بن
ناصر . فقد روى عنه تصانيف الواقدى^(٧٢) ، وابن ناصر هذا نحوى كوفى ،
وكان يحدث عن الأصمى والواقدى ، وعن القاسم الانبارى . وكان من أئمة
العربىة^(٧٣) .

وقد ذكرت كتب الطبقات أنَّ ابن شقيق مهمنفات سبقت الاشارة اليه اذ :

ما عرض له الزجاجى من احتجاج للكوفيين على أن اصل الاعراب للاسماء والافعال معا ، فقد كان ابن شقيق يحتاج بمثل ما كان معاصره من الكوفيين يتحجون . فيرى ويرون « ان الافعال مستحقة للاعراب فى الاصل كما استحقت الاسماء »(٧٤) ، وذلك « ان الافعال ايضا تختلف معانيها كما اختلفت معانى الاسماء فت تكون ماضية ومستقبلة ، ومحبطة ومنفية ، ومجازى بها ، ومأمور بها ، ومنهيا عنها ، وت تكون للمخاطب والمتكلم والغائب ، والـ ذكر والانشى »(٧٥) .

ومنها : ذهابه الى ان (ليس) حرف ، والقول بحرفيتها قول كوفي ..

فقد كان الكسائي يقول : « اجريت (ليس) في النسق مجر—رى

٧٢) تاریخ بغداد ٤ / ٨٩

٣١٥ - (٧٣) نزهة الالباء

• ٨ • (٤) الاضمار

• ٨١ (٧٥) الايضاح

٨١) الإِضَاح

(۷۷) «(لیس) ریکون ح جدا ، ویکون استثناء ینصب به

وزبما جاءت (ليس) بمعنى (لا) التي ينسق بها ، كقول لبيه :

• «انما يجزى الفتى ليس الجمل»^(٧٨)

وقال الفراء : « اذا حسنت (ليس) موضع (لا) جاز ، وانشد :

«انما يجزي الفتى ليس الجمل»

اي : انما يتعزى الفتى لا الجمل (٧٩) . وانشد الفراء :

قد سوأ الناس ياما ليس بأس به واصبح الدهر ذو العرنين قد جدعا
« يجعل (ليس) تقوم مقام التبرئة » (٨٠) . اي : تقوم (لا) التي يسمىها
البصريون بالذافية للجنس ، فهي اذن حرف .

وقال ثعلب في مجالسه : « حكى ابن الاعرابي : قد جعل الناس ما ليس
بأنس به » (٤١) . وقال : « مررت بزيدٍ ليس عمرٍ و « (٤٢) و (ليس) هنا نسق
مشتمل (لا) .

ونسب البغدادي في الخزانة القول بحرفيتها إلى الكوفيين حاكيا ذلك عن أبي حيان ، والي البغداديين ، حاكيا ذلك عن ابن عصفور (٨٣) ، وقد سبق أنْ قلنا : إنَّ الرأي واحدٌ وإنَّ البغداديين عند ابن عصفور هم الكوفيون عند أبي حيان .

١٤١ (٧٧) الصاحب .

(٧٨) لسان العرب / ٦٠٠

٧٩) خزانة الادب / ٤٧٧

٣٥٤ / ٢) معايس شعب

٨١) مجالس تعليم ١/١٣٢

٨٢) خزانة الادب / ٤٧٧ .

٨٣) المُرْجَعُ نَفْسِهِ •

غير ان ابن هشام والسيوطى الذى تابعه كانا قد وهما ، فنسبا القول بحرفيتها الى أبي بكر بن السراج .

قال ابن هشام : « وذعمن ابن السراج انه حرف بمنزلة (ما) ، وتابعه الفارسي في (الحلبيات) وابن شقير وجماعة » (٨٤) .

وقال السيوطى : « وذهب ابن السراج الى حرفيّة عسى ونيس مستندا الى عدم تصرفها ، ووافقه فى الاولى ثعلب ، وفي الثانية الفارسي وابن شقير» (٨٥) .

وقد خلط السيوطى في هذا ، فجعل ثعلبا موافقا لابن السراج ، ومنطق البحث يقتضيه أن يعكس الامر ، وجعل القول بحرفيّة (ليس) منسوبا الى ابن السراج مع ان انسائي والفراء وثعلبا كانوا قد سبقوه الى انقول بحرفيتها ، كما ان ابا احيان ، فيما حكاه البغدادي ، كان قد نسب الرأى الى الكوفيين .

وزأى الشیخ محمد محیی الدین ناشر ابن عقیل ما قاله ابن هشام فخیل ایه ان ابن السراج هو اول من قال بهذا ، وجزم واهما بـان « اول من ذهب من النحاة الى أن (ليس) حرف هو ابن السراج ، وتابعه على ذلك ابو علي الفارسي في «الحلبيات» وابو بكر بن شقير وجماعة » (٨٦) ، واکبر الظن ان الشیخ لم یرجع الى غير ابن هشام ، لأن نص العبارتين واحد ، فوهم بوهمه .

فابن شقیر ، وان کان يحفظ المذهبین کما زعم السیرافي وابن الندیم وغيرهما - معدود من الكوفيين ، لم یخرجه عن دائرته المذهبیة في النحو کونه خلط المذهبین ، وجمع علم البصریین الى علم الكوفین ، بل کان الزجاجی یراه

(٨٤) معنی اللیب ١/٣٢٧ .

(٨٥) همع الھوامع ١/١٠ .

(٨٦) شرح ابن عقیل - هامش ١/٢٢٧ ط ٧ .

احد علماء الكوفيين الذين هم قدوة اعلام في علم الكوفيين^(٨٧) ، وكان ابو ابركات الانباري يرى أنه « كان عالما بال نحو ، وكان على مذهب الكوفيين»^(٨٨) .
ولا اعلم انه اخذ عن بصرى ، لأن كتب الطبقات لم تذكر احدا من اندارسين اخذ عنه ابن شقيق غير ابى عصيدة ، او ابن عصيدة احمد بن عبيد بن ناسع ، وهو من ائمة العربية الكوفيين^(٨٩) . واذا صبح انه اخذ عن بصرى بن وكوفيين ، وجمع علم البصريين الى علم الكوفيين فانه كوفي في المزعة ، وأحد علماء الكوفيين ، والاراء انتى اخذ بها وحكيت عنه آراء كوفية .

اما ما زعمه ابن هشام والسيوطى من بعده من متابعة ابن شقيق لابن السراج في القول بحرفيته (ليس) فهوهم وتخليط كما بيننا ، لأن القول بحرفيته (ليس) كان البكستاني وانفرا وثعلب قد سبقوا اليه ، ولم يكن ابن السراج هو صاحب القول ، كما زعموا ، بل كان متابعا للكوفيين ، وآخذها بمقالتهم ، وليس هذه هي المرة الاولى التي أخذ فيها ابن السراج برأي كوفي ، فقد حكى كثيرا من آرائهم وتبعهم في كثير من اقوالهم .

ومع ذلك كان السيرافي يتغافل عن هذا ، ولا يعدّه فيمن خلط المذهبين ، بل سلكه في البصريين الذين محض علمهم فلم تشبه شائبة كوفية ، وكان ابن النديم يرى انه من البصريين ايضا ، وان الرئاسة في نحو البصري آلت اليه بعد موت الزجاج ، ويحكى عن ابن درستويه « انه - يعني ابن السراج - كان من احدث غلمان المبرد سنا »^(٩٠) . ولم اقف - فيما وقفت عليه من كتب الطبقات - على رأى مخالف لما رأاه السيرافي وابن النديم .

ومع ذلك كله ايضا لم اجد من الدارسين المعاصرین القائلين بالمذهب الثالث من سلك ابن السراج في المدرسة البغدادية على حين انهم سلکوا فيها من كان اضعف صلة بعلم الكوفيين ومذهبهم منه كالزجاجي والفارسي وابن جني .

(٨٧) الايضاح ٧٩ .

(٨٨) نزهة الالباء ٣١٥ .

(٨٩) بغية الرعاة ١/٣٣٣ .

(٩٠) فهرست ابن النديم ٩٢ .

واما أبو الحسن علي بن سليمان الاخفش (توفي سنة ٣١٥ هـ) فقد سمع أبي العباس ثعلبا والمبرد «^(٩١) » ، واستكثر عنهم ، ولكنه ، فيما زعم المرزباني ، لم يَنْتَهِ متسعا في الرواية للاخبار وانعلم «^(٩٢) » ، وكان المرزباني يتحدث عنه في (القتبس) فيما ذكر ياقوت ، فقال : « ما عَنْمَتْه صنف شَيْئَا الْبَتَّة ، ولا قال شعرا ، وكان اذا سُئل عن مسائل النحو ضجر ، وانتهر كثيرا من يواصل مسائلته ، ويتابعها » «^(٩٣) » .

وذكره ابن النديم فيمن خلط اندھبین الا أنه قال : « كان يضجر كثيرا اذا سُئل عن شيء من النحو » «^(٩٤) » ، وذكر من مصنفاته كتاب الانواء ، وكتاب الثننية والجمع ، وكتاب العراد .

وتکاد الروایات تتفق على أنه لم يكن شيئا في النحو ، وأنه كان يضجر حين يسأل عن مسألة منه ، الا أن ياقوتا ذكر عن ابن النديم عن نسخة من الفهرست بخط مؤلفه أن لعلي بن سليمان الاخفش « من التصانيف : كتاب الانواء ، وكتاب الثننية والجمع ، وكتاب شرح سيبويه » «^(٩٥) » . وكان هذا الذي ذكره ياقوت هو مصدر الوهم الذي وقع فيه المحدثون .

فقد جاء في (دائرة المعارف الاسلامية) ، في مادة (سيبوويه) استعراض لشرح الكتاب ، وكان علي بن سليمان الاخفش واحدا منهم .

وذهب بروكeman في (تاريخ الادب العربي) إلى هذا ايضا ، موهما انه انما استند في ذلك إلى مذكرة البغدادي في خزانة الادب (٣٥١/٢) س ٦ من اسفل) «^(٩٦) » .

(٩١) تاريخ بغداد ٤٣٣ / ١١ .

(٩٢) نور الثبس ٣٤١ .

(٩٣) معجم الادباء ٢٤٧ / ١٣ .

(٩٤) فهرست ابن النديم ١٢٣ الرحمانية بمصر ، ٨٣ لا يبرك .

(٩٥) معجم الادباء ٢٤٨ / ١٣ .

(٩٦) تاريخ الادب العربي ١ / ٢٣٩ الطبعة العربية .

و عند الرجوع الى ماتكتبه البغدادي في شرح الشاهد التاسع عشر بعد
ثلاث المئة رأيناه يورد قول الشاعر :

فر ججتها بمزاجة زح انصاعب أبي مزاده

وهو شاهد على الفصل بين المضاف والمضاف إليه بنير النظر ، والمضاف
إليه بالإدلة . وينقل عن السيرافي أن مثل هذا الشاهد مما لم يثبته « أحد من
أهل الرواية . وهو من زيادات أبي الأخفش في حواشي كتاب سيبويه ،
فأدخله بعض النسخ في بعض النسخ ، حتى شرحه الاعلم وابن خف في جملة
أبياته » يعني أبيات الكتاب . ثم ذكر البغدادي أن الأخفش المسمى هنا « هو
أبو الحسن سعيد بن مساعدة صاحب سيبويه ، لا الأخفش أبو الخطاب فانه
شيخ سيبويه » (٩٧) .

فالبغدادي لم ينسب مثل هذا الى علي بن سليمان الاخفش ، ولم ينسب
الى شرحا لكتاب سيبويه ، كما وهم بروكلمان .

لقد عده ابن النديم فيمن خلط المذهبين ، ولكن الاراء المنسوبة اليه تقينا على حذر من تصديق أنه نحوى خلط المذهبين ، فهو مع أنه اخذ عن ثعلب والمبرد وحکى عنهمما ليس بـ^{نحوى} الذي يقف بازاء نحاة الجيل ، ولعل عده فيمن خلط المذهبين يقوم على أساسٍ من روايته عن البصريين والکوفيين ، وهو كذلك فيما يبدو من نقول الزجاجي عنه في أمالیه ، فقد حکى عنه في اکثر من خمسين موضعا منها ، وكان بعض هذه الروايات عن المبرد ، وبعضها عن ثعلب ، فخلطه المذهبين انما يعني انه لم يتلزم بأروایة عن البصريين وحدهم ، ولا عن الكوفيين وحدهم . وكل ما ثبته الزجاجي له في أمالیه من حکایات وروايات انما

٩٧) خزانة الادب ٢/٢٥١ س ٧ من اسفل .

يتعلق برواية النَّسْعُورُ والأخبار ، أما النَّحْو فليس له ، فيما حكاه الزجاجي عنه ، نصيَّب منه ، ولم اقف له في هذه الموضع التي ذكر الزجاجي اسمه فيها رأياً نحوياً ، أو مسألة من مسائل النَّحو .

أما كتب النَّحو فقد روت له أقوالاً في النَّحو ، ولكنها قليلة ، وقد يكون بعضها لغيره من الأخافش ، فنسب إليه وهما ، كما وهم محقق كتاب (اعراب القرآن) النَّسْبُ إِلَى الزجاج ، فقد ورد فيه اسم الأخافش أو كنيته في ثمانية وخمسين موضعاً ، وزعم محقق الكتاب أن المقصود هو : أبو الحسن علي بن سليمان الأخافش ، وقد أثبتت في فهرس الإعلام : « الأخافش أبو الحسن = هنري ابن سليمان الأخافش أبو الحسن»^(٩٨) . فإذا وصل في فهرسه إلى حرف العين أثبتت اسم (علي بن سليمان الأخافش أبو الحسن) . وذكر بازائمه أرقام الصفحات وعدتها ثمان وخمسون صفحة^(٩٩) ، وليس للأخافش على بن سليمان قسول واحد منها ، وهي كلها من أقوال أبي الحسن سعيد بن مساعدة الأخافش ، كما يتضح ذلك عند مقابلة هذه الأقوال بأقوال سعيد بن مساعدة المنسوبة في كتب النَّحو .

أكبر الظن أنَّ الذي أوهم محقق كتاب (اعراب القرآن) وأوهم غيره هو هذا التوافق بين الرجلين في الكنية واللقب ، فكلاهما يكتفى بأبي الحسن ، وكلاهما يلقب بالأخافش .

ومهما يكن من أمر فعلى بن سليمان الأخافش لا يصلح أن يكون مثلاً لرجال الجيل الذي خلط المذهبين ، لأنَّه إذا كانت حاته في النَّحو على ما ذكر المرزبانى وابن النديم فليس له مذهب يُعتدَ به . يضاف إلى هذا أنَّ الأقوال القليلة التي ترويها كتب النَّحو لا تقدم صورة واضحة لمذهبها في النَّحو .

١٠٥٧) عرب القرآن^(٩٨) .

١٠٦٢) اعراب القرآن^(٩٩) .

الدرس النحوي في القرن الرابع

اذا كان الدرس البصري قد بسط نفوذه على بीئات الدرس في بغداد في القرن الرابع فليس يعني هذا أن امر الكوفيين قد انتهى ، وآل الدرس الكوفي ألى زوال . فقد بقي هذا الدرس حيا بأعمال دارسين اعلام كان لهم الاثر الكبير في بقاء هذا الدرس ، ومنهم لغويون مثل ابن خالويه وابن فارس ، ومنهم أدباء وشعراء مثل أبي الطيب .

ابن خالويه :

اما ابن خالويه فهو ابو عبدالله الحسين بن احمد (توفي سنة ٣٧٠ ه) .
نحويا على طريقة الكوفيين .

لان اعتماده في النحو واللغة على تلاميذ ثعلب ، فقد أخذ عن أبي بكر بن الانباري ، وأبي عمر الزاهد ، وأبي عبدالله ابراهيم بن عرفة المعروف بنفطويه .
ولانه كان كثير الرواية عن ثعلب وابن الاعرابي والفراء وألكسائي .
ولانه كان يصطنع الاوضاع الخاصة بالковيين ، كالنسق مكان العطف ،
وحرروف الصفة مكان حروف الجر ، فقد قال في اعراب قوله تعالى :
« توافقوا بالصبر » : « توافقوا : نسق على الاول . بالصبر جر بباء
الصفة » (١) . والجحد مكان النفي . قال في اعراب قوله تعالى : « ما اغنى » :
ما : جحد » (٢) .

ويبدو أن الدارسين الذين عاصروه كانوا قد عرفوا أنه ينزع إلى الكوفيين ،
فقد حكى ابو البركات الانباري : « أنه اجتمع هو وأبو علي الفارسي ، فجرى

(١) اعراب ثلاثين سورة ١٧٧ .

(٢) اعراب ثلاثين سورة ٢٢٢ .

بينهما كلام ، فقال لابي عندي : نتكلم في كتاب سيبويه ، فقال أبو علي : بل نتكلم في الفصيح » (٣) .

وفي هذا ايماء الى أن المغة تقلب عليه ، والى أنه كوفي النزعة ، لأن أبا علبي لم يحله على كتاب بصري في اللغة ، ولكنه أحواله على فصيح ثعلب ، وكان أبا علبي فهم ابن خالويه كان يتحداه في فهم كتاب سيبويه فتحداه أبو علي في فهم فصيح ثعلب .

ابن فارس :

واما ابن فارس فهو ابو الحسين احمد بن فارس (توفي سنة ٣٩٥ هـ) ، كان نحويا على طريقة الكوفيين (٤) ، وقد أخذ عن ابي بكر احمد بن الحسين الخطيب راوية ثعلب (٥) . وله مصنفات في اللغة كثيرة اشهرها : كتاب المجمل ، وكتاب المقاييس ، وكتاب متخير الالفاظ ، وكتاب (الصاحب) في فقه اللغة . وفي هذا الكتاب أكثر من قرينة تدل على أنه كوفي المذهب .

فقد جوز أن تضمر (أن) في قوله :

ألا أيهذا الزاجرى أحضرَ الوغى (٦) .

وهو مذهب كوفي .

وجعل لادوات الاضافة أكثر من معنى على أساس نيابة العروض بعضها عن بعض ، وهو مذهب كوفي ، لأن مذهب البصريين ألا يكون تلادة أكثر من معنى واحد ، وما أوهم فمحمول عندهم على تضمين الفعل معنى فعل اخر يتعدى بتلك الاداة .

(٣) نزهة الالباء ٣٨٥ .

(٤) انباه الرواة ٩٤/١ .

(٥) نزهة الالباء ٣٩٢ .

(٦) الصاحبى ١٠٤ .

واصطنعم اوضاع الكوفيين كثيرا ، وكان يعبر عن العطف بانسق ، وعن (ال فعل المضارع) بانفعل المستقبل . قال : « لا : حرف نسق ينفي الفعل المستقبل » ^(٧) .

وذهب الى ان (ليس) حرف فقال : « ليس نفي فعل مستقبل . تقول : ليس يقوم » ^(٨) . والقول بانها حرف قول الكسائي والفراء وثعلب وقد مر بيانه .

وخير ما نستند اليه في عده في التوفيين هو طريقته القائمة على الاحتجاج بالنصوص والشواهد من فصيح كلام العرب في تناونه مسائل النحو بالدرس حيث لا يلتجأ إلى قياس ولا إلى تعلييل ، فقد قال في باب (اضمار الحروف) « ويضمرون احراف فيقول قائلهم :

ألا أشهدنا الزاجر أشهدَ الوعي

يعني : أنْ أشهدَ ، ويقولون : « والله لكان كذا » يعني : لقد . ويقول النابغة :

لكلفتني ذنب امرئٍ

وفي كتاب الله جل ثناؤه : « ألم غلبت انروم » قالوا معناها : لقد غلبت ، الا ترى انه لما اضمر (قد) أضمر اللام . وفي كتاب الله جل ثناؤه : « ستعيدها سيرتها الاولى » فقالوا : الى سيرتها . و « اختار موسى قومه » اي : من قومه ^(٩) وهي سمة كوفية لا تحتاج الى مزيد من البيان .

ابو الطيب المتنبي :

واما ابو الطيب فأمره معروف ، وعباراته في شعره تقوم على اساس من النحو الكوفي ، وكان هذا مبعث كثير من المأخذ الشى اخذت عليه ، ويمكن

(٧) الصاحبي ٣٦ .

(٨) الصاحبي ١٤٠ .

(٩) الصاحبي ١٩٧ .

ان يعد ابو اطيب فی كبار اللغويين والنحاة ، وقد اخذ عن بصریین وكوفیین ، اخذ عن اصحاب المبرد فقرأ على ابی اسحاق ازجاج ، وأبی بکر بن السراج ، ثم لقی اصحاب ثعلب فقرأ على ابی موسى العامض ، وأبی عمر الزاهد^(۱۰) . واکثر النظر فی الدرس الكوفي فحفظ كتاب احمدود^(۱۱) .

وظهرت نزعته الكوفية فی امثلة كثيرة من شعره ، فقد ذکر ابن عیش حين عرض نحذف حرف النداء من اسم الاشارة انه « اجاز قوم من الكوفین : هذا أقتبل » ، على ارادۃ النداء ، وتعلقو بقوله تعالى : « تم انتم هؤلاء تقتلون انفسکم » قالوا : والمراد : ياهؤلاء ، وقد عمل به المتنبی بقوله :

« هذه برزت لنا فهیجت رسیسا »

وكان يميل کثيرا الى مذهب الكوفین^(۱۲) .

وقال :

حملت اليه من انساني حدیقة سقاها الحبجا سقي الریاض السحائب
فصل بين المصدر المضاف (سقي) وفاعله المضاف اليه (السحائب)
بالمفعول وهو (الریاض) وهو مما اجازه الكوفيون^(۱۳) .

وقال :

يباعدن حبّاً يجتمعنَ ووصلنَهُ فَكَيْفَ يُحِبُّ يجتمعنَ وصَدَنَهُ
فعطف (وصله) على الضمير فی (يجتمعن) بدون فصل ، وهو مذهب
کوفي ايضا^(۱۴) .

(۱۰) مقدمة البستانی لشرح الديوان .

(۱۱) مدرسة الكوفة ۹۱ ط ۲ عن كتاب الاستدرائی فی الاخذ على المأخذ الکیدية مخطوطة بدأر الكتب ، رقمها : ۷۹۳ شعر ۰۰۰

(۱۲) شرح المفصل ۲/۱۶ .

(۱۳) الانصف - المسألة الـ ۶۰ .

(۱۴) شرح الاشمونی ۳/۳۱۹ .

وجاء في شرح ديوانه المسمى بالتبیان ، في اعراب قوله :
وَقَبْلَ يَرِي مِنْ جُودِهِ مَا رأَيْتُهُ وَيُسْمَعُ فِيهِ مَا سَمِعْتُ مِنْ الْعَدْلِ
« اراد : قبل أن يرى ، فحذفها واعملها على رواية من روی (ويسمع)
باتنصب ، وهو مذهبه ، لانه كوفي »^(١٥) .

فيالرغم من تغلب المذهب البصري ، وبسط نفوذه على مجالس الدرس
في بنداد ما يزال المذهب البغدادي الكوفي حيا بأعلامه ، وتراثه ، ولا يعني انتصار
المذهب البصري زوال آثار منافسيه وامحاء سماته ، فليس الانتصار في المعركة
المذهبية كالانتصار في المعارك المادية التي تنتهي ببقاء الغالب ، وفناء المغلوب ،
فاذا نقى الدرس البصري من طلبة العلم اقبالا ، ومن السلطان دعما وتأييده ، فلم
يخرج من هذه المعركة وهو الغالب ، بدون ان يتاثر بالمغلوب ، او بدون
ان يترك المغلوب فيه آثاره .

وكان هذا هو ما حصل فعلا ، فقد ترك الدرس الكوفي من خصائصه المذهبية
في الدرس البصري آثارا عميقه لم يستطع المتعصبون للبصرية ان يمحوها ،
كما لم يسلم الدرس انكوفي من التأثر بالدرس البصري .

لذلك نجد كثيرا من اعلام الدرس الكوفي يرددون بعض المصطلحات
البصرية ، ويصطنعون اوضاعا ليست من اوضاعهم ، ويرددون عبارات ليست
من عباراتهم .

ولم يكن ذلك ليعني بحال انهم كانوا يخلطون المذهبين ، او يختارون من
مزاياهما ويوحدونها في مذهب منتخب ما دام الطابع العام لأسلوب هذا
الدرس بصريا ، والطابع العام لأسلوب ذاك الدرس كوفيا .

(١٥) التبیان ٤٨/٢ .

ولذلك لم يُسلك احمد بن فارس في أبصـ، مريين وان جرى على قلـمـ،هـ بعض اوضاع البصريين وعباراتهم ، ولا عـدـ ابن السراج في الكوفيين ، وان حـكـى عن كوفـيـنـ ، وجـرـى قـلـمـهـ بـبعـضـ عـبـارـاتـهـ ومـصـطـلـحـاتـهـ .

الحق ان الدرس النحوـيـ بمـنهـبيـهـ اـزـئـيـسـيـنـ أـخـذـ ، فـى خـلـلـ اـقـرـنـ الرـابـعـ ، يـضـعـفـ شـيـئـاـ فـشـيـئـاـ ، فـقـدـ غـاضـتـ مـنـابـعـهـ ، وـجـفـتـ موـارـدـهـ ، وـنمـ يـبـقـ مـنـهـا الاـ بـقـيـةـ لـاـ غـنـاءـ فـيـهاـ . وـوـشـلـ لـاـ رـىـ فـيـهـ ، ذـكـ انـ الـحـيـاـ قدـ تـغـيـرـتـ ، وـطـرـزـ العـيـشـ قدـ تـفـاوـتـ ، وـاسـتـبـدـ النـاسـ حـيـاـ المـدـنـ بـحـيـاـ اـبـادـيـةـ ، وـالـاسـتـقـرـارـ باـنـجـوـالـ ، وـالـعـلـاقـاتـ الـاجـتمـاعـيـةـ الـواسـعـةـ بـالـعـلـاقـاتـ اـقـبـلـيـةـ الضـيـقةـ ، وـبـتـغـيـرـ الـحـيـاـ فـىـ اـنـفـكـرـ وـالـحـضـارـةـ وـالـاجـتمـاعـ تـغـيـرـتـ مـقـايـيسـ الفـصـاحـةـ ، وـاـخـتـلـفـتـ الـاسـسـ التـىـ يـقـامـ عـلـيـهـاـ الـدـرـسـ ، وـلوـ فـطـنـ الدـارـسـونـ لـهـنـهـ الـحـقـيـقـةـ تـغـيـرـتـ مـقـايـيسـ الفـصـاحـةـ وـمـعـاـيـرـ الـاصـابـةـ فـىـ الـاعـرـابـ .

ولـكـنـ الدـارـسـيـنـ كـانـواـ يـنـظـرـونـ إـلـىـ الـلـغـةـ اـنـهـ قـدـيـمةـ وـثـابـتـةـ ، وـالـأـنـقـوـادـ اـنـهـ خـالـدـةـ ، وـلـوـ كـانـ لـدـيـهـمـ فـكـرـ لـغـوـيـ ، اوـ نـهـجـوـاـ فـىـ دـرـاسـةـ الـظـواـهـرـ نـهـجـاـ لـغـوـيـاـ نـكـانـ لـلـدـرـسـ النـحـوـيـ شـائـعـ آـخـرـ ، وـلـكـنـهـمـ رـأـواـ اـبـاـ عـمـرـ وـبـنـ الـعـلـاءـ يـتـحـرـجـ فـىـ اـرـوـاـيـةـ عـنـ مـعـاـصـرـيـهـ فـكـانـ ذـكـ اـصـلـاـ منـ اـصـوـلـ الـدـرـاسـةـ عـنـهـمـ ، وـتـشـدـدـ الـمـحـافـظـوـنـ فـىـ الـرـوـاـيـةـ عـنـ الـعـربـ فـاـحـتـذـوـهـمـ وـسـلـكـوـاـ سـبـيلـهـمـ .

لوـ كـانـ الدـارـسـوـنـ يـنـظـرـونـ إـلـىـ الـلـغـةـ اـنـهـ مـتـغـيـرـةـ اـبـداـ ، وـانـ التـغـيـرـ عـامـلـ وجودـهـ ، وـقـوـامـ حـيـاتـهـاـ لـمـ شـوـاـ معـ الزـمـنـ فـىـ تـقـدـمـهـ ، وـالـلـغـةـ فـىـ تـطـورـهـاـ ، وـلـاتـخـذـوـاـ مـنـ لـغـةـ الـادـيـبـ ، لـغـةـ الشـعـرـ وـالـكـتـابـةـ عـنـدـ الـمـجـيدـيـنـ مـنـ اـنـشـعـراءـ وـالـكـتـابـ مـصـادـرـ لـدـرـاستـهـمـ تـبـعـثـ فـىـ الـدـرـسـ النـحـوـيـ حـيـاـ جـديـدةـ ، وـإـنـهـمـ غـبـرـوـاـ يـتـابـعـوـنـ وـيـقـلـدـوـنـ فـيـ غـيـرـ وـعـىـ فـآلـ الـدـرـسـ إـلـىـ جـدـبـ وـجـمـودـ .

وإذا كان المدرس النحوي واللغوي في القرن الرابع بعض مظاهر الحياة فلأن بعض مصادر المدرس ما يزال لها وشل وإن لم يكن فيه راي ، وبقية وإن لم يكن فيها غناء ، ولذلك كان المدرس اللغوي عند الأزهرى وابن جنى ومن احتذاهما قبس من حياة ورونق من خصب .

اما الأزهرى (أبو منصور محمد بن احمد توفي سنة ٣٧٠ للهجرة) فقد كان افاد من جهود من سبقه من علماء اللغة ورواتها ، وكان له مشافهة لبعض الفصحاء من الاعراب الذين لم تسلم لغتهم من اللحن ، ولم تنجي السنن لهم من الانحراف ، وكان الذى اناح له ذلك وقوعه في الاسر «سنة عارضت القرامطة اصحاب بالهبير»^(١٦) وبقاوئه اسيرا عند عرب «عامتهم من هوازن ، واختلط بهم اصرام من تميم واسد بالهبير ، نشئوا في ابادية يتبعون مساقط الغيث ايام النجاح ، ويرجعون إلى اعداد المياه ، ويرعون النعم ، يعيشون بألبانها ، ويتكلمون بطبعها البدوية ، وقرائحهم التي اعتادوها ، ولا يكاد يقع في منطقهم لحن ، او خطأ فاحش» . وقد تلقف الأزهرى عنهم انفاظا جمة ، ونواذر كثيرة ، وصفها في مواضعها من كتابه «تهذيب اللغة» ، كما كان يقول^(١٧) .

واما ابو افتتح (عثمان بن جنى توفي سنة ٣٩٣ للهجرة) فقد كان صاحب ابا على انفارسى واحد عنه ، كما اخذ عن كثير من رواة اللغة والادب ، مثل ابى بكر محمد بن الحسن المعروف بابن مقصىم ، راوية ثعلب . وكان يسمع الاعراب الذين لم تفسد لغتهم كآل المھيا^(١٨) ، وبنى عقيل ، وكان من العقiliين الذين كان يشق بفصاحتهم ابو عبدالله محمد بن العساف العقيلى

(١٦) الهبير : رمل زرود في طريق مكة .

(١٧) تهذيب اللغة - القدمة ص ٧ .

(١٨) الخصائص ١/٧٨ .

التميimi المعروف بالشجيري ، وقد ذكره في أكثر من موضع من كتابه (الخصائص) و كان يعتمد فيما ينشد وفيما يقول :

ومما حكاه عنه : فتح حرف الجلق . قال : « سمعت الشجيري أبا عبدالله غير دفعه يفتح الحرف الجلقي نحو (يَعْدُو) و (هُوَ مَحْمُوم) ولم اسمعها من غيره من عقيل »^(١٩) .

وربما كان يموه عليه أحياناً للتثبت من فصاحته ، وسئله مرة ومعه ابن عم له اسمه غصن ، قال : قلت لهما : « كيف تحرران (حرماء) ؟ فقالا . حمراء ، فقلت : فسوداء ؟ قالا : سوداء ، وواليت من ذلك أحرف ، وهما يجيئان بانصواب ، ثم دسست في ذلك (علباء) ، فقال غصن : (عليباء) وتبعه الشجيري ، فلما هم بفتح الباء تراجع كالمذعور ثم قال : آه ! عليبي ، ورأت الضمة في الباء فكانت تلك عادة له »^(٢٠) .

هذا ما كانت عليه حال الدرس في بغداد طوال القرن الرابع للهجرة ، ثم جاء في القرون المتعاقبة دارسون لم ينفوا من مصادره الدرس غير ما كان مكتوبا ، ولم يجدوا منها حتى ذلك الوشن الذي كان يقيس الدرس في أواخر القرن الرابع ، فآل أمر الدرس النحوى عندهم إلى أن يكون تكراراً واجتراراً وغلق الأبواب دون الابداع والابتكار . وتضائل انتاج الأصيل ، ولم يجد المدارسون ما يقدمون غير تلخيصات وشرح و هوامش و تعليلات . وصار الدرس النحوى عندهم تجمعاً وتلفيقاً ، وصار التعمق في المصنفات يعني التعمق في القياس والتعليق والتأنيل . وجدد كل شيء ، وصار الدرس النحوى قوله محفوظة ، وعبارات متناقلة ، وكانت الأمثلة تصنع على غرار الأمثلة المتقدمين . وآيات الشواهد هي الآيات التي استشهد بها الأوائل .

(١٩) الخصائص ٢/٩ .

(٢٠) الخصائص ٢/٢٦ .

كما فعل ابن الحاجب حين الف مقدمة صغيرة سماها بالكافية ، ثم
شرحها ، ثم نظم الكافية وسمى منظومته بالوافية ، ثم شرح الوافية، وكان ابن
الحاجب في تصنيفه وشرحه ونظمه وشرح نظمه يدور في حلقة مفرغة ، حتى
لكان اندرس النحوى لعبه ، والتصنيف فيه "أخذنة" او شعوذة .

وكما فعل ابن مالك فقد نظم النحو والصرف على مزدوج ارجز بما يقرب من ثلاثة آلاف بيت ، وسمى هذه المنظومة بالكافية الشافية ، ثم شرح هذه المنظومة ، وسمى الشرح بالوافية ، متابعا ابن العاجب حتى في التسمية ، ثم اختصر هذه المنظومة الى ألف بيت ، وسماها بالخلاصة ، وهي المعروفة بالآلفية .

ويبدو ان نظم العلوم ، ووضع المقومات والمتون كان طابع الدرس فى العصور المتأخرة ، وكان واصفوها يزعمون انهم بهذا كانوا يتroxون التيسير للحفظ ، وقد احسنوا اذ لم يزعموا انهم كانوا يتroxون التيسير لفهم .

كان هذا حال اندرس انحوي فى المشرق فى عصوره المتأخرة يوم تولاه فقهاء او اصوليون او مفسرون او محدثون ، او قراء لم تكن لهم سابقة فيه ، ولم يملكون حسا لغويا ، ولا فكرا نحويا . ولا يعرف الدارس كيف صاروا نحاة ، ولا عمن اخذوا النحو ، ويبدو ان مصادرهم في النحو هي الكتب ، فقد وقفوا على ما تيسر لهم الوقوف عليه منها ، وتوفروا على قراءتها ثم أخذوا يصنفون المقدمات والمتون منها تجميما وتلقيقا . ذلك أنا نستعرض شيخوخ ابن الحاجب فلا نجد فيهم نحويا ، ونستعرض شيخوخ ابن مالك فتفق على مزاعم واقوال ينقض بعضها بعضا ، غير ان ابا حيان يقطع هذه الاقوال فيقول : « بحثت عن شيخوه - يعني ابن مالك - فلم أجده له شيئا مشهورا يعتمد عليه ، ويرجع في حل المشكلات اليه الا أن بعض تلامذته ذكر أنه قال : قرأت على ثابت بن حيان بجيانت ، وجلست في حلقة أبي علي الشلوبين نحوا من ثلاثة عشر يوما ، ولم يكن ثابت بن حيان من الائمة النحويين، وإنما كان من ائمة انقرثين»^(٢١) .

اما حال الدرس في المغرب والأندلس فتختلف قليلا ، ويرد الاختلاف الى طبيعة البيئة الثقافية التي نشأوا فيها ، فالدارسون في المشرق إنما نشأوا في بيئه ورثت القياس في الفقه ، وفلسفه أصوله ، وورثت فلسفة المتكلمين ، ووقفت على فلسفات الامم الأخرى ، فطبع الدرس فيه بطبع فلسفى واضح ،

(٢١) بغية الرعاة ١ / ١٣٠ ، ١٣١ .



الدرس النحووي في الأفاق

لاشك ان الامصار العراقية اثلاثة ، الكوفة والبصرة وبغداد كانت مصدر الدرس اللغوي والنحووي في تاريخ العربية ، وكانت البصرة والكوفة مركزين مهمين من مراكز الثقافة ، والفكر العربي الاسلامي ، وكانت البصرة هي الرائدة في الدرس اللغوي ، فقد سبقت اليه ، مستعينة به على خدمة الاغراض القرآنية اول الامر ، ثم ما لبث ان استقل حتى صار علما على حِدَّة يدرس لذاته ، وكانت الكوفة سباقا الى القراءة والحديث والفقه ورواية الشعارات واخبار العرب .

ثم مُصْرُت بغداد فكان هذان المتران يرقدانها بانتاجهما ، وباعلام الدرس فيهما ، وقد استوعلبت بغداد كل ما كان لديهما من طاقات ، واستأثرت بخير من كان فيها من دارسين .

وشرقت شهرة هذه الامصار وغربت ، وكانت تستقبل كثيرا من الدارسين الوافدين عليها من الافق البعيدة ، وكان الاندلسيون ، بوجه خاص ، يتوجهون بأبصارهم الى المشرق ، ويُشَرِّبون الى العائدين منهم يحملون معهم علم المشارقة واخبارهم ومصنفاتهم .

وكان القادمون من الافق يأخذون عن اعلام هذه الامصار ، فاذا بلغوا من طلاب العلم ما كانوا شدوا ازحاف من اجله عادوا الى ديارهم لينشروا ما كانوا تلقوه في اقطارهم ، وليتصدروا مجالس الدرس فيها يقرئون ويملون .

ومنذ عهد مبكر كانت مجالس الدرس في الافق تعقد تدریس القراءة والفقه وأحاديث ومبادئ العربية ، وكان الدارسون الذين يطمحون الى المزيد يرحلون الى تلك الامصار للُّقِيِّ العلماء فيها ، والأخذ عنهم ، وحمل كتابهم .

ويمكن للدرس أن يتبيّن في تلك الآفاق صورة ماعرفه من أصول مذهبية في البصرة وبغداد ، وصدى ماوقف عليه من منافسة بين الدرس النحوي في البصرة ، والدرس النحوي في بغداد ، وذلك بتتبع رحلات الدارسين إلى البصرة وبغداد من الاندلس والمغرب ومصر ، فمن رحل منهم إلى البصرة ، ولقى علماءها حمل معه علم البصرة وطريقة الدارسين فيها ، ومن رحل منهم إلى بغداد حمل معه علم بغداد في اللغة والنحو وطريقة الدارسين فيها .

وفي مقدمة الأقطار التي عنيت بامدرس الملغوي والنحوي في العالم الإسلامي الرحـب : مصر والأندلـس .

١ - الدرس النحوي في مصر :

كان الدارسون الأوائل في مصر كغيرهم من الدارسين في الأقطار العربية الإسلامية ، كانوا يولون وجوههم قبل المشرق ، قبل مكة والمدينة لاداء فريضة الحجـ، وقبل أمصار العراق التي طبقت شهرتها الآفاق ، كانـبـصرـةـ بلدـ الخـيلـ ابنـ أـحمدـ ، وبـغـدـادـ قـاعـدةـ الخـلـافـةـ وـمـوـطـنـ الـكـسـائـيـ وـالـفـرـاءـ .

وكانت مجالس الدرس الأولى في مصر هي المساجد العامة الجامعـةـ ، وبـهـاـ كانـ الدـارـسـونـ يـقـرـءـونـ اـنـقـرـآنـ وـيـقـرـئـونـهـ ، وـلـمـ يـكـنـ لـعـلـمـ اـنـعـربـيـةـ شـائـعـ فيـ مـصـرـ قبلـ الـولـيدـ بنـ مـحـمـدـ المصـادـريـ التـمـيـيـ المعـرـوفـ بـولـادـ ، فـقـدـ كانـ وـلـادـ منـ إـرـائـلـ الدـارـسـينـ فيـ مـصـرـ ، وـبـهـ عـرـفـتـ مـصـرـ الـدـارـسـ «ـ وـنـمـ يـكـنـ بـمـصـرـ كـبـيرـ شـئـ مـنـ »ـ كـتـبـ النـحـوـ وـالـلـغـةـ قـبـلـهـ »ـ (١)ـ .

وأصل ولاد بصري ، ولكنـهـ نـشـأـ بـمـصـرـ ، وـسـمـعـ بـالـخـلـيلـ بنـ أـحمدـ فـرـ حلـ إلىـ البـصـرةـ ، وـلـقـيـ الـخـلـيلـ ، وـأـخـذـ عـنـهـ ، وـلـازـمـهـ ، ثـمـ عـادـ إلىـ مـصـرـ بـعـلـمـ الـخـلـيلـ وـمـمـلـيـاتـهـ وـالـعـكـاـيـةـ عـنـهـ .

(١) طـبـاتـ الـلـغـويـنـ وـالـنـحـويـنـ ٢٣٣

وكان ولاد قد استرعى انتباه الدارسين في مصر بما أذاعه من علم الخليل، وبما أخبر به عن البصرة ، فحفزهم إلى الرحلة إلى البصرة ولقي العلماء فيها ، فإذا رجعوا إلى مصر حملوا معهم ما انتسخوا من كتب ، وما دونوا من مجالس . والدارس الذي كان له تأثير واضح في مصر هو أبو علي احمد بن جعفر الدينوري (توفي سنة ٢٨٩ هـ) فقد تصدر مجالس الدرس في مصر وقرأ الدارسون عليه كتاب سيبويه .

وكان أبو علي الدينوري قدم البصرة ، ولقي أبا عثمان المازني ، وحمل عنه كتاب سيبويه ، ثم ذهب إلى بغداد ومعه نسخة من الكتاب ، واتصل بأبي العباس ثعلب ، وأصهر إليه ، وأكبرظن أنه أخذ عنه ، واختلف إلى مجلسه ، فلما ورد المبرد بغداد مضى إليه أبو علي ، وأخذ يقرأ الكتاب عليه ، وكان يخرج من منزل أبي العباس ثعلب ويتحطى مجلسه ، ويمضي إلى مجلس المبرد ، وكان ثعلب يعاتبه ، ولكنه لم يكن يتلفت إلى قوله (٢) .

ثم رحل إلى مصر ، وأقام فيها ، وجلس هناك للتدريس ، وألف كتابا سماه المهدب ، وكان اعتماده في النحو على البصريين ، وكان من أخذ عنه أبو الحسن ابن ولاد (٣) . وكان أبو الحسن معاصرأبا علي الدينوري ، وقد اختلف إلى مجلسه يقرأ عليه النحو ، ثم رحل إلى بغداد ، فلقي ثعلبا والمبرد ، ولكنه انقطع عن ثعلب ، ولزم المبرد ليقرأ عليه كتاب سيبويه ، وينسخه على نسخة المبرد ، ثم رجع إلى مصر ، وبقي فيها إلى أن توفي سنة ٢٩٨ ، وانتقلت نسخة الكتاب إلى ابنه أبي القاسم بن ولاد ، فقرأها عليه أبو بكر الزبيدي (٤)

وبرز في الدرس النحوي من أولاد ابن ولاد أبو العباس بن ولاد (توفي سنة ٣٣٢ هـ) وجعله الزبيدي في الطبقة الثالثة ، كان قد رحل إلى بغداد كما

(٢) طبقات النحوين واللغويين ٢٣٤ .

(٣) طبقات النحوين واللغويين ٢٣٤ .

(٤) طبقات النحوين واللغويين ٢٣٤ .

رحل اليها أبوه من قبل ، وهناك لقى ابا اسحاق الزجاج وغيره ، واخذ عنهم .
وعلى أبي اسحاق قرأ الكتاب ، واتقنه^(٥) ، وكان شديد الاعجاب بسيبويه ،
ولذلك انتصر له على المبرد في نقضه بكتابه (الانتصار لسيبويه من المبرد)^(٦) .

وكان أبو اسحاق الزجاج يعجب بأبي العباس لذكائه وقدرته على الاستنباط
وربما فضله على أبي جعفر النحاس وكانا جمیعا من تلاميذه ، وبعد رجوع أبي
العباس الى مصر أخذ يتتصدر للتدریس ، ويصنف ، وكان طرازا بصریا أصيلا ،
فقد قرأ عليهم ، ونھج منهجهم في القياس والتعلیل والافتراض ، وكان يصطمع
مذهب الاخفش سعید بن مساعدة وأبي عثمان المازني ، فيستخلص للفعل أبنية
ليس لها أمثلة في كلام العرب .

ويبدو أن هذا كان مما يشغل أذهان الدارسين من تلاميذ المبرد ، ومن ذلك
ما جرى بينه وبين أبي جعفر النحاس في مناظرة اعد لها بعض أمراء مصر ، فقد
روى الزبيدي عن أستاده محمد بن يحيى الرباحي أن النحاس قال لا بـ أبي العباس
في هذا المجلس : «كيف تبني مثل (افعلوت) من رمي؟ فقال : ارميَّتْ فخطأه
أبو جعفر وقال : ليس في كلام العرب (افعلوت) ولا (افعليت) . فقال أبو
العباس : إنما سألتني أن أُمثل لك بناء ففعلت »^(٧) . وصحح أبو بكر الزبيدي
قولهما جمیعا ، استحسن جواب أبي العباس حين قلب الواو ياء ، واستحسن رد
أبي جعفر ، لأنه ليس في كلام العرب (افعليت) ، وانتهت المناظرة بمثل هذا
السخف والتلعب باللفظ .

وأبو العباس بن ولاد ، كما قلت ، طراز بصری واضح السمات ، واذا وقف
الدارس على جدله في انتصاره لسيبويه على المبرد ، ووضحت له السمات البصرية

(٥) انباه الرواة ٩٩/١ .

(٦) اسمه بخط السماوى : كتاب نقض ابن ولاد على رد المبرد على سيبويه في كتابه

(٧) طبقات النحوين وللغويين ٢٣٨ .

فيتناول موضوعات النحو بالدرس ، فما يزال يأتي بالحججة تلو الحججة وبالالزام بعد الالزام حتى يتبين له أنه جاء إلى الغاية في الاقناع .

وكان يعاصر أبا العباس أحمد بن محمد بن ولاد دارس مصرى معروف هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل المعروف بالنحاس (توفي سنة ٣٣٧هـ) . كان قد رحل إلى بغداد ، وسمع من الزجاج أيضاً ، وأخذ عنه العربية ، وقرأ عليه كتاب سيبويه ، وحمل معه في عودته إلى مصر نسخة منه ، ونسخة من كتاب العين ، وعن أبي جعفر أخذ محمد بن يحيى الرباحي أستاذ الزبيدي « وحمل عنه كتاب سيبويه رواية » ^(٨) وأدخله الاندلس .

وقوّمه الزبيدي فقال : « كان النحاس واسع العلم ، غزير الرواية ، كثير التأليف ، ولم يكن له مشاهدة ، فإذا خلا بقلمه جوَّد ، واحسن ، ولهم كتب في القرآن مفيدة ، منها : كتاب معاني القرآن ، وكتاب اعراب القرآن جلب فيه الاقاويل وحشيد الوجوه ، ولم يذهب في ذلك مذهب الاختيار والتعليق » ^(٩) .

وابو جعفر النحاس بصري المذهب ، وتتضح بصريته :

١ - بتلمنتها لابي اسحاق الزجاج ، وقراءاته كتاب سيبويه عليه ، وحمله الكتاب إلى مصر .

٢ - وبأسلوبه فيتناول موضوعات النحو بالدرس ، وقد وقفنا قبل قليل على ما كان بينه وبين أبي العباس بن ولاد من مناظرة لم يقع مثلها من كوفيين ، ولا جرى مثلها على لسان كوفي .

٣ - وبطابع كتابه (التفاحة) العام ، وطريقة عرضه المسائل فيه . غير انه يصطفع بعض المصطلحات التي وضعها الفراء كالجحد مكان النفي ، والتفسير مكان التمييز ، ولكن هذا لا يدل على شيء ، ولا يجعل منه دارساً يخلط المذهبين ،

(٨) طبقات النحوين واللغويين ٣٣٦ .

(٩) المصدر نفسه

لأن كثيراً من مصطلحات الفراء كانت قد شاعت ، وجرت على السنة المارسين في بغداد بصرىين أو كوفيين ، وقد جرى بعضها على لسان الزجاج وابن السراج وهما نحويان بصرىيان .

ومن مشاهير النحوين في مصر : أبو الحسن طاهر بن أحمد بن باشاذ (توفي سنة ٤٦٩) ، أصله من العراق (١٠) ولد بمصر ، وشب فيها ، وتعلم مبادئ العربية على شيوخها ، ثم رحل إلى العراق طلباً للنحو فقرأه على المارسين هناك ، رجع إلى مصر ، فتصدر للتدرس بجامع عمرو ، ثم ولي في ديوان الانشاء ، وعمله فيه : التنظر فيما يصدر عن ديوان الانشاء من سجلات ورسائل ، فيصلح ما فيها من خطأ ، وما يجد بها من خفي اللحن ، وكان له على ذلك راتب يجري عليه كل شهر ، ثم تزهد وانقطع في غرفة من غرف جامع عمرو ، وانصرف للعبادة وتتوفر على التأليف ، وزعم المترجمون له أن ماصنفه بعد انقطاعه واعتكافه كتاب كبير في النحو سمي (تعليق الغرفة) .

وله مصنفات أخرى ، منها : شرح الجمل ، و (المقدمة) في النحو ، وقد نشرت المقدمة في بغداد ، نشرها حسام النعيمي باسم (المقدمة المحسبة في علم النحو) .

وابن باشاذ نحوي «على مذهب البصرىين» (١١) ، ويكتفى لتأييد ذلك أن نقف على هذه المقدمة ، فهي في أسلوبها ، وطابعها ، وتعبيراتها وتقسيماتها وتعريفاتها ومصطلحاتها بصرية لا أثر فيها للدرس المأثور في .

(١٠) انباء الرواة ٢ / ٩٥ .

(١١) نزهة الالباء ٤٣ .

ففعل الامر تصحيح اللام « مبني آخره على الوقف أبداً ، مثل :
احضر : » (١٢) .

وجملة المتصوبات أحد عشر ، المفعول المطلق ، والمفعول به والمفعول فيه
السخ .. (١٣) .

والرافع لمبتدأ هو الابتداء (١٤) .

والرافع للفعل المستقبل هو : « وقوعه موقع الاسم ، وفيه أقوال أصحها
هذا القول » (١٥) .

وما لاينصرف هو ما « اجتمع فيه علتان فرعيتان من علل تسع ، او ما
يقوم مقامهما » (١٦) .

وهذه اصول بصرية خالصة ، لأن الكوفيين يذهبون الى ان فعل الامر
معرب مجزوم ، والمفعول عندهم واحد وهو مايسمي البصريون بالمفعول به . أما
المفعولات الأخرى فأشباه المفعولات .

وما لاينصرف وما ينصرف مصطلحان بصريان يقابلهما عند النكوفيين :
ما لايجري وما لايجري . والعلتان انفرعيتان لا يقول الكوفيون بهما لأن التعريف
وحده يكفي لعدم اجراء الاسم ، او لمنعه من الصرف .

والرافع للفعل المستقبل عند الكوفيين ، والرأي أصلاً للفراء ، هو التجدد
من الناصب والجازم .

فالنحويون المصريون جمیعاً كانوا على مذهب البصريين :

(١٢) المقدمة المحسبة ٢٤ .

(١٣) المقدمة المحسبة ٣٧ .

(١٤) المقدمة المحسبة ٣٧ .

(١٥) المقدمة المحسبة ٣٨ .

(١٦) المقدمة المحسبة ١٥ .

١ - بتلمذتهم للبصريين ، فولاد كان قد تلمذ للخليل ، وأبو علي الدينوري
كان قد تلمذ لأبي عثمان المازني وأبي العباس المبرد وأبو العباس بن ولاد وأبو
جعفر النحاس كانوا قد تلمنا للزجاج .

٢ - وبما تتناقله كتب النحو من اقوال لهم .

٣ - وبمصنفاتهم التي وقعت لنا ، كالانتصار لابن ولاد ، والتفاحة
لابي جعفر النحاس ، والمقدمة المحسبة لابن باشاذ .

٤ - وبناياتهم بمصنفات البصريين ككتاب العين ، وكتاب سيبويه ، وكتاب
الجمل ، واقبالهم على اترائها وشرحها وتعليق عليها .

غير ان الدكتور (ضيف) جعل منهم نحاة في اتجاه المدرسة البغدادية ،
لانهم كانوا يعنون باستيعاب آراء المدرستين وهذا عنده هو الاساس في عدم
في المدرسة البغدادية ، او وضعهم في اتجاهها . ولم يكتف بهذا فقد راح
يتمحّل الاسباب ويتكلّف القرائن لجعل هؤلاء رجال مدرسة جديدة هي المدرسة
المصرية ، ووضعهم في اتجاه المدرسة البغدادية ، ولم يقدم لاثبات هذا
الا مزاعم مرسلة ، واحكامًا مطلقة .

وربما تشبيث بالواهي من القرائن ، فشرع يدور ح حول فكرة المذهب
البغدادي ، كما فعل عندما عرض لابي جعفر النحاس ، فقد تمسك ، لجعله في
المدرسة البغدادية ، بأنه كان قد استوعب آراء الكوفيين ، لانه اصططع بعض
مصطلحات الكوفيين في كتابه (التفاحة) ، ولأنه «قد يختار رأياً لقتربه ، او
للأخشن مخالفًا جمهور البصريين » (١٧) ، ولأنه قد يتافق في بعض آرائه مع
بعض آراء الكوفيين .

(١٧) المدارس النحوية ٣٣٢

كان الدكتور ضيف متوجلاً في هذا ، كان يرسل الكلام ارسالاً قبل التأكيد من سلامته ، وقبل بذل الجهد في استخلاصه . لقد نسب بعض المصطلحات التي استعملها النحاس إلى الفراء ، مثل (النعت) ، و (مالم يسم فاعله) ، وجعل هذا دليلاً على أن النحاس كان يستوعب آراء البصريين ، وآراء الكوفيين . وكان الدكتور ضيف في هذا على وهم .

أما (النعت) فليس مصطلحاً خاصاً بالكوفيين ، وليس من أوضاع الفراء ، فقد كان سيبويه يستعمله ويردده ، وقد جاء لفظ (النعت) و (المنعوت) في أكثر من موضع من كتابه ، وعقد للنعت فيه أكثر من باب .

من ذلك قوله : « هذا باب مجرى النعت على المنعوت ، والشريك على الشريك ، والبدل على المبدل منه ، وما أشبه ذلك . فأما النعت الذي جرى على المنعوت فقولك : مررت برجل طريف قبل ، فصار النعت مجروراً مثل المنعوت ، لأنهما كالاسم الواحد » (١٨) .

واما (ما لم يسم فاعله) فمصطلح كوفي ، وأكبرظن انه من أوضاع الفراء فقد تردد ذكره في (معاني القرآن) كثيراً ، ولكن استخدام النحاس إيه لا يخرجه من الدائرة البصرية ، فقد جرى مثله على لسان المبرد وابن السراج ، وهما من أعلام البصريين، لا يشك الدكتور (ضيف) في ذلك ، ولا يورط نفسه في خرجهما من الدائرة البصرية ، كما أخرج النحاس منها . جاء في المقتضب للمبرد قوله : « باب المفعول الذي لا يذكر فاعله» (١٩) . وجاء في (الموجز في النحو) لابن السراج قوله : « الرابع : الذي لم يسم من فعل به ، وبني له فعل خص به نحو قولك: ضرب زيد ، وأخرج خالد . ودرج الشيء ، واستخرج جت الدراهم» (٢٠) والعبارتان متقاربتان حتى ليوشك أن تكونا شيئاً واحداً ، فإذا كان المبرد وابن

(١٨) الكتاب ٢٠٩/١ ، ٢١٠ .

(١٩) المقتضب ٤/٥٠ .

(٢٠) الموجز في النحو ٣٠ .

السراج قد استعمل مصطلح الفراء بمعناه فقد كانا متاثرين به ، ويلزم الدكتور ضيف) حينئذ أن يجعلهما في البغداديين ، كما جعل النحاس فيهم ، ولكنه جعلهما في (مدارسها) من أعلام المدرسة البصرية ، بالرغم من تعمق ابن السراج خاصة في مصنفات الكوفيين ومتابعته ايامهم في كثير من الآراء ، فقد وافق ثعلبا والفراء والكسائي فذهب ، كما ذهبوا ، الى أن (ليس) حرف ، وقد مر بنا بيانه . ووافق الكوفيين في جواز أن يلي غير الطرف (كان) مع تأثير الخبر ، تمسكا بقول الشاعر :

« بما كان ايامهم عطية عوّدا » (٢١) .

وافق الكسائي وأكثر الكوفيين في جواز اعمال (ان) النافية (٢٢) . ولم يسترع ذلك انتباه الدكتور ضيف ، فيسلك ابن السراج في المدرسة البغدادية ، كما ، سلك ابن كيسان فيها لانه وافق الكوفيين في بعض المسائل . وكما سلك النحاس فيها لأن بعض مصطلحات الكوفيين ترد في كتابه (التفاحة) .

واما اختيار النحاس رأيا لقترب ، او للأخفش مخالفًا لجمهور البصريين فلا يخرج النحاس عندائرة البصرية ، كما لو يخرج قطربا والاخفش عنها أنهما خالفا جمهور البصريين .

واما موافقة النحاس لبعض الكوفيين في بعض الآراء فآمل ألا يحاول به الدكتور ضيف اقناعنا بأن اتباع مذهب بعينه يعني اغلاق التابعين عقولهم ، وتجميدتها ، حتى لا يؤذن لهم ان يتخذوا لانفسهم وجهة نظر خاصة ، لأن ذلك لم يكن ليحدث يوما ، فقد كان اعلام مدرسة البصرة انفسهم يختلفون فيما بينهم ، فقد خالف سيبويه أستاده في ذهابه الى أن (لن) أصلها : (لا أن) ، وفي مسائل أخرى معروفة لامجال لذكرها . وخالف الاخفش سيبويه ، وخالف

(٢١) مع المقام ١٢٤/١ .

(٢٢) مع المقام ١٢٤/١ .

المبرد سيبويه ، ونقض كثيرا من آرائه . وكان اعلام مدرسة الكوفة يختلفون فيما بينهم أيضا فقد خالف الفراء الكسائي وهشاما في كثير من الآراء ، وخالف "الفراء وهشاما والكسائي في كثير من الآراء ، ولم تكن هذه المخالفة لتحول حتى عند الدكتور ضيف ، دون ان يسلك الاخفش والمبرد في البصريين ، والفراء وتعلبا في الكوفيين ، فكيف يريد منا ان نقتنع ببغدادية ابن كيسان والزجاجي والنحاس وغيرهم بمخالفتهم جمهور البصريين في بعض آرائهم ؟

والنحاة المصريون ، عند الدكتور ضيف ، ثلاثة أجيال :

جيل ولاد وبنيه ، وهو جيل من النحاة « كانت المدرسة البصرية اساتذتها غالبا وجهتهم في بغداد ، وخير من يصور ذلك ابو العباس بن ولاد تلميذ الزجاج صاحب المبرد » (٢٣) .

وجيل النحاس ومن جاء بعده ، وهو جيل من النحاة كانت في بغداد ممثلة بابن كيسان ومعاصريه ، ولم يكن النحاس بعيدا عنها ، وكان قد اختلف كالبغداديين الى أصحاب ثعلب ، وسمى - الدكتور ضيف - منهم أبا بكر بن الانباري ، ولا يشك الدكتور ضيف أن النحاس كان قد اختلف أيضا الى حلقات ابن كيسان ومعاصريه من أوائل البغداديين ، فالتحم « نحو المدرسة البصرية نحو المدرسة البغدادية » (٢٤) .

وجيل النحاة المصريين المتأخرین ، جيل الشراح واصحاب الحواشي ، مثل ابن عقيل وابن الصائغ والدماميني والكافيجي والسيوطى والازهرى والاشمونى والصبان والحضرى ، وهو جيل الجماعين الملقين الذين حشروا فى مصنفاتهم آراء النحاة الاولى من بصرىين وكوفيين و (بغداديين واندلسيين ومصريين) ، لم يجد عليهم انهم ، اذ كانوا يختارون هذا الرأى أو ذاك ، كانوا يصدرون عن

(٢٣) المدارس النحوية ٣٣١ .

(٢٤) المدارس النحوية ٣٣١ .

أسس مذهبية ، ولم يجد على الدكتور ضيف انه استطاع ان يرسم لهم نحوا له اصوله واسسه المذهبية ، فقد استعرض اسماءهم وكتبهم ، ولم يشر الى ما ينتظمهم من اسس مذهبية معينة .

فإذا كان الجيل الاول منهم بصريا ، والجيل الثاني منهم فى اتجاه المدرسة البغدادية ، والجيل الثالث فى اتجاه غير معروف فكيف تنتظمهم مدرسة بعينها ، وليس لهم خط مذهبى ولا طريقة يتناولون فى صوتها موضوعات النحو بالدرس؟! اليست هذه المحاولة الهائلة فى عرض المدارس النحوية مما يسىء الى روعة البحث العلمى العجاد ؟

٢ - الدرس النحوي في الاندلس :

لم يَحُلْ بعْدَ الاندلس عن امصار انعلم دون الوصول اليها، والوقوف على ما كان يجري فيها ، ولا جعلها انفصاها عن قاعدة الخلافة في المشرق في عزلة عن المشرق والشراقة ، فقد كان الدارسون الاندلسيون بعد ان يستوفوا متطلبات الدرس الاولى بتعلم مبادئ العربية ودراسة النصوص والاشعار يتوجهون بابصارهم إلى المشرق لطلب المزيد من العلم ، وكان يدفعهم إلى ذلك حرصهم على القرآن وسلامة لغته والتجويد في تلاوته وضبطه .

وكانت الطبقات الاولى من الدارسين يرحلون إلى المشرق لتلقي القراءة والحديث ، ثم الرواية اللغوية والادبية التي يستعينون بها على تحقيق ما كانوا يحرصون عليه ، فإذا عادوا من رحلتهم تصدروا مجالس الدرس ، وبثوا في تلاميذهم ما كانوا قد تلقوه في رحلتهم .

وكان في مقدمة هؤلاء : أبو موسى الهواري الذي جعله أبو بكر الزبيدي على رأس الطبقة الاولى من النحاة الاندلسيين ، وكان أبو موسى « من أهل الفقه في الدين وعلم العرب »^(٢٥) ، وقد لقي مالكا في المدينة ، والاصمعي وابا زيد

(٢٥) طبقات النحويين واللغويين ٢٧٥

في البصرة ، ولعله كان اول من صنف في الاندلس كتابا في القراءة ، وكتابا في تفسير القرآن الكريم .

وكان الغازى بن قيس يعاصره ، وكان قد رحل الى المشرق ايضا ، ولقي مالكا ، ونافع بن أبي نعيم مقرئ اهل المدينة ، واخذ عنهما الحديث والقراءة ورجع الى الاندلس ومعه «الموطأ» وقراءة نافع ، وتوفي سنة ١٩٩ للهجرة .

ولم يُعنَ ابو موسى الهواري والغازى بن قيس بغير الفقه والحديث والقراءة فقد كانت العبادة والتفقه في الدين اغلب عليهما .

هذه هي الطبقة الاولى من الدارسين الاندلسيين ، وكان اعلامها معنيين بالدراسات القرآنية والحديث ، وانما كان لقي بعضهم بعض آئمة اللغة في البصرة فلم يكن الدافع رغبة في الدرس اللغوي ، او التخصص فيه ، ولكن الدافع فيما يبدو هو الرغبة في ضبط القراءات والاحاديث . فلا وجه لجعلهما وامثالهما في عداد اللغويين او النحويين الاندلسيين .

ويغلب على الظن ان الدرس النحوي في الاندلس انما بدأ بجودي بن عثمان (توفي سنة ١٩٨) ، وكان قد رحل الى المشرق ، وكانت بغداد غاية مطافه ، وفيها لقي الكسائي والفراء وغيرهما من البغداديين ، واستملأهما ، واخذ عنهما ، ثم عاد الى الاندلس وهو يحمل كتاب الكسائي^(٢٦) . واقام في قرطبة ، وتصدر حلقة للاماء والتدريس ، ولا بد انه كان ينحو منحة البغداديين ، البكوفيين ، لانه لم يلق غير الكسائي والفراء واصحابهما ، وكلهم ببغدادي ، ولم يأخذ النحو عن بصرى .

اما كتاب الكسائي الذي ادخله الاندلس فلعله كتاب المعانى الذى تشير اليه كتب الطبقات ، وعلى هذا يكون جودي بن عثمان الدارس الاول للنحو

(٢٦) طبقات النحويين واللغويين ٢٧٨

البغدادي الكوفي في هذه البلاد ، ويكون الدرس النحوي الذي عرفته الاندلس
أول مرة هو الدرس البغدادي .

وغير جودي بن عثمان يملأ على تلاميذه نحو الكوفيين ، ويصنف في النحو
على طريقة الكوفيين حتى توفي سنة ١٩٨ للهجرة ، وكان قد أخذ عنه جماعة
كان منهم : عبدالله بن رافع المعروف بابي حرشن الذي جعله الزبيدي على
رأس الطبقة الثانية من النحويين الاندلسيين . وكان أبو حرشن عالما باللغة
والعربية ، وكان معروفا بالفصاحة حتى « كان الناس اذا استفسحوا رجالا
قالوا : ما هذا الا ابو حرشن »^(٣) .

وعن أبي حرشن أخذ عبد الله بن مختار ، واحمد بن بُطري ، وكان هذا
فقيها ونحويا ولغوي ، وكان هذا الدارسان من اطبقة الثالثة في تصنيف
الزبيدي للنحو الاندلسيين .

ومن كان على مذهب البغداديين الكوفيين من نحاة الاندلس :
أبو الحسن مفرج بن مالك ، وكان قد صنف كتابا في شرح كتاب
الكسائي^(٤) .

وابو عمر يوسف بن محمد البلوطي « وكان حافظا للغة ، وذا حظ من
العربية ، وكان يقرئ كتاب (اصلاح المنطق) ليعقوب بن السكري^(٥) .

وسعيد بن قدامة البلوطي . قال الزبيدي : « كان مؤدبا ، عالما بالعربية،
وكان يميل إلى مذهب الكوفيين»^(٦) . اما النحو البصري فقد تأخر ظهوره
في الاندلس ، وكان الأفشناني محمد بن موسى بن هاشم من أوائل من حمله الى

(٢٧) طبقات النحويين واللغويين ٢٨١ .

(٢٨) نفسه ٢٩٧ .

(٢٩) نفسه ٣٢٣ .

(٣٠) نفسه ٣٢٣ .

الاندلس وأذاعه فيها ، فقد رحل الى المشرق ، ولقي البصريين ، وأخذ عن أبي عثمان المازني ، وابي علي الدينورى ، وقرأ عليهما كتاب سيبويه ثم انتسخه عن نسخة أبي علي ، وحمل النسخة معه الى الاندلس ، وكان هذا فيما يبدو ، هو اول عهد الاندلسيين بكتاب سيبويه ، ثم اخذ الافشنينق بعد عودته الى الاندلس يقرئ الكتاب ، وأخذ عنه جماعة من الدارسين كانوا حفظة له ، وحملة للنحو البصري ، وتوفي الافشنينق سنة ٣٠٧ او ٣٠٩ للهجرة^(٣١) .

ومن كان ينحو منحاً أهل البصرة من الاندلسيين :

زيد بن الربيع بن سليمان الحجري المعروف بالبارد . كان معاصر للافشنينق . وكان ، كما يقول الزبيدي حسن الضبط للكتب ، وكان معانيا بكتاب الأخفش ، وكان هذا الكتاب قد وصل الى الاندلس متفرق الأبواب ، وكان الزبيدي قد رأى النسخة الأولى فرأها مفترقة الأبواب ، وكان البارد هو الذي رتب أبوابه . وجمع بينها ، فأخذه الدارسون عنه مبوبًا مجموعا ، وتوفي البارد سنة ٣٠٠ للهجرة^(٣٢) .

وأبو وهب بن عبد الرؤوف « وكان قد طالع كتاب سيبويه ونظر فيه»^(٣٣) .

ومحمد بن عبدالله بن الغازى ، وكان قد رحل الى المشرق ، ولقي أبا حاته السجستانى والرياشى وأخذ عنهما ، ولقي آخرين من أهل الحديث ، ورواية الاخبار والاشعار . وعاد الى الاندلس ، وأدخل معه علماً كثيراً من العربية والشعر والاخبار ، توفي سنة ٣٠٢ للهجرة^(٣٤) ، أو سنة ٢٩٦ او نحوها^(٣٥) .

(٣١) طبقات النحويين ٣٠٥ . بغية الرعاء ٢٥٢/١ .

(٣٢) طبقات النحويين واللغويين ٣٠٨ . بغية الرعاء ٥٧٣/١ .

(٣٣) طبقات النحويين واللغويين ٣٢١ .

(٣٤) طبقات النحويين واللغويين ٢٨٢ .

(٣٥) بغية الرعاء ١٣٩/١ .

وأحمد بن يوسف بن حجاج ، وكان من أعلم الناس بمذهب اهـ، سـلـ
البصرة ، وأشدـهم لزومـا لـلكتاب ، لأنـه لم يـنـ عنـ مـطالعـتـه وـقـراءـتـه فـيـ حـالـ
فـرـاغـه وـشـغـله ، وـصـحتـه وـسـقـمـه ، كـما يـقـولـ الزـبـيدـيـ .

ومـحمدـ بنـ يـحيـيـ الـربـاحـيـ ، وـكـانـ منـ أـنـشـطـ الدـاعـيـنـ إـلـىـ مـذـهـبـ
الـبـصـرـيـيـنـ ، وـكـانـ قدـ رـحـلـ إـلـىـ الـمـشـرـقـ ، وـلـقـيـ أـبـاـ جـعـفرـ النـحـاسـ ، وـحـمـلـ عـنـهـ
كـتـابـ سـيـبـوـيـهـ روـاـيـةـ ، وـكـانـ أـبـوـ بـكـرـ الزـبـيدـيـ منـ اـنـبـهـ تـلـامـيـذـ الـربـاحـيـ ، وـأـكـبـرـ
الـدـاعـيـنـ إـلـىـ مـذـهـبـ الـبـصـرـيـيـنـ .

وـأـبـوـ بـكـرـ مـحـمـدـ بنـ الـحـسـنـ الزـبـيدـيـ صـاحـبـ (ـالـواـضـحـ)ـ فـيـ النـحـوـ ، وـ
(ـمـخـتـصـرـ كـتـابـ الـعـيـنـ)ـ وـ (ـطـبـقـاتـ النـحـوـيـنـ وـالـلـغـوـيـنـ)ـ ، أـخـذـ الـربـاحـيـ ، عـنـ
أـبـيـ عـلـىـ الـقـالـيـ ، وـكـانـ قدـ عـرـفـ فـضـلـهـ «ـفـمـالـ إـلـيـهـ وـأـخـتـصـ بـهـ وـأـقـرـ لـهـ»ـ (ـ٣ـ٦ـ)ـ .

وـبـرـزـ بـعـدـ الزـبـيدـيـ مـنـ الدـارـسـيـنـ :

أـبـوـ عـبـدـالـلـهـ مـحـمـدـ بنـ عـاصـمـ ، وـكـانـ قدـ أـخـذـ عـنـ الـربـاحـيـ وـالـقـالـيـ اـيـضاـ .
وـقـدـ ذـكـرـهـ الـحـمـيدـيـ فـقـالـ : «ـهـوـ نـحـوـيـ مـشـهـورـ وـأـمـامـ فـيـ الـعـرـبـيـةـ ٠٠٠ـ وـكـانـ
لـاـ يـقـصـرـ عـنـ أـصـحـابـ مـحـمـدـ بنـ يـزـيدـ الـمـبـرـدـ»ـ (ـ٣ـ٧ـ)ـ .

وـأـحـمـدـ بنـ أـبـانـ بنـ سـيـدـ الـلـغـوـيـ الـأـنـدـلـسـيـ وـكـانـ مـنـ أـئـمـةـ الـلـغـةـ وـالـعـرـبـيـةـ
فـيـ الـأـنـدـلـسـ . وـأـخـذـ عـنـ الـقـالـيـ وـغـيـرـهـ ، وـلـهـ كـتـابـ ، كـتـابـ (ـالـعـالـمـ وـالـمـتـلـعـنـ)ـ
وـكـتـابـ (ـشـرـحـ كـتـابـ الـأـخـفـشـ)ـ .

ثـمـ خـلـفـ مـنـ بـعـدـ هـؤـلـاءـ خـلـفـ كـانـتـ الـبـصـرـيـةـ هـيـ السـمـةـ الـبـارـزـةـ فـيـ نـحـوـهـمـ،
وـكـانـوـاـ قـدـ اـقـبـلـوـاـ عـلـىـ مـصـنـفـاتـ الـبـصـرـيـيـنـ ، يـأـخـذـونـ عـنـهـاـ ، وـيـشـرـحـونـهـاـ ، وـيـصـنـفـونـ
الـكـتـبـ فـيـ شـرـحـ شـوـاهـدـهـاـ .

(ـ٣ـ٦ـ)ـ جـذـوةـ الـقـتـبـسـ ١٦٥ـ .

(ـ٣ـ٧ـ)ـ جـذـوةـ الـقـتـبـسـ ٧ـ٤ـ . بـغـيـةـ الرـعـاـةـ ١٢٣ـ /ـ ١ـ .

ومن اوائل هؤلاء :

أبو القاسم ابراهيم بن محمد بن زكريا الزهرى الاندلسى المعروف بابن الافليلي . كان قد أخذ عن أبي بكر الزبيدى . وروى عنه كتاب الأمالى لأبى على القالى (٣٨) .

والاعلم الشنتمرى يوسف بن سليمان بن عيسى المتوفى سنة ٤٧٦ للهجرة أخذ عن الافليلي (٣٩) ، وله شرح لأبيات سيبويه سماه « كتاب تحصيل الذهب من معدن جواهر الأدب فى علم مجازات العرب » وهو الشرح الذى ذيل به الكتاب فى طبعة بولاق . وشرح كتاب (الجمل) للزجاجى وشرح شواهد الجمل (٤٠) . كان ينزع الى البصرة . وكان ابن مضاء يقول : « وكان الأعاصم رحمة الله على بصره بال نحو مولعا بهذه العلل الثنائى ، ويرى أنه اذا استتبط منها شيئا فقد ظفر بظائف (٤١) .

وابن السِّيِّد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى (توفي سنة ٥٢١ هـ) وكان من عُنْيِي بجمل الزجاجى فصنف كتاب « اصلاح الخلل الواقع فى الجمل » وكتاب « الحلول فى شرح أبيات الجمل » .

وابن الباذش علي بن أحمد بن خلف الانصارى الغرناطى (توفي سنة ٥٢٨ هـ) ، وكان له من المصنفات : شرح كتاب سيبويه ، وشرح كتاب المقتضب للمبرد ، وشرح أصول ابن السراج ، وجمل الزجاجى ، واياضاح انفارسى والكافى لأبى جعفر النحاس (٤٢) .

(٣٨) معجم الادباء ٢٠/٦٠ . بقية الرعاء ٢/٣٥٦ .

(٣٩) معجم الادباء ٢٠/٦٠ . بقية الرعاء ٢/٣٥٦ .

(٤٠) معجم الادباء ٢٠/٦٠ .

(٤١) الرد على النحاة ١٦٠ .

(٤٢) بقية الرعاء ٢/١٤٢ .

وابن الطراوة سليمان بن محمد (توفي سنة ٥٢٨ هـ) وكان تلمذ للأعلم الشنتمرى ، وسمع عليه كتاب سيبويه ، ومن مصنفاته كتاب « المقدمات على كتاب سيبويه » ، ومقالة في الاسم والمعنى^(٤٣) .

وابن طاهر محمد بن أحمد ، توفي عشر الثمانين وخمس المئة للهجرة . تلمذ لابن الرمّاك ، وقرأ عليه كتاب سيبويه ، ثم أقرأ الكتاب جماعة منهم ابن خروف ، ومصعب الخشنى^(٤٤) .

والسميلى أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (توفي سنة ٥٨١ هـ) ، وكان تلمذ لابن الطراوة وابن طاهر ، و « كان عارفاً بعلم الكلام والأصول »^(٤٥) ، وكان كالأعلم مشغوفاً بالعلل واستخراجها ، وقد أشار إليه ابن مضاء ناعياً عليه ذلك ، فقال : « وكذلك كان صاحبنا الفقيه أبو القاسم السميلي على شاكلته - يعني الأعلم - رحمة الله ، يولع بها ، ويخترعنها ، ويعتقد ذلك كمالاً في الصنعة وبصرأً بها »^(٤٦) .

وابن خروف علي بن محمد (توفي سنة ٦٠٩ هـ) ، وكان أخذ النحو عن ابن طاهر . وما صنف : كتاب شرح سيبويه ، وكتاب شرح الجمل^(٤٧) . والشَّلَوْبِينُ عمر بن محمد (توفي سنة ٦٤٥ هـ) وكان قد روى عن السميلي ، وصنف تعليقاً على كتاب سيبويه^(٤٨) .

وابن هشام الخضراوى محمد بن يحيى الخزرجي الاندلسى (توفي سنة ٦٤٦ هـ) وكان تلمذ لابن خروف وتلمذ له جماعة منهم الشلوبين ،

(٤٣) بغية الرعاة ١/٤٠ .

(٤٤) بغية الرعاة ١/٢٨ .

(٤٥) بغية الرعاة ٢/٨١ .

(٤٦) الرد على النسخة ١٦٠ .

(٤٧) بغية الرعاة ٢/٢٠٣ .

(٤٨) بغية الرعاة ٢/٢٢٥ .

وكان من مصنفاته : «الافصاح بفوائد الايضاح» و (شرح الايضاح) و (غسره الااصباح في شرح ابيات الايضاح)^(٤٩) .

وسار الدرس النحويـ هذه المسيرة الرتيبة ، وتعاقب الدارسون ، وهم يتسمون بانهم ينزعون نزوعا بصريا واضحا ، يلاحظ الدارس ذلك حين يستعرض الشیوخ الذين اخذوا عنهم ، والمصنفات التي صنفوها . حتى ليكاد النحو عندهم لا يتتجاوز حدود ما رسمه المبرد والزجاج والزجاجيـ وابو على الفارسيـ واصحابهم ، ولم يلاحظ فيما صنفوها أو قالوا شيئا جديدا يمكن أن يعدـ اضافة . فنحوهم اذا أردنا الى اجمال القول فيه ليس فيه اصالة ، ولا ابداع . كل ما هنالك شروح لمؤلفات القدماء كالمقتضب والجمل والايضاح ، وغلو فى التعليل حتى صار النحو عندهم كما صار عند معاصرיהם من المشارقة علم القياس والتعميل ، فإذا اراد احدهم ان يظهر على معاصريه ظهر عليهم بما يخترع من علل ، وبما يجرـ من قياس ، ويعتقد ذلك كاما فى الصنعة وبصرا بها على حدـ قول ابن مضـاء فى غمزه الأعلم والسيـليـ .

اما النحو البغدادى (الکوفى) فقد اذکـمش ظله بعد أن انبسط فى الاندلس زمنا طويلا ، ولكنه لم يضمـلـ ، فقد استطاع ان يثبت وجوده فى اعلام من الدارسين ساءهم ما آل اليه امر هذا الدرس حتى استطاع ان يظهر وهو ينبعـ قوة فى دعوة ابن مضـاء الى احياء هذا الدرس ، وفي ردـه على النـحة .

وابن مضـاء هو ابو العباس احمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضـاء اللخـميـ القرطـبـيـ . وكان دارسا طـلـعة ، ألمـ بكثير من ثقافات عصره ، واتصل بكثير من علمائه . ارتحـل الى اشبيلية فلقي عبد الرحمن بن محمد الاشـبيلـيـ المعـروف بـابـن الرـمـاكـ ، فقرأ عليه كتاب سـيـبوـيـهـ ، وقرأ عليه وعلى غيرـهـ

٤٩) بغية الرـعـاة / ٢٦٧ .

كتبـا كثيرة في النحو واللغة ، ولاشك ان هذه الكتب التي قرأها على ابن الرماك وغيره كانت متنوعة الاتجاهات ، ولاشك ان من بينها كتابـا كوفية كانت الأندلس قد عرفتها قبل ابن مضاء .

وبعد ان استكمل ما كان ينبغي استكمالـه في الدرس النحوي هاجر الى المغرب ، ولقي القاضـي عياضا اكبر فقهاء المغرب ومحدثـيه ، واخذ عنه الفقهـ والحديث ، ولقي القراءـ واخذ عنـهم القراءـ فعاد مقرئـا مجوـدا ، ومحدثـا مكثـرا ، وفقيـها رفعـته فقاـهـته الى منصب قاضـي الجـمـاعـة ، وصار « رـحلـة في الرواـيـة وعمـدة في الدـرـايـة » (٥٠) .

ولـه في النـحو ثلاثة مـصنـفات : المـشـرقـ في النـحو ، والـردـ على النـحـاة ، وتنـزـيهـ انـقـرـآنـ عـما لا يـلـيقـ بـالـبـيـان . ويـبـدو انـ ابنـ مـضـاءـ فيـ هـذـاـ الـكـتـابـ قدـ تـنـاـوـلـ بـالـتـجـريـعـ مـنـاطـقـةـ النـحـاةـ المـتـأـوـلـينـ ، وـلـذـلـكـ تـصـدـىـ ابنـ خـرـوفـ لـلـرـدـ عـلـيـهـ بـرـيـتـابـ سـمـاهـ : « تـنـزـيهـ أـئـمـةـ النـحـوـ عـما نـسـبـ إـلـيـهـمـ مـنـ الخـطـأـ وـالـسـهـرـ » .

ولـابـدـ انـ يـكـونـ ابنـ مـضـاءـ قدـ اـخـتـلـفـ إـلـىـ شـيـوخـ كـثـيرـينـ ، وـوـقـفـ عـلـىـ مـصـنـفاتـ الـقـدـمـاءـ وـالـتـاخـرـيـنـ ، وـلـمـ يـخـفـ عـلـىـ مـنـ كـانـ لـهـ فـطـنـتـهـ وـذـكـاؤـهـ أـنـ يـدـرـكـ الـفـرـقـ بـيـنـ أـوـلـ النـحـوـ وـآـخـرـهـ ، وـاـنـ يـحـسـ بـمـدـىـ الـانـحـرـافـ الـذـىـ اـبـعـدـهـ عـنـ النـهـيـجـ الـذـىـ كـانـ يـنـبـغـىـ اـنـ يـنـتـهـيـهـ ، وـيـتـبـيـنـ مـاـلـ هـذـاـ الـدـرـسـ الـحـيـوـيـ عـنـدـ هـؤـلـاءـ الـدـارـسـيـنـ الـمـعاـصـرـيـنـ الـذـيـنـ شـغـلـوـاـ بـالـفـرـوـعـ عـنـ الـاـصـوـلـ ، وـاـمـعـنـواـ فـيـ الـخـوـضـ فـيـمـاـ لـاـ جـدـوـيـ فـيـهـ لـلـدـرـسـ ، وـلـاـ لـلـدـارـسـيـنـ ، وـتـسـابـقـوـاـ إـلـىـ وـلـوجـ بـابـ الـجـدـلـ الـعـقـيمـ فـيـ مـسـائـلـ اـفـتـرـضـوـهـاـ ، وـاـطـالـوـاـ الـكـلـامـ عـلـيـهـاـ ، وـرـاحـوـاـ يـفـسـرـوـنـ الـظـواـهـرـ الـنـحـوـيـةـ بـالـتـفـسـيـرـ الـعـقـليـ الـذـىـ خـرـجـ بـالـنـحـوـ عـنـ مـيـدـانـهـ ، وـاـضـاعـوـاـ الـجـهـودـ فـيـ مـتـاهـاتـ الـجـدـلـ ، وـتـقـلـيـبـ الـمـسـائـةـ الـنـحـوـيـةـ ، اوـ الـلـغـوـيـةـ عـلـىـ وـجـوهـهـاـ الـعـقـلـيـةـ الـمحـتمـلـةـ ، حـتـىـ اـبـتـدـعـوـاـ عـنـ الغـاـيـةـ الـتـىـ يـرـمـىـ إـلـيـهـ الـدـرـسـ الـنـحـوـيـ اوـ الـلـغـوـيـ .

(٥٠) بغـيةـ الرـعـاةـ / ١ ٣٢٣ -

ولابد ان يكون ابن مضاء قد ضاق ذرعا بما وقف عليه من تمحل النحاة، وابتعادهم عن القصد ، وكان انه من الجرأة ان يقف فى وجه هذا التيار الذى لا يعرف حدا يقف عنده ، وان يتصدى لهمؤلاء الدارسين المسادرين فيدللهم على النهج السوى الذى انتهجه الدرس النحوى قبل ان ينحرف عنه ، وينبههم الى المنطلق الذى انطلق منه اول مرة ، ويرسم لهم طريق العودة الى الصواب .

وإذا لم يكن فى ذهن ابن مضاء فكرة واضحة عن منهج البحث النحوى الذى يجب ان يقوم عليه الدرس فلابد أنه كان يدرك فرق ما بين أوائل النحاة ومتاخرיהם ، وببداية الدرس النحوى وما آلت إليه أمره فى زمانه .

وليس مستغربا ان يضيق ابن مضاء الفقيه والمقرئ والزاوية بما تمحله النحاة ، وبما « التزهوا بما لا يلزموهم ، وتجاوزوا فيها » - يعني صناعة النحو - القدر الكافى فيما أرادوه منها ، فتوعدت مسالكها ، ووهنت مبانيها ، واحتلت من رتبة الاقناع حججها » (٥١) .

ولم يوجه ابن مضاء الى الكوفيين ما طعن به على ابصريين ، وهذا يشير الى انه كان نعويا على مذهب الكوفيين ، او أنه كان يرى نفسه بجانب الكوفيين . وليس من قبيل المصادفة أن يكون التسائى على رأس هذا المذهب ، لأن ثقافته القرآنية القائمة على انسناع والرواية هي التي وجهته قبل المذهب الكافى الظاهري السلفى . وليس من قبيل المصادفة ايضا ان يدعوا ابن مضاء الى الغاء تقدير ما يتعلق به الظرف او المجرور ، فعدم تقديره رأي للكوفيين معروف ، لأن الخبر فى مثل قولهم : زيد فى الدار ، هـ و « العجار والمجرور » لا المقدار المحذوف .

(٥١) الرد على النحاة - المقدمة .

(٥٢) الرد على النحاة ١٥١ .

وليس من قبيل المصادفة ان يرى ابن مضاء أنَّ من الصواب أنَّ يقال
لمن سأله عن علة رفع الفاعل : « كذا نطقت به العرب » فقد سبقه الكسائيَّ
إلى مثله ، فقال حين سُئل عن (أيَّ) وعن اختلاف أحوالها ، وتعليق ذلك
الاختلاف : « أيٌّ كذا خلقت » .

ومعنى هذا في وضوح ، أنَّ ابن مضاءَ كان نحوياً على مذهب الكوفيين ،
وكان قد اتخذ من الرواية أساساً لعلمه ودراسته وهذا هو الأساس الذي كان
الكسائيَّ قد بنى عليه ما رسم من مذهب . ومن أجل هذا صاحب ابن مضاءَ
رأي الكسائيَّ في جواز خلوِّ الفعل من الفاعل .

فابن مضاءَ ، في دعوته ، لم يخرج عن الخط الكوفيَّ العام ، لأنَّ الأساس
الذي بنى عليه دعوته إلى الغاء العدل والتؤييلات هو الأساس اللغويَّ الذي
بنيَ النَّوفيون مذهبهم عليه .

أطلت الوقوف عند ابن مضاءَ لابيِّن أمررين :

الأول - أنَّ ابن مضاءَ نحوياً على مذهب الكوفيين ، وإذا لم يعلن عن
انتسابه إليهم فأقوله والأمثلة التي عرضها تتمَّ على ارتباطه بالكوفيين ومذهبهم .
والثاني - أنَّ الدارسين المحدثين ربما اتخاذوا من دعوة ابن مضاءَ
أساساً بنوا عليه زعمهم أنَّ مذهبها نحوياً جديداً نشأ في الاندلس لم يكن
للدارسين عهد بمثله .

وقد وضع مما أجريت في هذه الوقفة الطويلة من موازنة بين ما ذهب إليه
ابن مضاءَ ، وما كان الكوفيون قد ذهبوا إليه من قبل أنَّ ابن مضاءَ لم يجرد
دعوته هذه ليذيع في الدارسين مذهبها نحوياً جديداً ، ولكنه فعل ذلك انتصاراً
لمذهب الكوفي الذي لم يجهر بالدعوة له .

فإذا كان ابن مضاء قد سلك هذا المسلك ، فانما سلكه ، لأن النحو الكوفيَّ كان قد عرف في بيئات الدرس الأندلسية قبل أن يعرف الدرس البصريَّ فيها . وإذا دعا ابن مضاء إلى ابطال القياس ، والغاء العلل التوانى والثوالث ، والغاء التقديرات فذلك أن النهج الكوفيَّ الذي عرفه قد لقي قبولاً عنده ، وصادف هو في نفسه . واتفاقاً مع مذهب الظاهريين الذي كان ابن مضاء يمثله أتم تمثيل . وليس ما قام به ابن مضاء في دعوته هذه حدثاً جديداً ولأنَّه تطبيق لمذهب الكوفييين الذين كانوا ينزعون في دراسة اللغة والنحو وإنقراة نزواجاً سلفياً واضحاً ، والذين كانوا مع النقل والسماع ، لا يخرون له ذمة ، ولا ينقضون له عهداً « ويجهون على الكوفيَّ نقض أصل من أصوله ، ونصف قاعدة من قواعده ، ولا يجهون عليه اطراح المسموع »^(٥٣) .

ففكرة (المدرسة الأندلسية) في أكبر الظن ، كانت مستوحاة من عمل الزبيدي في طبقاته ، لأنَّه خصص للنحوين واللغويين الأندلسيين مكاناً خاصاً في طبقاته براء البصريين والكوفييين ، فأولهم بوجود مذهب أندلسىٰ .

غير أنَّ رأينا أنَّ الدرس النحويَّ ، حتى زمان الزبيديَّ ، لم يختلف في شيءٍ مما كان في بغداد والبصرة ، والنحوة الذين سبقوه لم يكونوا إلا نقلة نحو بغداد والبصرة ، أو شرحاً لمصنفات البغداديين والبصريين ، والنحوة الذين ترجم لهم في طبقاته أمّا متابعيون للكوفييين ، أو متابعون للبصريين ، ولم يكن من بينهم من أضاف إلى النحو المشرقيَّ شيئاً ، أو نزع منزعاً ليس بالبصريَّ ولا بالبغدادي الكوفيَّ .

ويبدو أنَّ ما أوهم به الزبيديَّ كان قد جاز على الدارسين المحدثين فقالوا بوجود مدرسة أندلسية . وتمحلو القول في التحدث عنها . ومن بين من ذهب إلى ذلك من الدارسين المحدثين :

(٥٣) نظرات في اللغة والنحو . ١١ .

طه التراوى ، وكان قد نشر له مقال فى المجلد انرابع عشر من مجلة المجتمع العلمى العربى بدمشق (ج ١٠ / ص ٢١٩) وكان عنوانه : (نظرة فى النحو) ثم طبع هذا المقال حديثا مع مقالات أخرى فى كتاب (نظرات فى اللغة والنحو) .

صنف (التراوى) النحاة فذكر أنهم بصرىون وكوفيون وبغداديون واندلسيون ، وان مذاهب النحاة بحسب هذا التصنيف أربعة مذاهب عى أمات المذاهب فى النحو ، أما ما تفرع منها فمذاهب كثيرة ، قال : أنها يسر حصرها (٥٤) .

اذا استقام هذا التقسيم الرباعي بالنظر الى الدارسين بحسب اقطارهم فلن يستقيم بالنظر الى المنازع او المذاهب ، واذا اقنع الدارسين بوجود المذهبين انرئيسين ، اعني مذهب البصريين ومذهب الكوفيين بعرض الاسس المذهبية التي بُنيَ عليها المذهبان فلا أظنه مقنعا اياهم بوجود مذهب البغداديين ومذهب الاندلسيين، لانه لم يفلح في عرض خصائص المذهبين او سماتهما ، وكل ما قاله فيما لا يعدو أن يكون دعوى مرسلة لم تؤيد بالدليل ، ولا دعيمت بالشواهد .

وخلصة الاسس المذهبية للبغداديين عنده هي : « الولع بالتوسيع فى الروايات ، والتباهي بالتاريخيات ، والتفاخر بالنواذر والطرائف حتى ابتعدوا عن أصول أشيائهم ، واستوى لديهم مذهب انحاز عن مذهب اسلافهم عُرف بمذهب البغداديين » (٥٥) .

وخلصة الاسس المذهبية للاندلسيين عنده هي أنهم : « أطالوا النظر فيهـ أى فيما أصله العراقيون وما فرّعوهـ ووقفوا على ما بين تلك المذاهب من خلاف ووافق ، وما يستند اليه كل فريق من رواية ودرائية ، فشقوا لهم طريقا سويا كان عمودهم فيه مذهب البصرية » (٥٦) .

(٥٤) نظرات فى اللغة والنحو ١٠ .

(٥٥) نظرات فى اللغة والنحو ٩ .

(٥٦) نظرات فى اللغة والنحو ١٠ .

وليس فيما تحدث به عنهم ما يصلاح ان يكون اساسا مذهبيا ، او سمة اسلوبية باية أنه لاحظ ان المذهب البصري عمود الاندلسيين في الطريق التي شقوها في دراستهم اللغة والنحو . وأية مزية بقيت للدرس النحوي في الاندلس اذا كان عمودهم هو مذهب البصريين ؟ :

اما ما كان يشير اليه من مخالفة الاندلسيين للبصريين فمرده وجهة نظر خاصة لا تخرج صاحبها من حدود المذهب الذي ينتمي اليه ، كما لم تخرج الفراء من حدود الدائرة البغدادية الكوفية مخالفته لنكسائي مثلا ، ولا أخرجت المبرد من حدود المذهب الذي ينتمي مخالفته سيبويه ، ونقضه كثيرا من آرائه .

ومحمد الطنطاوى في كتابه : (نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة) ، فقد عرض لطوابق النحاة الاربع التي سبق لطه الرواى أن عرض لها ، وكان موقفه من المذهب البغدادي والمذهب الاندلسى كموقفه ، واعتلاله لوجودهما كاعتلاله الا زيدات لا غناء فيها . وكل ما عمل به المذهب الاندلسيين هو « أنهم عدلوا عن بعض آراء المشارقة في النحو ، وخالفوهم في منهاج تعليمه وتدوينه ، واستدركوا عليهم مسائل فاتتهم ، وبذلك استحدثوا مذهب رابعا عرف بمذهب المغاربة او الاندلسيين » (٥٧) .

ان هذا الخلاف الذي أشار اليه لا يمس الاسس ، ولا يخرج عن الخط العام للمذهب ، ولذلك لا يصلح أن يكون أساسا مذهبيا يقوم عليه استخدام مذهب رابع ، لأن الخلاف قد يقع بين اتباع المذهب الواحد ، كما بيّنا غير مر.

فما قدمه الدارسان الفاضلان لتقرير فكرة تعدد المذاهب في اذهان الدارسين انما هو محض افتراض ما زال يفتقر الى الدلائل والشواهد، ولم يفلحا في تقديم هذه الدلائل بما عرضاه من حديث لا يقتصر على الاندلسيين او من سميائهم بالبغداديين وحدهم ولكنّه يصدق على رجال المذهبين الرئيسيين الذين تناولوا اصول أشيائهم بالتعديل ، او نقشوا اساتيذهم في هذه المسائل او تلك .

(٥٧) نشأة النحو ١٨٩ .

والدكتور شوقي ضيف في كتابه (المدارس النحوية) ، فقد عقد فيه فصلاً خاصاً بالمدرسة الاندلسية هو الفصل الثاني من القسم الثالث ، وعرض فيه للدارسين الذين اشتغلوا في النحو ، مبتدئاً بجودي بن عثمان الذي كان ممثلاً لمذهب التوفيين في الاندلس ، ثم عرض لأول نحو على المذهب البصري وهو الأفشنق ، وللنحاة الذين اقتدوا به في نزوعه إلى البصريين ثم تلا هؤلاء نحاة زعم الدكتور ضيف انهم عكفوا على مدارسة كتاب سيبويه ، وكتب البصريين والковيين ، وذكر منهم أبا بكر الزبيدي ، وأبا بكر بن القوطية صاحب كتاب (الافعال) ، حتى إذا وصل في حديثه إلى ابن سيدة (توفي سنة ٤٥٨ هـ) وما اعتمدته في عمل كتابه (المحكم) من مصنفات النحويين المتأخرين ظن أن ملاكه الذي اعتمدته في تصنيف المذاهب النحوية قد استقام له ، فقال : « إننا لانصل إلى ابن سيدة حتى ينغمى نحاة الاندلس في النحو البغدادي بجانب انغماسهم في النحو البصري والковي ، ويكون ذلك ايداناً بان تتضح شخصيتهم في النحو ودراساته ، فقد تعمقوا مصنفاته على مر العصور ، وتعمقوا اتجاهاته » (٥٨) .

ثم عقد عنواناً لجامعة من الدارسين تابعوا ابن سيدة في تعمقه المذهب البغدادي وساروا في اتجاه المدرسة البغدادية وفي مقدمتهم : الاعلم الشنتوري الذي رأى الدكتور ضيف أنه « أول من نهج لنحاة الاندلس هذا الاتجاه» (٥٩) وسلك في هذه الجماعة كثيراً من النحاة الذين من بنا ذكرهم ، وجعل فيهم ابن مضاء القرطبي ، واتبعه بابن مالك . ثم اتبع هذه الجماعة بجماعة أخرى زعيم انهم يمثلون اتجاهها خاصاً ختمهم ببابي حيان الاندلسي المتوفى سنة ٧٤٥ للهجرة .

فإذا أعدنا النظر فيما قال في هذا الفصل رأينا أنه يصنف النحاة الاندلسيين ، كما صنف النحاة في المشرق إلى بصريين وكوفيين وبغداديين ، ولم يذكر من مزايا هذه الطائفة أكثر مما ذكر من مزايا النحاة المشارقة الذين خلطوا المذهبين

(٥٨) المدارس النحوية . ٢٩٢ .

(٥٩) المدارس النحوية . ٢٩٣ .

وسمّاهم بالبغداديين ، ولم يشر الى خصائص مذهبية للاندلسيين البغداديين ، أو الذين ساروا في اتجاه المدرسة البغدادية ، نابعة عن درس اندلسي مستقل لا يمت الى المذاهب المشرقية بصلة ، مما يدل دلاله واضحة أن مؤلف (المدارس النحوية) ليس لديه فكرة واضحة عن مزايا مذهب اندلسي ، وأن له شغفا خاصا بتكتير اسماء المدارس دون ان يعني بتلمّس الخطوط المذهبية العامة لهذه المذاهب المتعددة او رسم صورة ولو باهته لكل مذهب على حدة ، ولعل له في ذلك عذرا لانه ليس لهذه المدارس واقع علمي ملموس باستثناء المذهبين الرئيسيين البصري والبغدادي الذي سمي بالковفي مؤخرا .

كل مقاله في تحديد طريقة الاندلسيين هو أن نحاتها كانوا يخالفون جميع النحاة السابقين من بصريين وكوفيين وبغداديين ، وينتهجون نهج البغداديين « من الاختيار من آراء نحاة الكوفة والبصرة ، ويضيفون الى ذلك اختيارات من آراء البغداديين ، وخاصة أبا علي (كذا) الفارسي وابن جنى ، ولا يكتفون بذلك بل يسرون في اتجاههم - يعني البغداديين - من كثرة التعليقات والنفوذ الى بعض الاراء الجديدة » (٦٠) .

ولكن ما الجديد في هذا ؟ وهل يعني اختيارهم من آراء البغداديين انهم اضافوا الى المذهب البغدادي ماليس فيه ؟ الا يدل هذا على ان مؤلف (المدارس النحوية) يتشبث بالوهم في اقناع الدارسين بوجود مدرسة اندلسية ، او بوجود مدارس نحوية غير مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ؟ !

واين تقع مدرسة الاندلس النحوية اذا كان قدماء النحاة فيها كوفيين او بصريين ، والمؤخرون منهم ببغداديين او سائرين في اتجاه المدرسة البغدادية ؟

شيوخ بغدادية وتأريخه

تردد اسم البغداديين في مؤلفات المحدثين ، وهم يريدون بهم جماعة من الدارسين يمثلون مذهبًا خاصاً لا هو بالبصري ولا هو بالكوفي . وإنما هو مذهب يقوم على الانتخاب من كلا المذهبين ، وقد نشأ هذا المذهب من تلاقى المذهبين القديمين في بغداد ، ونهض به دارسون تلمذوا لابي العباس ثعلب مثل الكوفيين ولابي العباس المبرد مثل البصريين .

ويبدو أن المحدثين كانوا يصدرون عما جاء في فهرست ابن النديم اذ أرَّخ للدرس النحوي واللغوي وللنحوة واللغويين في المقالة الثانية ، وكان قد قسمها إلى ثلاثة فنون :

تكلم في الفن الأول في النحو وأخبار النحويين واللغويين البصريين بادئاً بأبي الاسود الدؤلي ، ومنتهايا بأبي علي الفارسي .

وتكلم في الفن الثاني في النحو الكوفي وأخبار النحويين واللغويين الكوفيين ، بادئاً بأبي جعفر الرواسي ، ومنتهايا بأبي عمر الزاهد .
وتكلم في الفن الثالث في اخبار النحويين واللغويين من خلط المذهبين ، وذكر منهم : ابن قتيبة ، وابا حنيفة الدينوري ، وابا موسى الحامض وابا القاسم الزجاجي وابا الحسن بن كيسان وابا عبدالله نفطوية ، وابا الحسن علي بن سليمان الاخفش الصغير .

ويدل على أن المحدثين كانوا يصدرون عما جاء في الفهرست أنهم كانوا يقيمون المذهب الجديد على أساس الاختيار والانتخاب من كلا المذهبين القديمين ، وهو الذي كان ابن النديم يُعتبر عنه بخلط المذهبين .

فقد جاء في (ضحى الاسلام) ، بعد استعراض رجال المدرستين والبقاء المبرد وتعجب في بغداد : « ومع هذا فقد دان التقى الكوفيين والبصريين في بغداد سببا في عرض المذهبين ونقدهما والانتخاب منهما ، ووجود مذهب منتخب كان من ممثليه ابن قتيبة ، قال ابن النديم : كان ابن قتيبة يغلو في البصريين ، الا انه خلط المذهبين ، وحکى في كتبه عن الكوفيين ، ومثله في ذلك ابو حنيفة الدینوری فقد أخذ عن البصريين والكوفيين جميعا » (١) .

لم يذكر مؤلف ضحى الاسلام دارسين غيرهما من نحاة حقيقيين سبق لابن النديم وغيره أن زعموا أنهم خلطا المذهبين كأبن كيسان وابن الخطاط وابن شقير وغيرهم ، وكان ينبغي لمن يرسل الكلام ارسالاً أن يعزّزه بأمثلة أخرى غير ابن قتيبة وابي حنيفة ، واذا كان ابن النديم جعلهما فيمن خلط المذهبين ، فإنه لم يورط نفسه فيزعم ان هناك مذهبان منتخبان من المذهبين ، كما فعل مؤلف (ضحى الاسلام) وكان جديرا بمؤلف ضحى الاسلام أن يختار نماذجه من دارسين آخرين لهم مشاركة جادة في الدرس النحوى ، ولهم اراء وأقوال تتناقلها كتب النحو ، ولكنه لم يفعل ، بل لقد اغفل ذكرهم اغفالا يوحى بأنه لم يكن هو الذى استنتج من ابن النديم فكرة هذا المذهب المنتخب ، ولكنه اقتبسه من دارسين محدثين آخرين سبقوه ، لأن التمثيل بابن قتيبة وأبي حنيفة على ما لهما من مكانة في العلم لا يرسم للمذهب الثالث المزعوم صورة ولو كانت باهته .

وبمتابعة البحث نجد ان هذه الفكرة كانت من عمل مستشرقين كانوا قد توفروا على دراسة العربية ، وعلى تحقيق كتب عربية ، وتناولوا باندرسون موضوعات نحوية ولغوية .

من هؤلاء المستشرقين ثلاثة من الاعلام الذين عرفت لهم اعمال تتصل بالدرس النحوى وتاريخ النحاة ، وهؤلاء هم :

فلاجل Flügel المتوفى سنة ١٨٧٠ للميلاد ، الذى نشر فهرست

(١) ضحى الاسلام ٢٩٨/٢ الطبعة الثانية .

ابن النديم ، وكتب بحثاً في المدارس النحوية عام ١٨٦٢ للميلاد .
وبروكلمان في كتابه (تاريخ الأدب العربي) .

وأكوتولدقايل ناشر كتاب الانصاف فى مسائل الخلاف لابى البركات الانباري ، وكان قد انتهى من تحقيقه عام ١٩١٢ للميلاد ، وطبعه فى ليدن عام ١٩١٣ للميلاد .

لقد تناول هؤلاء الاعلام بالدرس تاريخ النحو والنحاة ، وحاولوا ان يقدموا للدارسين صورة عن واقع المذهبين النحويين ، وعن رجال كل منهما ، ثم تناولوا بالدرس التقاء المذهبين في بغداد ، وما تم خصّ عنه هذا الالتقاء من تفاعل وتحاذف .

اما فكرة المدرسة الثالثة ، او مدرسة بغداد فقد تبناها الأولان ،
فلوگل وبروكلمان ، وكان الرائد في ذلك هو (فلوگل) ، فقد نشر كتابا عن
مدارس النحو اسمه Diegrammer Schulen : أشار إليه بروكلمان
في كتابه «تاريخ الأدب العربي»^(٢) وقائل في مقدمته التي قدم بها لكتاب
الأنصاف .

وقد تابعه بروكلمان في (تاريخ الأدب العربي)، فقد عرض للمدارس النحوية في الباب الرابع الذي عقده لدراسة علم العربية، وذكر مدرسة البصرة ورجالها^(٣) ومدرسة الكوفة ورجالها^(٤)، ثم مدرسة بغداد ورجالها^(٥).

لم اقف على ما كتبه فلوجل ولكن يبدو من عنوان كتابه انه عرض
للمدارس النحوية متجاوزاً مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة
اي مدرسة او مدراس اخرى ، لعل منها مدرسة بغداد ، لأن اشارة بروكلمان الى

^{٢)} تاريخ الادب العربي / ٢٢٢ الهامش ، ٢٣٥ / ٢ الطبعة العربية .

(۳) بروکلمان ۱۲۸/۲-۱۹۵

(٤) بروکلمان ۲ / ۱۹۷ - ۲۲۰

• ۲۵۶-۲۲۱/۲ بروکلمان (۵)

ما كتبه فلوكل عن ابن قتيبة توحى بأنه كان قد تناول ما تناوله الدارسون من بعده اعني مدرسة نحوية ثالثة من ممثليها ابن قتيبة وليس (المدرسة) التي يمثلها ابن قتيبة في أذهان الدارسين المحدثين غير مدرسة بغداد ، ويغلب على الظن ان فكرة المذهب الثالث او مدرسة بغداد مستوحاً من ابن النديم في فهرسته الذي حققه ونشره فلوكل .

اما بروكلمان فقد عرض مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ومدرسة بغداد مستوحاً هذا من ابن النديم ايضاً . قال بروكلمان : « حقاً بقي كثيرون من العلماء الذين اجتذبتهم عاصمة الخلافة إليها شديدي التمسك والتعصب لمؤلفات مدارسهم الأصلية ، ولكن العجيل الذي تلا هؤلاء ، والذي تهيأت له فرصة الاستماع إلى مثل كلتا المدرستين لم يلق كبير اهتمام للخلافات القديمة ، بل عمد إلى انتخاب مزايا كلتا المدرستين ، وتوحيد هذه المزايا في مذهب جديد مختار » ، ثم قال : «وطبيعى ان هذا المذهب المختار كان متدرج النمو والإكمال ، حتى انّ عدداً من ذكرناهم ومن سند ذكرهم بعد من العلماء يمكن الشك في تحديد المدرسة التي ينتمون إليها ، لاسيما اذا كنا لا نستطيع ان نصدر حكماً على آرائهم نحوية الا بمشقة وعسر ، وأيّاً ما كان الأمر فان علينا ان نطمئن الى الاستناد على رواية ابن النديم في الفهرست ، واذن نعدّ ، مع صاحب الفهرست ، أول مثل لمدرسة بغداد رجلاً تجاوزت شهرته حقاً دائرة النحو والعربية ، ولكنه هو نفسه أراد ان ينظر إلى دراساته اللغوية على أنها نواة نتاجه الأدبي عامّة ، ذلك هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة »^(٦) .

ثم اخذ بروكلمان يتحدث عن ابن قتيبة وعن مصنفاته وما يتصل به وبها من اخبار ، ولكنه لم يفعل شيئاً لتأييد وجهة نظره في تمثيل ابن قتيبة المذهب الجديد المختار ، مكتفياً بما استوحاه هو واستوحاه فلوكل من قبل مما كتبه ابن النديم في الفهرست .

(٦) بروكلمان ٢٢١/٢

فإذا وازنا بين ما كتبه بروكلمان ، وما كتبه مؤلف ضحى الاسلام عن
مدرسة بغداد رأينا ان ما عرضه مؤلف ضحى الاسلام من وجود مذهب منتخب
لا يختلف في كثير ولا قليل عمّا زعمه بروكلمان ، ورأينا الرجلين يتفقان في
عرض الفكرة عبارة ومتخذها وتمثيلا . ويغلب على الظن ان بروكلمان كان متبعا
فلوكل فيما ذهب اليه ، بالرغم من انه القى تبعة ما عرضه من فكرة مدرسة
بغداد على روایة ابن النديم في الفهرست .

يقوى هذا الظن ان بروكلمان لم يكن يعرف عن مدرسة الكوفة ورجالها ما يمكنه من رسم صورة مكتملة لها ، لأن « أولئل النحو والدراسات العربية غامضة في الكوفة حاضرة العراق الثانية ، على حد تعبيره ، وذلك لقلة ما يعرفه » عن نمو هذه المدرسة لقلة ما بقى من مصنفات التأوفيين » ، ولأن « اخبار المؤخرين عن الخلاف بين المدرستين قليلة الانصاف للمدرسة الكوفية ، لأن المؤخرين فضلوا المذهب الرسمي النظري الذي تم له الانتصار ، وهو مذهب البصريين »^(٧) .

والدارس الذى لم يكونَ لنفسه فكرة واضحة عن حقيقة اندرس الكوفى ،
ولا تهيات لديه الخطوط التى يستطيع بها ان يرسم صورة مكتملة لمدرسة
الكوفة ، ولا وصل اليه من مصنفات الكوفيين الا القليل ، لا يستطيع ان يكونَ
لنفسه رأيا عن المدرسة الثالثة التى نشأت فى زعمه عن الجيل الذى تلمذ
للمدرستين ، وتهيات له فرصة الاستماع الى ممثليهما ، ثم عمد الى انتخاب مزايا
كلتا المدرستين وتوحيدها فى مذهب مختار . وكيف يكونَ لنفسه فكرة واضحة
عن نشوء مدرسة بغداد التى نشأت عن توحيد مزايا كلتا المدرستين اذا لم
تتبين له مزايا مدرسة الكوفة ! وكيف يرسم صورة للمدرسة الجديدة ،
وبعض خطوط الصورة تستند نظريا الى مزايا مدرسة الكوفة التى لم يكونَ
لنفسه رأيا فيها لقلة ما يعرفه عن الدرس الكوفى ، ومصنفات الكوفيين .

(٧) تاریخ الادب العربي - بروکلمان ١٩٦٢ الطبعه العربيه .

والنتيجة المترتبة على هذا هي سكوته عن تطبيق نظريته على ابرز ممثليها ، وهو ابن قتيبة ، واغفاله حتى الاشارة الى ذلك في اثناء كلامه على شخصية ابن قتيبة العلمية ، ومصنفاته وآثاره .

ومن الواضح ان بروكلمان في عرضه فكرة الانتخاب انما كان متابعاً فلوكل الذي كان فيما يبدو ، وفيما اشار اليه (قائل) هو صاحب الفكرة الاولى ، وان لم تستو عنده نظرياً الا بعد جهد جاهد ، وعناء كبير في التوفيق بين الروايات المتضاربة عن حقيقة الاتجاه الذي سلكه ممثلو المذهب الجديد في دراستهم اللغوية وال نحوية .

واما گوتولد قاييل فكان معنياً بكتاب « الانصاف في مسائل الخلاف » لابي البركات الأنباري ، وقد حققه ونشره وقدم له ، وكان يعالج مسائل الخلاف معالجة سليمة ، ويطيل الوقوف عندها ليثم براء البصريين وأراء الكوفيين ، ويعرف حقيقة الخلاف ، ليكون لنفسه رأياً في هذه المسائل التي لم يعرض لها مثل هذا العرض دارس محايد يتوكى الانصاف حقاً ، ولكن دارس متغصب شديد النكير على خصمه .

وكان ابو البركات قد جمع في كتابه هذا احدى وعشرين مسألة ومئنة مسألة ، وهي عنده اهم ما اختلف فيه ، وكان يقول في مقدمته : « اعتمدت في النصرة على ما اذهب إليه من مذهب أهل الكوفة او البصرة على سبيل الانصاف لا التعصب والاسراف » .

وكان أبو البركات يعرض في كتابه احتجاجات مفتعلة زعم أنها احتجاجات الكوفيين ، وقد يرجع القهقرى فيلقيها على لسان الكسائي والفراء وتلاميذهما واصحابهما ، ويبحث الدارس فيما وصل اليه من كتب المتقدمين منهم فلا يجد فيها ما زعمه أبو البركات ، ويظل الدارس يسأل عن مصدر هذه الاحتجاجات ولا يتلقى جواباً لأنها من صنع المتأخرین ، وانها من صنع بصريين متأخرین

كانوا قد حذقو النهج البصري النظري ، وكان لهم آراء خاصة وافقوا فيها
البنوفيين ، فراحوا يحتجون لها بالأسلوب البصري النظري الذى حذقوه فى
مقام الرد على البصريين الذين يخالفونهم فى هذه المسائل ، او من صنع
بعض الكوفيين المتأخرین الذين وجدوا انفسهم مضطربین الى التشبت بمثل ما
كان البصريون يتسبّبون به ، ويصطّنعوا في المناظرات ، وفي الرد على خصومهم
مثل ما كان البصريون يصطّنعوا ، لتأييد آرائهم ونصرة مذهبهم .

يؤيد هذا مقاله ابو بكر بن الخطاط لابي القاسم الزجاجي ، وقد ذكر هذا له
ما جرى بينه وبين أبي بكر بن الانباري ، وما كان يحتج به أبو بكر لرأيه :
« هذه أشياء يوّلدها من عنده على مذاهب القوم ليست محكية عن الفراء ، ولا
موجودة في كتبه ، ولكنها مما يرى أنها تؤيد المذهب وتنصره » (٨) .

وقف (قايل) على هذا ، واطال النظر في صنيع ابى البرکات ، وخرج من
معاناته المشكّلة التي وجد نفسه في غمرتها بتفسير لا يبعد كثيراً عما عرضنا هنا .
قال (قايل) : انَّ « من الممكن اثبات أنَّ الدعساوى التي نسبت الى الكوفيين ،
والادلة عليها في كثير من المسائل لم يقل بها الفراء ، ولا اصحابه بل هي صادرة
عن الاخفش والمبرد ، ولا يمكن الاعتماد في ذلك على ابن الانباري الذي كان كلَّ
اهتمامه هو تصوير تناقض الاسس والمبادئ ، واذا كان - أحياناً - يذكر اسماء
هاتين الفرقتين النحويتين فإنه من ناحية اخرى كثيراً ما يذكر الاراء مجردة عن
 أصحابها على أنها كوفية ، ومن هنا لا يجوز أخذ مسائل الخلاف المئة والحادي
والعشرين على أنها مسائل خلافية صحيحة قديمة تمثل اختلاف اراء سيبويه والفراء
بوجه خاص » (٩) .

اما رأى قايل فيما ذهب اليه فلوجل وبروكمان فخلاصته الشك في وجود
مدرسة جديدة قامت على اساس الانتخاب من مزاياها كلتا المدرستين ، لانه - وان
كان يرى أن لتسمية تلاميذ المبرد وتعلّب بالبغداديين وجهاً من الحق - كان يرى
أن البغداديين لم يكونوا ليمثلوا مدرسة ذات اتجاه خاص اساسه المزج او الاختيار

(٨) الايضاح للزجاجي ٦٣ .

(٩) مقدمة كتاب الانصاف في مسائل الخلاف .

ولكنهم يمثلون دراسة في دائرة النحو البصري « و اذا كان البغداديون في الموضع القليلة التي يرد ذكرهم فيها عند النحاة يمثلون رأى الكوفيين فلا يجوز أن يصللنا ذلك عن حقيقة امرهم ، لانه انما يذكر رأيهما الخاص في الاحوال التي يخالفون فيها اراء البصريين العامة » (١٠) .

ثم جاء الدارسون المعاصرون فأخذوا ماجناء في (ضحى الاسلام) على انه قضية مُسلَّم بها ، وواقع مفروغ من سلامته ، وراحوا يتسبّثون بما صور لهم فيه ، ويتوسعون في تطبيقه ، واتخذوا من محض خلط المذهبين على حد تعبير ابن النديم ، والرواية عن الفريقيين سبيلا الى الزعيم بوجود مذهب ثالث ، او مدرسة **ثالثة** .

و اذا كانت مقالة ابن النديم منطلق ازاعمين بوجود مذهب ثالث قام على الانتخاب من المذهبين فان ابن النديم لم يشر الى الذين خلطا المذهبين على أنهما كانوا ذوي نهج جديد في تناولهم موضوعات الدرس ، او كان لهم اسلوب في الدرس **النحوي** يختلف عن اسلوب البصريين ، او اسلوب الكوفيين ، وكل ما فعله ابن النديم أنه جعل تلاميذ المبرد وتعلب جماعة ثالثة من الدارسين على اساس انهم تلمذوا لمثل المذهبين ، وأخذوا عنهما جميعا ، ولم يقتصروا على الاخذ من أحدهما فقط ، كما كان المبرد وشيوخه ، وتعلب وشيوخه يفعلون .

اما كتاب الطبقات الاخرون فلهم تصنيف آخر يختلف عما جاء في فهرست ابن النديم ، مما يدل على أن ما فيه المحدثون من تصنيف ابن النديم ، ومن وجود جيل كان ينهج منهجا يقوم على الانتخاب لم يكن القدماء يعنيونه حين يعرضون للبغداديين او يرددون اسم البغداديين .

فابو الطيب اللغوي (ت ٣٥١ هـ) في « مراتب النحويين » كان قد صنف اللغويين والنحوين طبقات ، وكان يسلك في هذا التصنيف أسلوبا يختلف عن سائر المصنفات في الطبقات . كان يعرض لاعلام طبقة من اللغويين والنحوين

(١٠) مقدمة كتاب الانصاف في مسائل الخلاف .

البصريين ، ثم يعرض لمن يعاصرهم من الملغويين وال نحويين الكوفيين ، ويتناول لهم بالدرس في طبقة أيضا ، ثم يعود إلى البصريين فيعرض لنطبقة الأخرى منهم فإذا انتهى من ذكر اعلامها عاد إلى الكوفيين المعاصرين ، وتناولهم بالدرس في طبقة أخرى أيضا ، إلى أن ينتهي إلى الطبقة الأخيرة من البصريين فينعطى إلى ما يعاصرها في الكوفة في آخر طبقة أيضا .

بدأ أبو الطيب بالنحوة البصريين ، لأن النحو إنما نشأ ونمّا في البصرة ، وكانت الطبقة الأولى من البصريين هي : طبقة أبي الأسود الدؤلي وتلاميذه : عطاء بن أبي الأسود ويحيى بن يعمر وميمون الأقرن وعنترة الفيل ، ولم يكن في الكوفة طبقة بازائها .

وكانت الطبقة الثانية هي طبقة عبدالله بن أبي إسحاق وأبي عمرو بن العلاء وعيسي بن عمر ، ولم يكن في الكوفة طبقة للكوفيين بازائها أيضا .

وكانت الطبقة الثالثة هي طبقة يونس بن حبيب وأبي الخطاب الأخفش اللذين أخذوا عن أبي عمرو بن العلاء . وبازاء هذه الطبقة كانت الطبقة الأولى من الكوفيين ، وفيها : أبو جعفر الرواسي الذي أخذ عن أبي عمرو ، ولكنه لم يكن نظيراً من هو بازائه من البصريين ، ولا قريباً منهم ، وقد أيدَّ هذَا بما حكاه عن أبي حاتم السجستاني ، فقد كان أبو حاتم يقول : « كان بالكوفة نحوياً يقال له: أبو جعفر الرواسي ، وهو مطروح العلم ليس بشيء » (١١) . وعاصم بن أبي النجود وقيل : انه كان نحوياً ، وعقبَ أبو الطيب على ما قيل بقوله : « فلعل ذلك كان يسيراً من جليل النحو فلم يذكر قوله ولم يحفظ » (١٢) . وحمزة بن حبيب الزيات ، ويرى أبو الطيب أنَّ الكوفيين هم الذين كانوا يرونَه اماماً « أما عند البصريين فلا قدر له » (١٣) . واذ وصل أبو الطيب إلى هذا قال : « والذين

(١١) مراتب النحوين ٢٤ .

(١٢) المصدر نفسه .

(١٣) المصدر نفسه .

ذكرنا من الكوفيين فهم أئمته في وقتهم ، وقد بيّننا منزلتهم عند أهل البصرة فاما اندى ذكرنا من علماء البصرة فرؤساء علماء معظمون غير مدافعين في المعاشرين جميعاً ٠٠٠ ولم يكن في الكوفة ولا في مصر من الامصار مثل أصغرهم في العلم بالعربية » (١٤) ٠

وكانـت الطبقة الرابعة هي طبقة الخليـل بن أـحمد صاحـب الـاحـدـاثـ والأـخـتـارـاتـ الـذـيـ « لم يـكـنـ قـبـلـهـ وـلـاـ بـعـدـ مـشـلـهـ » (١٥)ـ وـالـذـيـ « لم يـكـنـ فـيـ عـلـمـاءـ الـبـصـرـيـينـ مـنـ قـنـطـعـ عـلـيـهـ أـنـهـ مـنـقـطـعـ الـقـرـيـنـ :ـ مـشـلـهـ » (١٦)ـ وـجـعـلـ اـبـوـ الطـيـبـ مـعـهـ ثـلـاثـةـ مـنـ اـعـلـمـ الـبـصـرـيـينـ هـمـ :ـ اـبـوـ زـيـدـ اـلـانـصـارـيـ وـابـوـ عـبـيـدـةـ وـالـاصـمـعـيـ ،ـ ثـمـ تـلـامـيـدـ الـخـلـيلـ وـالـذـكـورـ مـنـهـمـ هـنـاـ :ـ سـيـبـوـيـهـ وـحـمـادـ بـنـ سـلـمـةـ وـالـنـضـرـ بـنـ شـمـيـلـ وـابـوـ مـحـمـدـ الـيـزـيـدـيـ وـالـمـؤـرـجـ السـسـدـوـسـيـ وـعـلـيـ بـنـ نـصـرـ الـجـهـضـمـيـ .ـ ثـمـ تـلـامـيـدـ يـونـسـ بـنـ حـبـيـبـ ،ـ مـحـمـدـ بـنـ الـمـسـتـنـيـرـ الـمـعـرـوـفـ بـتـطـوـبـ وـمـحـمـدـ بـنـ سـلـامـ الـجـمـحـيـ ٠

وـاـذاـ اـنـتـهـىـ مـنـ ذـكـرـ اـعـلـامـ الـبـصـرـيـينـ فـيـ هـذـهـ اـنـطـبـقـةـ انـعـطـفـ لـيـذـكـرـ مـنـ كـانـ باـزاـئـهـمـ مـنـ الـكـوـفـيـينـ ،ـ فـنـذـكـرـ الـفـضـلـ الـضـبـيـ عـمـ اـشـلـ الـكـوـفـةـ بـاـنـشـعـرـ .ـ وـاـوـثـقـ مـنـ بـاـنـكـوـفـةـ فـيـ زـيـرـ .ـ «ـ اـبـيـ حـاتـمـ »ـ (١٧)ـ .ـ وـرـذـكـرـ مـعـهـ حـمـادـ الـراـوـيـةـ وـآـخـرـيـنـ .ـ ثـمـ ذـكـرـ الـكـسـائـيـ وـلـمـ يـذـكـرـ بـعـدـ أـحـدـاـ مـنـ الـكـوـفـيـينـ .

وـكـانـتـ الطـبـقـةـ الـخـامـسـةـ مـنـ الـبـصـرـيـينـ هـيـ طـبـقـةـ التـوـرـىـ وـالـحـيرـمـازـىـ وـالـجـرـمـىـ وـالـزـيـادـىـ وـالـرـيـاشـىـ ،ـ ثـمـ ذـكـرـ أـبـاـ حـاتـمـ سـهـلـ بـنـ مـحـمـدـ السـيـجمـتـانـىـ ثـمـ أـبـاـ عـهـدـانـ الـمـازـنـىـ وـابـنـ أـخـىـ الـاصـمـعـيـ وـاحـمـدـ بـنـ حـاتـمـ الـبـاهـلـيـ ،ـ ثـمـ أـبـاـ العـبـاسـ الـمـبرـدـ مـحـمـدـ بـنـ يـزـيدـ ،ـ ثـمـ تـلـامـيـدـ الـمـبرـدـ ؛ـ الـزـجاجـ وـابـنـ اـنـسـرـاجـ وـمـبـرـمانـ ،ـ ثـمـ

(١٤) مراتـبـ الـجـوـيـينـ ٢٦ ٠

(١٥) نفسه ٢٧ ٠

(١٦) نفسه ٣٧ ٠

(١٧) نفسه ٧١ ٠

تلاميذ أبي حاتم ، ابن دريد وابن قتيبة ، وكان هؤلاء خاتمة هذه الطبقة .
وكانت هذه الطبقة خاتمة الطبقات البصرية .

ثم عرج على الكوفيين فعرض من كان منهم بازاء هذه الطبقة ، فذكر الفراء وعلي بن المبارك الاحمر وعلي بن حازم اللحياني وأبا عمرو الشيباني، ومحمد بن زياد الاعرابي ، والقاسم بن سلام صاحب (الغريب المصنف) وسلمة ابن عاصم راوية الفراء وناقل علمه ، ويعقوب بن السكري ، واحمد بن يحيى ثعلب . ثم المفضل بن سلمة الذي أخذ عن ابن السكري وثعلب ، والذي وصفه أبو الطيب بالمخليط المتعصب ، ثم القاسم الانباري والد أبي بكر بن الانباري . وبثعلب وابن السكري تختتم هذه الطبقة .

ورأى أبو الطيب اللغوي أن العلم انتهى إلى هؤلاء من أهل المصريين « ولا علم للعرب إلا في هاتين المدينتين »^(١٨) .

ثم أخذ أبو الطيب يستعرض الامصار الأخرى ، فذكر المدينة ، ونفى أن يكون بها امام في العربية ، والذين ذكرهم من رجالها هم : عيسى بن يزيد المعروف بابن دأب ، واتهمه بوضع الشعر واحاديث السمر ، والشرقي بن القطامي ، ووصفه بالكذاب ، وعلى الجمال ونسب إليه كتابا في النحو قال : انه لم يكن شيئا .

وذكر مكة ، ونفى أن يكون بها امام أيضا إلا رجلا من الموالى يدعى ابن قسطنطين ، وكان يشدو شيئا من النحو ولكنه قدم إلى البصرة وسمع النحو فطرح ما كان صنف فيه ، ثم وضع شيئا لا يساوى شيئا ، على حد تعبير أبي الطيب .

(١٨) مراتب النحوين ٩٨ .

وذكر بغداد فوصفها بأنها مدينة ملك لامدينة علم ، وأن أهلها - حاكيا عن أبي حاتم - « حشو عسكر الخليفة ، لم يكن بها من يوثق به في كلام العرب ، ولا من ترتضى روايته ، فإن أدعى أحد منهم شيئاً رأيته مخلطاً صاحب تطويل وكثرة كلام ومكابرة »^(١٩) .

ولم يواصل أبو الطيب تطوافه في بغداد في أثناء العصر الذي ولي عصر المبرد وثعلب ، ولم يشر إلى رجال الجيل الذي نتحدث عنه ، فلم يعرض لتلاميذ ثعلب والمبرد من خلط المذهبين ، كما فعل ابن الأندیم ، ولم يذكر من تلاميذ المبرد الذين لازموه ولازموا مذهب البصريين كالزجاج وابن السراج ومبرمان .

ولعل أبا الطيب كان ينظر إلى تلاميذهما الذين أخذوا عنهما أنهم مخلطون أصحاب تطويل وكثرة كلام ، ولم ير فيهم أحدا يقف بازاء من ترجم لهم من أعمال المصريين .

ويغلب على الظن أنَّ أبا الطيب كان قد وهم فلم يفهم ما كان يعنيه أبو حاتم ، وظن أنَّ كلامه كان موجهاً إلى الجيل الذي أعقب جيل المبرد وثعلب ، ولا أظن أبا حاتم كان يعني ما ذكر أبو الطيب أنه كان يعنيه ، لأنَّ أبا حاتم المتوفى سنة ٢٥٥ للهجرة حين وصف البغداديين بأنهم حشو عسكر الخليفة إنما كان يغمس الكسائي وتلاميذه ، والفراء وتلاميذه ، ولعل أبا حاتم لم ير أحداً من تلاميذه المبرد وثعلب الذين كانوا يخلطون المذهبين بالأخذ عنهما ، أو لم يسمع بأحد منهم .

ولا أريد هنا مناقشة أبا الطيب في اهتمام الدارسين الذين خلطوا المذهبين ، وهم الجيل الذي أخذ عن أبي العباس المبرد ، وأبي العباس ثعلب . ولكنني أريد القول أنَّ أبا الطيب كان قد عاصر كثيراً من أولئك الذين قيل أنهم

(١٩) مراتب النحوين ١٠١ .

خلطوا المذهبين ، ولكنه لم يشر اليهم على أنهم صریحون بذلك . . . فجئ نسخة
الدرس اللغوي والنحوی نهجاً جديداً ، كما اراد المحدثون في زمانهم أن مقاييس
ابن النديم في الفن الثالث من المقالة السابعة التي شاءوا تغييرها أصلی بعثت
المذهبين .

وأبو بكر التزبيدي (ت ٢١٦هـ) كان قد أرجم ناجيهم وأبيهم وأصحابهم
منهم ، مستعرضاً الأقطار الإسلامية ، ومرأة اجتماعية من أمصارها . متبعاً مسيرة
علم العربية مذ بدؤه إلى الوقت الذي عاش فيه .

وقد صنف علماء العربية صنفين ؛ نحويين ولغوين ، وقد بدأ بانتحاويين
ثم أعقبهم باللغويين ، فعل ذلك في كل مصر على حدة ، وقدم أبصريين من كلا
الصنفين «لتقدمهم في علم العربية ، رسبيتهم إلى الثنائين فيها» (٢٠) . وصنفهم
في طبقات :

طبقة أبي الأسود الدؤلي ، وطبقة نصر بن عاصم الميسي ، وطبقة ابن أبي
عمر ، ومن فيها : عبدالله بن أبي اسحاق الحضرمي ، وطبقة أبي عمر وبن
العلاء ، ومن فيها : أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد الله عبيد المسرور بالأخفش
الكبير ، وعيسي بن عمر . وطبقة الخليل بن اسحاق وذكر فيمن ذكر حماد بن
سلمة ويونس بن حبيب . وطبقة النضر بن شمبل ، وذكر فيمن ذكر عيز بن
سيبويه والأخفش سعيد بن مساعدة وانجرمي . وطبقة أبي عثمان المازني ، ورمن
كان فيها أبو حاتم السجستاني والرياشي وقطرب . وطبقة أبي العباس المبرد
وطبقة أصحاب المبرد ، وذكر منهم الزجاج وابن السراج ومبرمان وابن درستويه ،
وعلي بن سليمان الأخفش الصغير الذي عده ابن النديم فيمن خالص المذهبين .
وابا بكر بن شقير ، وابا بكر بن الخياط اللذين عدهما السيرافي وابن النديم

(٢٠) طبقات النحويين ١٠ .

فيمن خلط المذهبين . وطبقة اصحاب الزجاج ، وفيها أبو القاسم الزجاجي الذي عده ابن النديم فيمن خلط المذهبين ، وأصحاب السراج وفيهم السيرافي والرمانى والفارسي ، واصحاب علي بن سليمان الأخفش ، واصحاب ابن درستويه .

هؤلاء هم البصريون في تصنيف الزبيدي ، بدئوا بأبى الأسود وختّموا بتلاميذ المبرد وتلاميذ تلاميذه ، ومنهم من كان قد تلمذ لأبى العباس ثعلب كأبى بكر بن شقير ، وأبى بكر بن الخياط ، وأبى الحسن علي بن سليمان المعروف بالأخفش الصغير .

ثم عرج على الكوفة وتتبع مسيرة الدرس النحوى فيها ، وصنفها طبقات أيضاً كما فعل في النحاة البصريين ، وكانت الطبقات الكوفية عنده: طبقة الرواسى وмен فيها : معاذ الهراء . وطبقة الكسانى ، وطبقة الفراء ، ومن فيها القاسم ابن معن وعلي بن المبارك الأحمر وهشام بن معاوية ، وطبقة أصحاب الفراء، سلمة ابن عاصم وأبو عبدالله الطوال ، ومحمد بن قادم . وطبقة أصحاب سلمة وفيها أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، وطبقة أصحاب ثعلب وفيها هارون بن الحائى وأبو موسى النحاضن وأبو الحسن بن كيسان وأبو بكر بن الأنباري وأبو عبد الله نبطويه .

هؤلاء هم النحاة الكوفيون فى تصنيف الزبيدي ، بدئوا بأبى جعفر الرواسى ، وختّموا بأصحاب ثعلب . وكان من أصحاب ثعلب الذين ينتتمون إلى الكوفيين عند الزبيدي من كان ابن النديم يعدّهم فيمن خلط المذهبين ، لأنهم أخذوا عن المبرد وثعلب ، وهم : أبو موسى النحاضن ، وأبو الحسن بن كيسان وأبو عبدالله نبطويه .

فالزبيدي اذن لم يكن يرى ما رأه ابن النديم ، ولا جعل من تلاميذ المبرد وثعلب طبقة على حدة سلكت فى الدرس النحوى نهجاً جديداً على انتخاب مزايا المذهبين ، كما أراد المحدثون أن يفهموه .

واذ انتهى الزبيدي^{٢١} الى هذا واصل استعراضه لاعلام الدرس النحوي من غير العراقيين ، فتناول بالدرس طبقات النحوين في مصر فذكر فيمن ذكر أبا العباس بن ولاد وأخاه أبا القاسم بن ولاد وأبا جعفر بن النحاس ، ثم طبقات النحوين في القرويين . وذكر فيمن ذكر أبا مانك انثرا ماح وعياض بن عوانة بن الحكم ، وابراهيم بن قطّن المهرى ، وأبا عبدالله حمدون بن اسماعيل ، وأبا محمد المحفوف وغيرهم ، ثم طبقات النحوين واللغويين في الأندلس وبدهم بأبي موسى الهواري ، وختهم بمحمد بن يحيى الرباحى انى كان الزبيدي واحدا من تلاميذه .

وأبو عبد الله المرزباني (ت ٣٨٤هـ) كان قد ترجم للدارسين في أمصار العراق المعروفة : البصرة والكوفة وبغداد ، وصنفهم ثلاث جماعات :

الجامعة البصرية، وقد بدأها بأبي الأسود ، وختمتها بعمرو بن شيبة ، وترجم بينهما لجامعة كبيرة من الدارسين من نحوين ولغوين وأدباء ، ذكر فيمن ذكر منهم الخليل بن أحمد ، والاصمعي ، وأبا عبيدة . ومحمد بن سلام؛ وأبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ .

والجامعة الكوفية ، وقد بدأها بقبيصة بن جابر الأسدى الكوفي أحد فصحاء العرب ، وختمتها بابن الأعرابى ، وترجم بينهما لجامعة كبيرة من الدارسين أيضاً ومنهم قراء وشعراء ورواة ولغويون و نحويون وأمثال أبي عمرو عامر بن شراحيل الشعبي ومحمد بن السائب الكلبي وحمزة بن حبيب الزيات وحمد الرواية والمفضل الضبي والكسائي والفراء .

والجامعة البغدادية ، وقد بدأها بأبي عبدالله محمد بن أسحاق بن يسار ، وختمتها بأبي بكر محمد بن يحيى انصولي ، وذكر بينهما جماعة من الدارسين يتفاوتون تخصصاً ومذهبها أمثال الواقدى وأبى عبيدالقاسم بن سلام وابن السكيت

(٢١) انظر في «طبقات النحوين» للزبيدي .

وأبى العباس المبرد وأبى العباس ثعلب ، وعلي بن سليمان الأخفش وابراهيم ابن السرى الزجاج ، ومحمد بن السرى السراج ، وابن دريد ، وأبى بكر بن الأنباري (٢٢) .

هذا هو تصنيف المرزباني للدارسين فى هذه الأمصار الثلاثة ، وهو تصنيف مبني على أساس الوطن الذى نشأ فيه كل فريق على حدة أو وفد إليه من مصر آخر ، فلام يقصد المرزباني اذ ذكر الجماعة البغدادية الى أن يذكر جماعة من الدارسين جمعهم مذهب معين ، وانتظمتهم طريقة معينة ، وانما كان يقصد الى ذكر الدارسين الذين وفدا الى بغداد وأقاموا فيها . والذين ولدوا ونشئوا فيها ، ولذلك ذكر فيهم ثعلبا وأبن الأنبارى من الكوفيين ، والمبرد والزجاج وابن السراج من البصريين مع ما بين مذهب الكوفيين ومذهب البصريين من اختلاف ، وغير خاف أن ثعلبا وتلميذه ابن الأنباري كانا من شيوخ النحو الكوفي ، وأن المبرد والزجاج وابن السراج وهم ببغداديون أيضا كانوا من شيوخ النحو البصري .

وعلى هذا لم يكن المرزباني يشير اذ صنف النحاة الى بصريين وكوفيين وبغداديين : الى أن هناك جماعات من الدارسين متفاوتة رأيا ومذهبها ، ولم يذهب الى مثل ما زعمه المحدثون من وجود مذهب نحوى ثالث هو مذهب البغداديين الذين كانوا يخلطون المذهبين .

ومن استعراض هذه المصنفات التي عرضت لطبقات النحاة يبدو لنا واضحا أن القول بوجود مذهب ثالث انما هو ضرب من الوهم جرّهم اليه :

١ - ما ذكره ابن النديم في فهرسته .

٢ - وشيوخ اسم البغداديين بازاء اسم الكوفيين والبصريين .

اما ما ذكره ابن النديم فلا ينهض دليلا على سلامة مزاعم المُحدّثين . لأن ابن النديم في تصنيفه النحاة واللغويين الى بصريين وكوفيين وجماعة ثالثة خللت

(٢٢) انظر في «نور القبس» للمرزباني .

المذهبين لم يكن يعني ما يعنيه المحدثون ، ولم يشر الى أنَ الدارسين الــين خلطوا المذهبين كانوا قد اتخذوا لهم مذهبًا نحوياً متميزة يقف بازاء المذهبين .

ويكفي للاقتناع بهذا أن ابن النديم كان قد جعل ابن قتيبة على رأس هؤلاء . وكان ابن قتيبة من الدارسين الذين أقاموا في بغداد وعاصروا أبا العباس ثعلبا ، ولكنه لم يأخذ عن ثعلب ولا عن أحد من أصحابه ، ولم تذكر كتب الطبقات في شيوخه الذين أخذ عنهم واحداً من الكوفيين ، إنما كان أخذه عن البصريين ، فقد أخذ النحو عن الرشى . ولللغة عن أنسجستانى ، وكلاهما بصرى عرف بالتعصب لمذهب البصريين على مذهب الكوفيين ، ولكن ابن قتيبة ، بالرغم من ذلك ، كان يحكى في كتبه عن الكسائى والفراء وأصحابهما ، وكانت حكاياته عنهم مطعناً عليه ، وكان الدارسون البصريون يحملون عليه ويُضعّفون كتبه، لأنَه - فيما كانوا يرون ، خلط فيها بحكايات عن الكوفيين « لم يكن أخذها عن ثقات وكان يتسرّع في أشياء لا يقوم بها ، نحو تعرّضه لتأليف كتابه في النحو ، وكتابه في « تعبير الرؤيا » وكتابه في « معجزات الأنبياء » صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آنَه » و « عيون الأخبار » و « المعارف » و « الشعراة » و نحو ذلك مما أزرى به عند العلماء ، وإنَّ كان نفق بها عند العامة ومن لا بصيرة له » (٢٣) .

ويغلب على الظن أنَّ ابن النديم وغيره رأوا من ترخص هذا الجيل في الرواية عن الكوفيين بادرة لم يألفوها من قبل فلم يُعرف أحد من علماء أهل البصرة كان يأخذ عن أحد من علماء الكوفة ، أو يحكى عنه غير أبي زيد الأنصاري الذي انفرد بالرواية منهم والاكثر من الحكاية عنهم ، وكان يروى شعر القصائد عن المفضل الضبي الكوفي ، وقد جاء في مقدمة النوادر أنه « ما كان فيه من شعر القصيد فهو سمعي من المفضل بن محمد الضبي ، وما كان من اللغات وأبواب الرجز فذلك سمعي من العرب » (٢٤) .

(٢٣) أبو الطيب اللغوى - مراتب النحوين ٨٥ القاهرة .

(٢٤) كتاب النوادر ص ١ .

أما بعد أبي زيد فكانت حملات البصريين على الكوفيين تحول دون اقدام البصريين على الأخذ منهم ، لأنهم في نظرهم « حشو عسكر الخليفة ، لم يكن بها من يوثق به في تلاميذ العرب ، ولا من يرتضى روايته »^(٢٥) . أو « أنتم كانوا يأخذون اللغة عن أعراب الجاهلية الذين كانوا ينزلون في سواد بغداد وريفها»^(٢٦) ، على حين أن البصريين ، فيما يزعمون ، إنما يأخذون اللغة « عن حرثة الضباب وأكلة اليرابيع»^(٢٧) أي لم يأخذوا إلا عن العرب المؤتوق بفصاحتهم وسلامة لغتهم .

وازد كان ابن قتيبة يحكى في كتبه عن الكوفيين كانت كتبه مطروحة في خار الخاصة من المدارسين ، نافقة عند العامة ، وعند من لا بصر له في العلم . على حد قول أبي الطيب اللغوي^(٢٨) .

ولعل أبا الطيب كان يرى الأخذ عن الكوفيين ضعفا في العلم وتخليطا ، فلم يكن للجيل الذي كان يخلط المذهبين شأن عنده ، فلم يعرض لهم ، ولم يصنفهم مراتب او طبقات كما فعل مع من سبقهم من اعلام البصريين والكوفيين .

وفي هذا الموقف الذي وقفه أبو الطيب كثير" من التعصب الذي لا يليق بالعلماء ، وفيه اغفال ندارسين من بينهم علماء أخذ هو عنهم . وتلمنذ لهم كأبي عمر الزاهد ، وأبي بكر محمد بن يحيى الصوالي . وواذا كان أبو عمر الزاهد من الملازمين . مذهب الكوفيين فان أبا بكر الصوالي كان قد تلمنذ لأبي العباس المبرد وأبي العباس ثعلب^(٢٩) . وكان بهذا مِمَّن خلط المذهبين . وواذا كان أَخْذُ الدارس عن الكوفيين عنده تخليطا فكيف يفسر لنا أخذه عن أبي عمر الزاهد^(٣٠) ، وأبي بكر

(٢٥) مراتب النحوين ٧٤ .

(٢٦) انظر : نور القبس ٢٨٧ .

(٢٧) أخبار النحوين البصريين ٦٨ القاهرة .

(٢٨) مراتب النحوين ٨٥ .

(٢٩) نزهة الالباء ٤٣٣ .

(٣٠) بغية الرعاة ٣١٧ .

الصولى^(٣١) ، واذا كان سبب تضعيه ابن قتيبة أنه حکى عن کوفيين ثقات فانه لم يبيّن لنا الموثوق بهم من غير الموثوق بهم من الكوفيين ، والذى يقف على الكوفيين الذين حکى عنهم ابن قتيبة يجد من بينهم الكسائى^١ ، والفراء، وثعلبا ، فإذا لم يوثق بهؤلاء فبمن يوثق من^٢ سواهم ؟

لاشك أن أبا الطیب كان مضطربا في أحكامه ، متحاما على ابن قتيبة بدون سبب معروف ، متعصبا على الكوفيين تعصبا يحمل الدارس على أن يعيد النظر في سلامته أحكامه ، جاحدا ماقدمه الكوفيون للدرس النحوي^٣ واللغوى من غناء ، وما تعهد به أستاذه الكوفي من رعاية ، واذا كان هذا موقفه من الكوفيين وممن يحکى عنهم فكيف يوفق بين ذلك وأخذه عنهم بتلذته لابي عمر الزاهد الكوفي ، ولابى بكر الصولى الذى أخذ عن البصريين والکوفيين^٤؟؟

ومهما يكن من أمر فان ما جاء في فهرست ابن النديم ، وتردد في أقوال دارسين آخرين كأبى سعيد السيرافي في (أخبار النحوين البصريين) وأبى القاسم الزجاجي^٥ في (الايضاح) وابى البركات الانباري في (نزهة الاباء) وغيرهم كان منطلقا للدارسين المحدثين الى ما زعموا من وجود مذهب نحوى^٦ جديد هو المذهب البغدادى^٧ القائم ، فيما صوروا ، على أساس من انتخاب مزايا كل المذهبين النحوين الكبيرين وتوحيد هذه المزايا في مذهب منتخب مختار ، وهو زعم لم يتجاوز حدود الفكرة المجردة التي تفتقر إلى التطبيق ، غير أن^٨ النظرة الفاحصة فيما جاء في كلام أصحاب الطبقات ، والمترجمين لاعلام الدرس النحوي^٩ تنتهي بالدارس إلى أن^{١٠} خلط المذهبين الذي جاء نتيجة لتلاقي المذهبين في مجالس الدرس في بغداد لم يكن يعني احداث مذهب نحوى^{١١} ، أو رسم خطة لرج المذهبين ، ولكنه كان يعني ترخيص الدارسين في الاخذ عن الفريقيين بعد زوال أسباب التعصب المذهبى^{١٢} والاقليمى^{١٣} . ولا يعني ترخيص الدارسين في

^(٣١) نزهة الاباء ٣٤٣ .

الرواية عن هؤلاء وهؤلاء غير محضر التلاقي، واتصال الآراء والأخذ ببعضها للتعبير عن رأى خاص في الأحوال التي تقتضي ابداء هذا الرأى ، كأن يكون تعبيراً عن وجهة نظر خاصة وجدت في نفس الدارس قبولاً ، وقد يكون هذا الدارس بصرىً تتفق وجهة نظره مع وجهة نظر كوفي في هذه المسألة او تلك ، وقد يكون كوفياً يلتقي مع هذا البصري في هذا القول أو ذاك ، ومثل هذا الخلاف قد يقع بين تلاميذ المدرسة الواحدة فلا يخرج بهم عن حدود المذهب الذي ينتسبون إليه .

فالذين خلطوا المذهبين ما زالوا ينتسبون إلى المذهب الذي انتسبوا إليه سواء أكان هذا المذهب كوفياً أم بصرياً ، ولذلك نرى السيرافي في « أخبار النحوين البصريين » لم يتردد في عد ابن كيسان من الدارسين البصريين، ومن أصحاب أبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، وترجمته له في النحاة البصريين . ولم يشنه عن هذا أنه كان يخلط المذهبين . كما صرحت بذلك ، كما لم يتردد في عد أبي بكر بن السراج في الدارسين البصريين ، وجعله رئيساً لنتهت إليه الرئاسة في النحو البصري بعد الزجاج وابن كيسان ، ولم يحل دون ذلك أنَّ كان ابن السراج يحكى في « الأصول » عن سائر الكوفيين^(٣٢) .

ولم يُخرج القاسم الزجاجي عن دائرة النحو البصري أنَّه أخذ عن كوفيين وبصريين ، وكان يقول : « فمن العلماء الذين لقيتهم وقرأت عليهم شيخنا أبو اسحاق الزجاج رحمة الله ، وأبو جعفر محمد بن رستم الطبرى غلام أبي عثمان المازنى وأبو الحسن بن كيسان، وأبو بكر احمد بن العباس المعروف بابن شقير، وأبو بكر محمد بن منصور المعروف بابن الخياط، وأبو بكر بن السراج ، وأبو الحسن على بن سليمان الأخفش . ومن علماء الكوفيين الذين أخذت عنهم أبو الحسن ابن كيسان ، وأبو بكر بن شقير ، وأبو بكر بن الخياط لأن هؤلاء قدوة اعلام

(٣٢) أخبار النحوين البصريين ٨٠ ، ٨١ .

في علم الكوفيين ، وكان أول اعتمادهم عليه ثم درسوا علم البصريين بعد ذلك
فجمعوا بين العلمين ، وأبو بكر بن الأنباري وابو موسى الحنفية امضوا
و ٠ ٠ ٠ « (٣٣) ٠

فمن أساتذة الزجاجي كما يدل عليه النص من كان بصرى المذهب، شدیده
اللزوم له كالزجاج والطبرى وابن السراج ، ومنهم من كان كوفى المذهب
ملازما لطريقة الكوفيين كأبى بكر بن الأنبارى ، ومنهم من كان يخلط المذهبين
كابن كيسان وعلى بن سليمان الأخفش ، ومع ذلك لم يخرج عن كونه بصرى
المذهب ومن أشد الدارسين لزوماً لذهب البصريين ٠

ولعل تعبيره عن خلط المذهبين بالجمع بين العلمين أقوى دلالة على ما نحن
بصدق تقريره ، لأن المفهوم من قوله : « فجمعوا بين العلمين » إنما هو خلط
المذهبين خلطا ممحضا ، ليس فيه ايماء الى انتخاب مزايا المذهبين . وتوحيدها
في مذهب جديد مختار ، كما صوّر المحدثون ٠

واما شيوع اسم البغداديين بازاء اسم الكوفيين والبصريين فلا يؤيد ما
ذهبوا اليه أيضا ، لأن اسم البغداديين قديم بدأ يشيع بين الدارسين منذ أن
عرفت مجالس الدرس في بغداد دارسين يختلفون إليها شيوخا وطلابا ٠

اما الاسم الذى ينبغي ان يبحث فى نشأته فهو اسم الكوفيين ، لأن هذا
الاسم انما يطلق على الدارسين الذين ينتمون الى مذهب كوفى فى النحو
يقف بازاء المذهب البصرى ، ومذهب الكوفيين لم ترسم خطوطه فى السکوفة
وانما نشأ وشب ونضج فى بغداد ، وعلى يد الكسائي أو لا ثم على يد
الفراء ثانيا ٠

(٣٣) لا يضاح ٧٨ ، ٧٩ ٠

(٣٤) مراتب النحوين ٢٤ ٠

اما المارسون الكوفيون الذين ينتسبون الى المِصْر المعروف ، ويقيمون فيه فلم يكونوا ليneathضوا بهذا العبء ، ولم يَمْنَ لهم تأثير خاص فيمن تلمذ لهم، رلا حفظت كتب النحو لهم اقوالا وآراء ، فاذا أريد الى تاريخ الدرس النحوي الذي سمي كوفيا فانما يؤرخ باعمال الكسائى والفراء واصحابهما وتلاميذهما، وهؤلاء هم اعلام هذا الدرس فى بغداد . واذا كان الكسائى والفراء كوفييين مولدا ومنشأ فلم يتتصدوا حلقات الدرس فى الكوفة ، ولا عرفا بين النحاة قبل اقامتهما فى بغداد وتصدرها مجالس الدرس فيها .

اما ما زعمه أصحاب الطبقات الذين ارخوا للنحاة من عد الرواسى والهراء من النحاة الكوفيين فينطلق من فهم ساذج لمعنى المذهب ، ولا ينبغي أن يذكر الرواسى او الهراء الا حين يؤرخ للكسائى والفراء ، ولبداية اشتغالهما فى العربية ، والعربية فى عهد الرواسى والهراء رواية لغة وشعر واخبار وقراءة ومعرفة محدودة بالدرس النحوى والصرفى .

أما ابو جعفر الرواسى فهو محمد بن الحسن ، أخذ العربية عن ابى عمرو بن العلاء^(٣٤) ، او عيسى بن عمر^(٣٥) ، ونسبت اليه تصانيف ، وانشهر ما نسب اليه من تصانيف كتاب قيل ان اسمه (الفيصل) ، وحُكِي عنه أنه قال : « ارسل الى الخليل بن أحمد يطلب كتابي ، فبعثته اليه فقرأه ووضع كتابه »^(٣٦) وزاد السيوطى فأردف هذا قوله « فكل ما فى كتاب سيبويه (وقال الكوفي) كذلك فانما عنى الرواسى»^(٣٧) .

ونبحث عن هذا الكتاب فلا نجد له أثرا ، ولا نقرأ نصاً منقولاً منه، وحياة الرواسى العلمية مجهولة لا نعرف لها اجمالاً ولا تفصيلاً . اما ما اضافه السيوطى على النص فوهم وتخليط ، لانه ليس فى كتاب سيبويه اشاره الى قول منسوب الى هذا الكوفي .

(٣٤) مراتب النحويين ٢٤ .

(٣٥) طبقات النحويين ١٣٥ .

(٣٦) النزهة ٦٦ مصر .

(٣٧) بغية الوعاة ٣٩٣ .

واما معاذ الهراء فهو عم ابى جعفر الرواسى ، ولم أقف على من تلمذ
هو له ، ولم يصل الينا شيء من اقواله فى النحو او الصرف يجعله من
النحاة او أهل التصريف ، غير ان السيوطى كان قد لمح ، على حد وهمه ،
أن معادزا هو أول من وضع (التصريف) بقول نسب اليه ، فقد سمعه ابو مسلم
مؤدب عبد الملك بن مروان « يقول لرجل : كيف تقول من توزّهم أزما : يَا
فاعل افعل »^(٣٨) ، وهو وهم وتخليط ايضا .

وليس افتعال الاخبار بعزيز على اولئك الدارسين الجماعين **الذين**
لم يهمّهم سلامة النص بمقدار ما يهمّهم سلامة السند ، كالسيوطى وامثاله
الذين تلقوا العلم في عصر كان للدراويش واصحاب الطرائق شأن كبير فيه .

وليس غريباً أن يجوز على المدارسين المتأخرین الذين لم يتحرروا من تأثير ذلك العصر وآوهامه واساطيره ، كصاحب (نشأة النحو) ، وصاحب (فى أصول النحو) وصاحب (مدرسة البصرة النحوية) وامثالهم الذين لقيت مصنفاتهم رواجاً في مجالس الدرس في العصر الحديث ، ولكن الغريب أن يجوز ذلك على دارسين عرفوا في بيئات الدرس الحديث نقاداً ومنهجيين كالدكتور يوسف خليف وامثاله من اعلام الدرس المعاصر ، فقد أخذوا يرددون الاوهام ، وكأنها من الحقائق التي ارتفعت عن النقد .

لقد عرض الدكتور يوسف خليف في كتابه (حياة الشعر في الكوفة) لتاريخ النحو في إيجاز مرداً مقالات القدماء بدون فحص ولا نقد، ولم يشفع له عرضها على صورة احتمالات، لأنها انتهى إلى مثل ما انتهى إليه القدماء.

فالرواسي عند «استاذ الكوفة الاول»^(٣٩) .

والرواسي عند «مضى يصنف حتى أتم مجموعة غير قليلة وصلت إليها اسماؤها في كتب الطبقات»^(٤٠) .

وكتب الرواسي عند «يبدو أنها كانت من المصادر التي اعتمد عليها سيبويه في تأليف كتابه»^(٤١) .

وسيبويه، عند «اذا ذكر في كتابه (الковفي) فانما يعني به اباجعفر الرواسي»^(٤٢) .

ومعاذ الهراء، عند «زميل الرواسي» في الاستاذية الاولى لمدرسة الكوفة^(٤٣) .

إلى غير ذلك من الأقوال التي لا ترتفع عن مستوى الاوهام التي تناقلتها كتب الطبقات، وأضفت عليها حلباباً مهلهلاً من (الحقيقة).

وبالرغم من ان الدكتور (خليف) لم يعرف من مصنفات الرواسي الا اسماءها زعم «انها كانت من المصادر التي اعتمد عليها سيبويه في تأليف كتابه»^(٤٤) .

(٣٩) حياة الشعر في الكوفة ٢٦٢

(٤٠) ص ٢٦٣ .

(٤١) ص ٢٦٣ .

(٤٢) ص ٢٦٣ .

(٤٣) ص ٢٦٣ .

(٤٤) ص ٢٦٣ .

وجاءت عليه الْبُهْرَجَةُ التِّي زَعَمَتْ أَنْ «سِيبُوِيَهُ إِذَا ذُكِرَ فِي كِتَابِهِ
الْكُوفِيِّ» فَانِّمَا يَعْنِي بِهِ أَبَا جَعْفَرَ الرَّوَاسِيَّ»^(٤٥) .

عَلَى حِينَ أَنَّ مِثْلَ هَذَا الرُّزْعَمَ لَا اسْسَاسَ لَهُ مِنَ الْوَاقِعِ لَأَنَّ سِيبُوِيَهُ لَمْ يَقُلْ فِي
كِتَابِهِ : «قَالَ الْكُوفِيِّ» ، وَلَمْ نَجِدْ فِي كِتَابِهِ إِشَارَةً إِلَى قَوْلِ مُنْسَوبٍ إِلَيْهِ هَذَا
الْكُوفِيِّ ، وَقَدْ سَبَقَ أَنَّ إِشَارَةً إِلَى بَطْلَانِ هَذَا الْوَهْمِ أَكْثَرُ مِنْ دَارِسٍ ، وَنُشِرَ
ذَلِكَ فِي أَكْثَرِ مِنْ بَحْثٍ .

وَرَبِّمَا أَوْقَعَ الدَّكْتُورُ (خَلِيفَ) نَفْسَهُ فِي تَنَاقُضٍ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ ، ذَلِكَ أَنَّهُ
بَعْدَ أَنْ أَثْبَتَ لِلرَّوَاسِيِّ تَلْكَ النِّزْلَةَ فِي الْعِلْمِ وَالرَّئَاسَةِ ، وَجَعَلَهُ نِيدًا لِلْخَلِيلِ
بِتَلْمِيذِهِ لَعِيسَى بْنِ عُمَرَ ، وَجَعَلَ مَصِنْفَاتَهُ التِّي لَمْ يَعْرِفْ إِلَّا أَسْمَاءَهَا مَصَادِرَ
أَفَادَ الْخَلِيلَ مِنْهَا ، وَاعْتَمَدَ سِيبُوِيَهُ عَلَيْهَا فِي تَأْلِيفِ كِتَابِهِ . . . بَعْدَ أَنْ أَثْبَتَ
الْدَّكْتُورُ (خَلِيفَ) ذَلِكَ أَخْذَ يَعْلَلُ خَرْوَجَ الْكَسَائِيَّ إِلَى الْبَصْرَةِ لِيَأْخُذَ النِّحْوَ عَنْ
الْخَلِيلِ بِأَنَّ «عِلْمَ الْكُوفَةِ» لَمْ يَشْبِعْ رَغْبَةَ الْكَسَائِيِّ وَتَعَطَّشَهُ» لِلْعِلْمِ ، وَلَمْ يُلْقِ
الْكَسَائِيِّ فِي الْبَصْرَةِ غَيْرَ الْخَلِيلِ . . .

فَمَاذَا وَجَدَ الْكَسَائِيُّ مِنْ عِلْمِ الْبَصْرَةِ وَعِلْمِ الْخَلِيلِ إِذَا كَانَ قَدْ تَلَمَّذَ
لِلرَّوَاسِيِّ الَّذِي أَفَادَ الْخَلِيلَ مِنْ كِتَابِهِ ، وَكَانَتْ كِتَبَهُ مِنَ الْمَصَادِرِ الَّتِي اعْتَمَدَ
عَلَيْهَا سِيبُوِيَهُ !!

وَلِمَاذَا كَانَ الْكَسَائِيُّ مُعْجِبًا بِالْخَلِيلِ وَعِلْمِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ هُمٌ ، بَعْدَ رَحْلَتِهِ
إِلَى بَوَادِي الْحِجَازِ وَنَجْدِ وَتَهَامَةِ ، إِلَّا الْبَصْرَةُ وَالْخَلِيلِ^(٤٧) ؟؟
وَلِمَاذَا لَزِمَ الْفَرَاءَ ، وَهُوَ النِّحْوُ الْعَظِيمُ ، الْكَسَائِيُّ ، وَانْقَطَعَ عَنِ الرَّوَاسِيِّ
وَكَانَ الرَّوَاسِيُّ قَدْ أَغْرَاهُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى بَغْدَادَ ، لِيَنْافِسَ الْكَسَائِيَّ ، لَأَنَّهُ أَمْيَزَ
مِنْهُ عَلَى حِدَّةِ قَوْلِ الرَّوَاسِيِّ ؟؟

(٤٥) حِيَاةُ الشِّعْرِ فِي الْكُوفَةِ ٢٦٣ .

(٤٦) ص ٢٦٣ أَيْضًا .

(٤٧) نَزَهَةُ الْأَلْبَاءِ ٨٣ ، ٤٨ . مَعْجمُ الْأَدَبِاءِ ١٣ / ١٦٩ .

(٤٨) نَزَهَةُ الْأَلْبَاءِ ٦٥ .

هذه الأسئلة تفرض نفسها على الدارس اذا كان بنجوبة من التقليد والاتباع ولكن الدكتور (خليف) ، فيما يبدو ، لم يرد في عرضه لهذه الأقوال ، واقحامه هذا الموضوع في (حياة انشعر في الكوفة) ، أن يميز الوهم من الحقيقة ، والخيال من الواقع .

وبعد أن وضعنا الرواسي والهراء في مواضعهما الحقيقية يبدو للدارس واضحًا أن مدرسة الكوفة النحوية، وهي تسمية متأخرة، لم تنشأ في الكوفة وأنما نشأت في بغداد، ولم يكن لها شيخ قبل اكتسائي والفراء، ز ابن الكسائي وانفراه وتعلبا نم يسمهم أحد من قدماء البصريين بالковيين وإنما كانوا يسمون بالبغداديين .

وقد سبق لي في كتابي (مدرسة الكوفة) أن أنتهيت إلى هذا ، وانني أؤكّد
الاستاذ الذي انتهت إليه الرئاسة في النحو في تاريخ الدرس النحوي هو
الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وأن رئاسة ما سمي بمدرسة ابصريه ومدرسة
الكوفة انما انعقدت في مجلس اتخيلل لأنبيه تلاميذه :

سيبويه الذى انتهت اليه رئاسة النحو فى البصرة بعد الخليل .

والكسائيُّ الذي أنتهت إليه رئاسة انتحو في بغداد بعد تلمذته لِلخليل
وبعد عودته من رحلته إلى البوادي التي كان قام بها بِتوجيهِه من الخليل .

فالكوفيون الذين يمثلون فريقاً منافساً للبصريين إنما بدأوا بالكسائيِّ الذي رسم خطوط المذهب الجديد ، وأرسى قواعد الدرس النحويِّ في بغداد . وأذا اشير إلى الكسائيِّ راصحابه وتلاميذه ، في المقدمة التي أخذوها بأيديهم — زمام الدرس النحويِّ في بغداد اشير إليهم على أنهم بغداديون أو عراقيون .

وإذا نسب الكسائي إلى الكوفة أحياناً فلأنه ولد في الكوفة ، ونشأ فيها وشهر بالقراءة والاقراء بين الدارسين فيها ، ولم يتعلم إلا على كثير^(٤٩) ، والإ بعد أن لزم مجلس الخليل ، واستقر عنده ، وارتحل إلى بوادي الحجاز ونجد وتهامة بتوجيه منه ، ولم يستقر به المقام في الكوفة بعد عودته من البصرة ، فقد كتب المهدى « باز عاجه من الكوفة »^(٥٠) ، ليقيم في بغداد يؤدب ولده ، ويذيع قراءاته ، ويخطط لمذهب جديد في اللغة والنحو .

فمني شاعت تسميته بالكوفي ، وصار هذا الاسم علماً لمذهب نحوي اتخذ له سبيلاً مستقلة عن مذهب البصريين ؟؟

من أجل أن نحدد الزمن الذي بدأت فيه هذه التسمية تشيع ، وتتردد على السنة الدارسين ، وتجري بها أقلامهم لابد أن نستأنس بأقوال المعاصرين من الدارسين البصريين الذين شهدوا مولد هذا المذهب ، ونموه ، ونضجه ، واستهانوا به بادئ ذي بدء ، ثم راعهم أن صار منافساً قوياً بيده أسباب القوة والحياة التي تضمن دوامه في تأدية رسالته ، وحاولوا جاهدين أن يغضوا من شأنه ، ويهونوا من قدره فلم تكتب لهم الغلبة ، وظلوا ينفسون هذه الحياة المتدفقة في الدرس البغدادي اذ بدأ الجمود يدب في أوصال مذهبهم .

وبلغ الأمر بالذين ستمهينون به ان تعصبوا عليه ، ودواها يشنون عليه الحملات بانتوهي من شأنه وتضعيفه ، ويحملون على شيوخه وتلاميذه ،

(٤٩) تاريخ بغداد ١١/٤٠٤ .

(٥٠) تاريخ بغداد ١١/٤٠٦ .

ويتهمونهم بافساد النحو ، وبأنهم يردون بالعلم الى أسفل على حد قول اليزيدي^{٥١} في الكسائي وأصحابه^{٥٢} . وبأنهم لم يكونوا شيئاً « وعلمهم مختلط بلا حرج ولا عذر الا حكايات عن الأعراب مطروحة »^{٥٣} على حد قول أبي حاتم في الكسائي وأصحابه والفراء وأصحابه .

وكان أبو حاتم السجستاني من أشد المتعصبين عليهم ، وأكثرهم اتهاماً لهم . وعلى كثرة أقوانه فيهم لم يسمّهم بالكوفيين ولكنـه كان يتحدث عنـهم على أنهـم بغداديون . جاء ذلك فيـ كلامـ لهـ يـعملـ فيـهـ علىـ الكـسـائـيـ والـفـرـاءـ وأـصـحـابـهـماـ ،ـ ويـقـولـ فيـهـ :ـ «ـ أـهـلـ بـغـدـادـ حـشـوـ عـسـكـرـ الـخـلـيـفـةـ ،ـ لـمـ يـكـنـ بـهـاـ مـنـ يـوـثـقـ بـهـ فـيـ كـلـامـ الـعـرـبـ ،ـ وـلـمـ يـرـتـضـيـ روـاـيـتـهـ ،ـ فـانـ اـدـعـىـ أـحـدـ »ـ مـنـهـمـ شـيـئـاـ رـأـيـتـهـ مـخـلـطاـ ،ـ صـاحـبـ تـطـوـيلـ ،ـ وـكـثـرـةـ كـلـامـ وـمـكـابـرـةـ ،ـ وـلـاـ يـفـضـلـ بـيـنـ عـلـمـاءـ الـبـصـرـةـ بـالـنـحـوـ وـبـيـنـ الـرـوـاسـيـ وـالـكـسـائـيـ ،ـ وـلـاـ بـيـنـ قـرـاءـ أـهـلـ الـحـرـمـينـ وـقـرـاءـ حـمـزةـ ،ـ وـيـتـحـفـظـ أـحـدـهـمـ مـسـائـلـ مـنـ النـحـوـ بـلـاـ عـلـمـ وـلـاـ تـفـسـيرـ ،ـ فـيـكـثـرـ كـلـامـهـ عـنـدـ مـنـ يـخـتـلـفـ إـلـيـهـ .ـ وـإـنـماـ هـمـ أـحـدـهـمـ أـذـاـ سـبـقـ إـلـيـ الـعـلـمـ (ـوـهـنـاـ بـدـأـ يـغـمـزـ الـفـرـاءـ)ـ إـنـ يـسـيرـ اـسـمـاـ يـخـتـرـعـهـ لـيـنـسـبـ إـلـيـهـ ،ـ فـيـسـمـيـ أـنـجـرـ خـفـضاـ ،ـ وـالـظـرـفـ الصـفـةـ ،ـ وـيـسـمـونـ حـرـوفـ الـجـرـ حـرـوفـ الصـفـاتـ ،ـ وـالـعـطـفـ النـسـقـ وـ (ـمـفـاعـيـلـ)ـ فـيـ الـعـرـوـضـ (ـفـعـولـانـ)ـ ،ـ وـنـحـوـ هـذـاـ مـنـ التـخـلـيـطـ^{٥٤} .ـ

(٥١) اليزيدي : هو أبو محمد يحيى بن الحفيظ اليزيدي ، لأن يقول في الكسائي وأصحابه : (أخبار البصريين ٤٤ . نزهة الالباء ١٠٨) .

كـنـاـ نـقـيـسـ النـحـوـ فـيـمـاـ مـضـىـ
فـجـاءـنـاـ قـوـمـ يـقـيـسـونـهـ
فـكـلـهـمـ يـعـمـلـ فـيـ نـقـضـ مـاـ
إـنـ الـكـسـائـيـ وـأـصـحـابـهـ بـرـقـونـ فـيـ النـحـوـ إـلـىـ أـسـفـلـ

(٥٢) مراتب النحوين ٧٤ .

(٥٣) مراتب النحوين ١٠١ ، ١٠٢ .

وقد سماهم أهل بغداد ، لأن المدرس في بغداد هو درسهم ، والمذهب الأرجح
فيها هو مذهبهم .

ويمضي بنا الزمن إلى أبي العباس المبرد ، وكان له الفضل في تعريف
البغداديين بنحو البصرة ومذهب البصريين ، لأنه النحويّ البصريّ الوحيدة الذي
استطاع أن يروج مذهب البصريين في بغداد ، ويندفع في الدارسين البغداديين علم
أهل البصرة ، لغتهم ونحوهم ، ويمكن لأسلوبهم العقلاني في معالجة موضوعات
النحو أن يتسرّب إلى عقول الدارسين في بغداد .

وكان يقصد إلى مقابلة البغداديين ومناظرتهم قصداً ، لتشييّط أقدامه في
أرض عزّتْ على أقدام غيره من قبل ، وكان أبو العباس ثعلب الذي انتبه إليه
الرئاسة في النحو منافسه القوي في بغداد .

غير أن المبرد استطاع ، بحذقه ومهارته في الجدل ، وحسن بيانه أن يحرز
للدروس البصريّ بعض الانتصارات الميدانية التي أعجب بها السذج من الدارسين ،
وان يستأثر بعض تلاميذ ثعلب ، ولكنه ، مع ذلك كان يحسب لعلم ثعلب وسعة
اطلاعه ، وقوة حفظه حساباً ، لأنّه كان أعلم الناس بعلم ثعلب وصدقه وتوثيقه
العلماء آياه ، وكان لا يخفى اعجابه ببعض من لا تسعفه القرية بالغضّ منه ،
وكان معجباً بكتاب (اصلاح المنطق) لابن السكّيت ، وكان يقول في تقويم هذا
الكتاب : ما رأيت للبغداديين كتاباً نيرا من كتاب يعقوب بن السكّيت في
المنطق » (٥٤) .

ويعقوب بن السكّيت من الدارسين الكوفيين ، ولم يسمّه بالковفيّ ، بل
سماه وسمى غيره من الدارسين الذين سمو بالkovfien بالبغداديين .

وربما حكى المبرد عن هؤلاء الكوفيين البغداديين بعض آرائهم ، فقد جاء في شرح الكافية ، في اثناء الكلام على (أن) المخفة : « وجوز الفراء وابن الانباري » وقوع المصدرية بعد فعل علم غير مؤول ، فيجوز أن يكون قوله :

فَلِمَا رأى أَنْ ثَمَرَ اللَّهُ مَالَهُ وَأَتَلَ مَوْجُودًا وَسَدَّ مَفَاقِرَهُ

من هذا ، ويجوز ان تكون مخففة من غير عوض ، كما حكى المبرد عن البغدادية [في الطبعة الحجرية : عن البغداديين] : عَلِمْتُ أَنْ تَخْرُجُ ، بالرفع بلا عوض « (٥٥) ٠

ومعنى حكاية المبرد عن البغدادية أو البغداديين أنه إنما يحكى عن معاصرين له ، أو متقدمين عليه، ويستبعد أن يكونوا من الجيل الذي خلط المذهبين ٠

هذا ولم يجر قلم المبرد في (المقتضب) باسم الكوفيين الا مرة واحدة (٥٦) ، أمّا فيما عدا ذلك فكان يشير إليهم ، اذا عرض لرأي لهم يناقشه بقوله: « وقال قوم » ، ونحوه ، او بقوله : « وبعض النحويين من غير البصريين»، او بقوله : ان « قوما يقولون ، الى غير ذلك من العبارات التي يريد بها الكوفيين ، ولا يسميه بهذا الاسم ٠

على أن ورود اسم الكوفيين مرة واحدة في كتابه لا يعني أنه كان يعرف هذه التسمية ، فقد يُحْمَل على أنه تصرف من النساخ أو من بعض التلاميذ الذين شاعت بينهم هذه التسمية ٠

ومن ذلك قوله في المقتضب ، في معرض الكلام في نصب المستقبل بدون (أن) : « وبعض النحويين من غير البصريين يعيز النصب على اضمamar (أن) ، والبصريون يأبون ذلك الا ان يكون منها عوض ، نحو الفاء والواو وما ذكرناه معهما » (٥٧) ٠

(٥٥) شرح الكافية للرضى ٢/٢٣٢ ٠

(٥٦) المقتضب ٢/١٥٥ ٠

(٥٧) المقتضب ٢/٨٥ ٠

و قوله في تعريف العدد : « اعلم ان قوما يقولون : اخذت اثنانة الدرهم
يافتى ، و اخذت الخمسة عشر الدرهم ، وبعضهم يقول : اخذت الخمسة عشر
الدرهم التي تعرف . وهذا كله خطأ فاحش »^(٥٨) .
والرأيان المذان ضعفهما هنا للكوفيين ، ولكنه لم يسمهم بالكوفيين ،
ولا بالبغداديين .

ونقف عند ابن قتيبة الذي كان قد اخذ عن أبي حاتم السجستاني ، ولم
يأخذ عن كوفيٍّ قط ، فلم نجد في شيوخه واحداً من الكوفيين ، الا انه
لم يقصر الحكاية على البصريين وحدهم ، بل كان يحكى عن الكوفيين ، ويحكى
عنهم كثيراً . وقد سبق ان استظهرنا أنَّ حكايته عن الكوفيين هي التي دفعت
ابن النديم الى ان يضعه مع الذين خلطوا المذهبين ، وهي التي جرَّت عليه
حملة ابي الطيب اللغوي بتضليل كتبه وتقليل شأنه .

كان ابن قتيبة يحكى عن الكوفيين فعلاً . كان يحكى عن الكسانى والفراء
وثعلب ، وقد تردد اسم الكسانى في كتابه (ادب الكاتب) نحو ثلاثة مرات ،
والفراء نحو ستين مرة ، وثعلب مرة واحدة ، وكان اذا أراد ان يحكى قوله
لامة الكوفيين قال : قال بعض البغداديين ، او : البغداديون يقولون
كذا وكذا ، او يرون كذا وكذا ، الى غير ذلك ، وهو يذكر اسم البغداديين
دون تحصيص .

ومن ذلك قوله : « اذا اردت ان تعرِّف عدداً تكثر الفاظه نحو ثلاثة
الألف وعشرين . اما الفراء وغيره من البغداديين فيجعلونه من غلطهم ، مثل
احلات السوق »^(٥٩) .

٥٨) المقتصب ٢/٧١٥ .

٥٩) أدب الكاتب ٣٩٠ بريل .

فقد جعل الأخفش ممثلاً للبصريين والفراء ممثلاً للبغداديين ، وذلك يؤيد
أن اسم الكوفيين لم يكن معروفاً بازاء اسم البصريين في زمانه .

من ذلك قوله : «ورثأت فلانا اذا قلت فيه مرثية . هذا قول البصريين
انف درهم ، وخمس مئة الف درهم الحقن الالف واللام في آخر لفظة منها
فتقول : « ما فعلت ثلاثة الف الدرهم ، وخمس مئة الف الدرهم ، هذا
مذهب البصريين ، لا بجيزون غيره . والبغداديون يجيزون : ما فعلت ثلاثة
الآلف الدرهم » (٦٠) .

والنحويون الذين يُعرفون العدد والمعدود هم الكوفيون .

ومن ذلك قوله : « قال البصريون : تقدير انسان : فِعْلَان ، زَيَّدَت
الياء في تصغيره ، كما زيدت في تصغر ليلة فقيل : لَيْيَلَة ، وفي تصغير
(رجل) ، فقيل : رُوَيْجِيل . وقال بعض البغداديين : الأصل فيه : انسيان
على افعلان ، فحذفت الياء استخفاها ، لكثره ما يجرى على المستفهم ، فـاذا
صغروه قالوا : أَنَيْسِيَان ، فردوها الياء » (٦١) .

ومقصود من البغداديين هنا هم الكوفيون ، لأن هذا الرأي الذي نسبه
ابن قتيبة إلى البغداديين كان غيره قد نسبه إلى الكوفيين ، فقد صرخ أبو
البركات الأنباري بـان مذهب الكوفيين هو : « ان الأصل في انسان : انسيان
افعلن من النسيان » (٦٢) .

وجاء في حاشية الصبان : « قال الكوفيون : انسيان تصغير انسان ،
لأن أصله : انسيان ، على وزن افعلان بكسر الهمزة والعين ، وإذا صُغِّرَ افعلان
قيل : افيعلان ، وهو مبني على قولهم : انسان مأخوذ من النسيان فوزنه افعان .
ومذهب البصريين انه من الانس ، فوزنه فِعْلَان » (٦٣) .

(٦٠) أدب الكاتب ٢٩٩ بريل .

(٦١) أدب الكاتب ٥١٤ بريل .

(٦٢) الانصاف - المسألة الـ ١١٧ .

(٦٣) حاشية الصبان على شرح الاشموني ٤/١٦٤ .

و جاء في التصريح على التوضيح : « ذهب معظم الكوفيين إلى أن إنساناً أصله : إنسان من النسيان ، فلا يكون تصغيره على آنسيان شاداً »^(٦٤) .
 فما نسبة أبو البركات وأصحابه والأزهرى إلى الكوفيين كان ابن قتيبة قد نسبه إلى البغداديين ، مما يؤيد أن اسم البغداديين اسم قديم لم يسموا بالكوفيين من بعد .

وتقف عند الأزهرى في تهذيب اللغة ، وهو من رجال القرن الرابع للهجرة فنجد أنه يسمى الكسائى والفراء وصاحبها بالكوفيين مرتين وبالعرaciين مرة أخرى ، وقد جرى قلمه بالاسمين جميعاً . نجد ذلك في اثناء استعراضه طبقات الدارسين من اللغويين وال نحوين الذين كان اعتماده عليهم في جمع مادة كتابه ، وببدأ بذكر البصريين مبتدئاً بأبي عمرو بن العلاء ، وكان تصنيفه لطبقات النحوين واللغويين كتصنيف أبي الطيب الملغوى ، يذكر طيقة من البصريين ثم يذكر من كان بازائتها من الكوفيين ، واذا ذكر الطبقة البصرية التي ذكر من اعلامها أبو زيد الانصارى وأبا عبيدة والاصمعى وأخرين قال : « ومن هذه الطبقة من الكوفيين : أبو الحسن على بن حمزة الكسائى »^(٦٥) . ولا أحسنت رأيته يذكر اسم الكوفيين مرة أخرى .

واذا وصل في استعراضه طبقات الدارسين البصريين إلى طبقة أبي حاتم السجستاني وتلاميذه قال : « ومن هذه الطبقة من العراقيين : أبو العباس أحمد بن يحيى الشيبانى الملقب بشعلب ، وأبو العباس محمد بن يزيد الشعائى الملقب بالبرد . واجتمع أهل هذه الصناعة من العراقيين وغيرهم انهم كانوا عالى عصرهما ، وإن أحمد بن يحيى كان واحد عصره ، وكان محمد بن يزيد أعدب الرجلين بياناً ، واحفظهما للشعر المحدث ، والمنادرة الطريقة ، والاخبار

(٦٤) التصريح ٢/٣١٩ .

(٦٥) تهذيب اللغة ١/١١ .

الفصيحة ، وكان من أعلم الناس بمذاهب البصريين في النحو ومقاييسه . وكان احمد بن يحيى حافظاً لمذهب العراقيين ، أعني الكسائي والفراء والاحمر ، وكان عفيفاً عن الأطماء الدينية ، متورعاً من المكاسب الخبيثة «(٦٦)» .

فقد سمي الأزهري الكسائي بالковفي اولاً ثم سماه وسمى الفراء والاحمر والدارسين البغداديين الآخرين بالعراقيين ، وحين ذكر ثعلب والمبرد جعلهما من العراقيين . ويبدو ان التسمية بالعراقيين مساوية للتسمية بانبغداديين لأن العراق انما كان يطلق على بغداد وببلادها وما يليها من ديار بكر وربوعة ومضر «(٦٧)» .

ويبدو ان الأزهري حين سمي الكسائي بالkovfi كان ينظر الى منشئه ، وحين جعله من العراقيين مع الفراء والاحمر كان ينظر الى مقامه . يؤيد هذا أنّه نسب ثعلباً والمبرد كليهما الى العراقيين مع أنّ ثعلباً كوفي المذهب والمبرد بصرى المنشأ والمذهب .

فاسم البغداديين على هذا انما يطلق على الدارسين الذين اقاموا في بغداد ، وهذا ينجر الى اوائل الدارسين في بغداد وهم الكسائي واصحابه ، والفراء واصحابه ، وثعلب واصحابه ، ولا يقتصر الاسم على الجيل الذي اعقب ثعلباً والمبرد ، كما زعم المحدثون .

ثم نقف على حكايات ابى على الفارسي واقواله ، وأبوا على هذا من النحاة الملازمين لمذهب البصريين ، وقد عده الزبيدي في الطبقة العاشرة من طبقات النحوين البصريين . وكان أبو حيان التوحيدي يراه كذلك ويقول : « قلت : وأما أبو على فأشد تفرداً بالكتاب ، وأشد أكباباً شبيه ، وأبعد من كل ما عداه مما هو علم الكوفيين » «(٦٨)» .

(٦٦) تهذيب اللغة ١/٢٧ .

(٦٧) صبح الاعشى ٤/٤٢١ .

(٦٨) الامتناع والمؤانسة ١/١٣١ .

قال أبو علي : « وحكى أحمد بن يحيى عن بعض البغداديين : يقال : هدى بيت الله ، وأهل الحجاز يخفون ، وتميم تشقّله^(٦٩) . وأحمد بن يحيى هو أبو العباس ثعلب ، وإذا حكى ثعلب عن بعض البغداديين فذاك أحد أصحابه أو شيوخه من الكوفيين ، ولم يقصد أبو علي من (البغداديين) غير الدارسين في بغداد من المعاصرين لثعلب والمتقدمين عليه ، وهؤلاء هم الكوفيون .

ثم نقف على حكايات أبي الفتح بن جنى واقواله فنجد أنه يذكر الكوفيين والبغداديين ، ومن مقابله أقوال البغداديين التي أوردها بأقوال الكوفيين المعرفة نرى أن القول واحد ، وأن اسم البغداديين إذا جاء في لسان ابن جنى فليس هو اسم آخر بازاء اسم البصريين واسم الكوفيين .

قال أبو الفتح في معرض التفريق بين الكلام والقول : « لو سالت رجلاً عن علة رفع (زيد) من نحو قولنا : زيد قام أخوه ، فقال لك : ارتفع بالابتداء . لقلت : هذا قول البصريين . ولو قال : ارتفع بما يعود عليه من ذكر لقلت : هذا قول الكوفيين ، اي : هذا رأي هؤلاء ، وهذا اعتقاد هؤلاء »^(٧٠)

ثم قال في موضوع آخر : « ومن ذلك قول البغداديين : إن الاسم يرتفع بما يعود عليه من ذكره ، نحو : زيد مررت به ، واخوك أكرمنه فارتفاعه عندهم إنما هو لأن عائداً عاد عليه فارتفع بذلك العائد »^(٧١) .

والمسألة هنا هي المسألة هناك ، ورأي البغداديين هناك هو رأي الكوفيين هنا . وقد فطن محقق كتاب الخصائص لهذا فقال في الهاشم : « سبق له ... هنا إلى الكوفيين في ص ١٨^(٧٢) .

(٦٩) لحجية ١٣٩/١ .

(٧٠) الخصائص ١٨/١ .

(٧١) الخصائص ١٩٩/١ .

(٧٢) هامش ١٩٩/١ .

وقال ايضاً : «وسمعت الشجريَ أبا عبداللهَ غير دفعه يفتح الحرف الحلقىَ في نحو: (يَعْدُو) وهو (محموم) ، ولم اسمعنا من غيره من عقيل فقد كان يرد علينا منهم من يؤنس به ، ولا يبعد عن الأخذ بلغته ، وما أظن الشجريَ الا استهواه كثرة ماجاه عنهم من تحريك الحرف الحلقىَ بالفتح اذا انفتح ما قبله في الاسم على مذهب البغداديين » (٧٣) .

ورأيت الرضىَ ينسب هذا الرأي الى الكوفيين ، فيقول عند الكلام في مناسبة حرف الحلق للفتح : « وان كان عين فَعْل المفتوح الفاء حينقيا ساكنا جاز تحريكه بالفتح نحو : الشَّعْرُ وَالشَّعْرَ ، الْبَحْرُ وَالْبَحْرَ مثلها لغتان عند البصريين في بعض الكلمات ، وليس احدهما فرعاً للآخر ، وأما التكوفيون فجعلوا المفتوح العين فرعاً لساكنها ، ورأوا هذا قياساً في كلِّ فعل شأنه ما ذكرنا ، وذلك لمناسبة حرف الحلق للفتح» (٧٤) .

وقال في موضع آخر : « ومن بعد فقد قالوا أيضاً : صُبُوان وصُبُوة وقُنْوة، وعلى أن البغداديين قالوا : قنوت وقنيت ، وانَّما كلامنا على ما أثبتته اصحابنا ، وهو قَنَوْت لاغير » (٧٥) .

فقد ذكر أبو الفتح البغداديين بازاء البصريين الذين عناهم بقوله : (أصحابنا) ، والرأى الذي أثبتته هنا للبغداديين رأى " كوفي " ، قال ابن منظور عند الكلام في قننيت وقنوت : « وأما التكوفيون فجعلوا قننيت وقنوت لغتين » (٧٦) .

وقال أيضاً في موضع آخر في معرض تحميل الخبر الضمير : فإذا قدت : أنت كزيد ، وجعلت الكاف اسمًا فلا ضمير فيها، كما أنت اذا قلت: انت مثل زيد فلا ضمير في (مثل) كما لا ضمير في الاخ ولا الابن اذا قلت : انت أخو زيد

(٧٣) الخصائص ٩/٢ .

(٧٤) شرح الشافية ١٨ ، ١٩ ط تركية .

(٧٥) الخصائص ١٦٣/٣ .

(٧٦) لسان العرب ٢٠١/١٥ بيروت .

وأنت ابن زيد . هذا قول اصحابنا ، وان كان قد أجاز بعض البغداديين أن يكون في هذا النحو الذي هو غير مشتق من الفعل ضمير ، كما يكون في المشتق» (٧٧) .

وأنقول بتحمل الجامد ضميرا قوله كوفي» نسبة ابن مالك إلى الكسائي في قوله : « ولا يتحمل غير المشتق ضميرا ما لم يؤتى بمشتق خلافا للكسائي» (٧٨) ، وكذلك فعل الرضيـ فقال : « وان لم يكن [يعني الخبر] مسؤولا به [اي بالمشتق] لم يتحمله خلافا للكسائي» (٧٩) . ونسبة الأشموني إلى الكوفيين وقال : « والخبر المفرد الجامد منه فارغ من ضمير المبتدأ خلافا للكوفيين» (٨٠) .

أما المتأخرون فقد فعلوا فعل أبي الفتح ، وكانوا يذكرون البغداديين ، ويذكرون الكوفيين ، دون التفات إلى وحدة الرأي في المنقول عنهم ، ولعلهم كانوا يتاثرون بابن جني في ذلك حين رأوه ينسب الرأي إلى البغداديين وإلى الكوفيين دون أن يشير إلى أن هؤلاء هم أولئك ، وحسبوا أن البغداديين فريق والكوفيين فريق آخر ، وحفلت تصانيفهم بالاسمين جميعا ، فكان الدارس منهم اذا أراد أن يعرض رأيا له فيه وجهة نظر نسبة إلى من وجده منسوبا إليه ، فذكر هذا الدارس البغداديين ، وذكر ذلك الكوفيين ، ولم يلتفت لهذا أو ذاك إلى أن الرأي واحد ، وقد اختلط الأمر لديهم اختلاطا عجيبة حتى كان الدارس منهم ينسب رأيا معينا إلى البغداديين حينا ، حاكيا رأي بعض الدارسين في قوله عنه ، ثم ينسبه إلى الكوفيين حاكيا رأي دارس آخر في قوله عنه ، وكأنه اكتشف جديدا ، ولم ينتبه إلى أن الفريقين فريق واحد ، وأن البغداديين الذين عزّي إليهم رأي هم

(٧٧) سر صناعة الاعراب ١٩٠/١ ، ١٩١ .

(٧٨) التسهيل ٤٧ .

(٧٩) شرح الكافية ٩٧/١ .

(٨٠) شرح الأشموني ٢٠٦/١ .

الكوفيون الذين عزّي اليهم الرأي نفسه ، وأنه إنما نقل الرأي من دارس وقع له الرأي منسوباً إلى البغداديين ، ودارس آخر وقع له الرأي نفسه منسوباً إلى الكوفيين .

وجاز ذلك على الدارسين المحدثين فراحوا يعززون بهذه النقوص المخلطة
زعمهم بوجود مذهب ثالث يقف بازاء المذهبين النحويين الكبيرين مذهب
البصريين ومذهب الكوفيين .

ومن نماذج هذا التخليط ما جاء في الخزانة عن ذكر الشاهد على استعمال (ليس) أداة عطف ، وهو قوله :

فَإِذَا أَقْرَضْتَ قَرْضاً فَأَجِزْهُ إِنَّمَا يَعْزِي الْمُفْتَى لِيُسَمِّي الْجَمْلَ

قال البغدادي : « على أنَّ بعضهم قال : (ليس) فيه عاطفة ، والظاهر أنها على أصلها ، اي : ليس الجمل جازيا . والاول مذهب البغداديين ، احتجوا بهذا البيت على أنَّ (ليس) عاطفة ، قالوا : كما تقول : قام زيد لا عمرو ، ف (ليس) محمولة على (لا) في العطف . قال ابو حيان : وحكى النحاس وابن بابشاذ هذا المذهب عن الكوفيين ، وحسكاه ابن عصفور عن البغداديين » (٨١) .

وبابطال هذين الأساسين ؛ أعني ما ذكره ابن النديم من وجود جماعة من
الدارسين كانوا يخلطون المذهبين ، ومن شيوع اسم البغداديين بازاء اسم
الكوفيين واسم البصريين دعوى المحدثين بوجود مذهب ثالث ، أو مدرسة ثالثة ،
هي مدرسة بغداد .

٤٧٧/٤) الخزانة (٨١)

التسمية بالковفية

أما نسبة هؤلاء الدارسين البغداديين فمردتها :

أن مؤسس مذهب البغداديين في النحو هو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي وهو انما ولد ونشأ وتعلم ، وعرف قارئا ، ورئيسا في الفراء بعد حمزة بن حبيب الزيات - في الكوفة ، ولم يخرج من الكوفة ليتعلم العربية على شيخ العربية في البصرة ؛ الخيل بن أحمد الشراعي الـ على كثيـر . كما قال الفراء^(٨٢) . ولم يعد إلى الكوفة إلا بعد رحلة طويلة في بوادي نجد والججاز وتهامة ، يشافه الأعراب ، ويحكي اللغات ويدوّن ما يسمع ، وعاد إلى الكوفة ثقلاً عيابه بالكتوب والمحفوظ ، ولكنه لم يكـد يستقر به المقام في الكوفة حتى دعـى إلى بغداد ليؤدب أولاد الخليفة ، ويتصدر مجالس الدرس ، ويقرئ القراء فيما .

وكانت لثقافته الأولى في الكوفة ، ومشافهـة الأعراب ، في الـبوادي . وكثرة سماعـه من الفصحـاء تأثير واضح في مذهبـه في النـحو ، ولم يـغطـنـ الدارـسون لطبيـعة المذهبـ الجديدـ إلاـ بعد المسـائلـةـ التـىـ جـرتـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ سـيـبـويـهـ عن قولـ العـربـ : « قدـ كـنـتـ اـظـنـ انـ العـقـرـبـ اـشـدـ لـسـعـةـ مـنـ الزـنـبـورـ فـاـذـاـ هـوـ هـيـ ، اوـ فـاـذـاـ هـوـ اـيـاهـاـ » فقدـ تمـسـكـ سـيـبـويـهـ بـوجهـ التـرـفـعـ لـانـهـ اـلـقـيـاسـ ، وجـوـزـ الكـسـائـيـ النـصـبـ اـيـضاـ ، لـانـ السـمـاعـ يـعـضـدـهـ . وـيـبـدوـ انـ الـاـمـرـ كـذـلـكـ ، لـانـ أـبـاـ زـيـدـ الـأـنـصـارـيـ حـكـيـ عنـ العـربـ : « قدـ كـنـتـ اـظـنـ انـ العـقـرـبـ اـشـدـ لـسـعـةـ مـنـ الزـنـبـورـ فـاـذـاـ هـوـ اـيـاهـاـ »^(٨٣) وكانـ اـنـكـسـائـيـ قدـ قالـ فيـ جـوابـهـ . « العـربـ تـرـفـعـ فـيـ ذـلـكـ كـلـهـ وـتـنـصـبـ »^(٨٤) .

(٨٢) نـزـهـةـ الـأـنـبـاءـ ٨٢ـ مصرـ .

(٨٣) اـنـبـاهـ الرـوـاـةـ ٢ـ ٣٥٩ـ .

(٨٤) مـجاـلسـ الـعـلـمـاءـ ٩ـ ، يـاقـوتـ ١٨٧ـ /ـ ١٣ـ ، ١٢٠ـ /ـ ١٦ـ .

هذا المذهب الذى يعتمد بالسماع ، ويترخص فى الأصول الموضوعة
 مذهب جديد ظهر اول ما ظهر فى بغداد وعلى يد الكسائى الكوفى . ثم تهيا
 له دارسون تعهدوه ورعاوه ، واسهموا فى ترسیخ أسمه . وفي مقدمة
 هؤلاء : أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء الذى منح المذهب صورته الجديدة
 وشخصيته المتميزة . والفراء كوفي المولد والمنشأ ايضا . ولكنه اقام فى
 بغداد بعيداً اقامة الكسائى فيها ، وبقى فيها زمنا طويلا حتى وفاته الاجل .
 واستطاع الفراء بحذقه وفطنته ان يعمق جذور المذهب فى نفوس الدارسين ،
 ويشبت اصوله فى اذهانهم .

ثم جاء ابو العباس ثعلب البغدادى المولد والمنشأ ، وتلمذ لطلابه
 الفراء ، وفي مقدمتهم سلمة بن عاصم ، فاقرأه كتب الفراء ، ولم يمض عليه
 زمان طويل حتى حفظ كتب الفراء . وتصادر مجلس الدرس وهو ابن خمس
 وعشرين^(٨٥) . ونشأ على مذهب الكوفيين الكسائى والفراء ، لا مستخرجًا
 للقياس ولا طالباً له ، فإذا سئل عن مسألة قال : قال الفراء ، وفقال
 الكسائى « فإذا سئل عن الحجة والحقيقة في ذلك لم يعرف النظر »^(٨٦) ،
 وهذا هو المذهب الذى ساد مجالس الدرس ، وعلى هذا الاسلوب اللغوى درب
 الدارسون البغداديون .

ثم جاء الجيل الذى تلمذ لثعلب ، ثم للمرد أيضا بعد وروده بغداد
 من سرمن رأى ، واعلامه كلهم ببغداديون منشأ ودراسة . وكانت بغداد
 قد اجتذبت اعلام الدارسين فى المصريين الكبيرين ؛ الكوفة والبصرة، وكانت
 مجالس الدرس فيها غاصة بطلبة العلم ، وقد اجتذبت شخصية المرد ، وحسن
 بيانه ، وقوة جدله اكثر الدارسين الذين كانوا يختلفون الى مجلس أبي
 العباس ثعلب عالم بغداد وامام الدارسين فيها ، ولم يستطع ثعلب أن يُعتبر على

(٨٥) ياقوت ١٤٠ / ٥ .

(٨٦) ياقوت ١٢٠ / ٥ .

انقطاع تلاميذه عنه واحتلاظهم الى مجلس المبرد ، فبدأ الصراع هادئا اول الامر بين الرئيسين ثم أخذ يشتد شيئاً فشيئاً بازدياد رسوخ المذهب الجديد الوارد وبالتفاف تلاميذه القدماء حول المبرد . وقد بدأت الحمّلات بين الرجلين مناظرة، وتهاجيا ، وانجرت هذه الخصومة الى تلميذ الشيختين ، واعادت هذه الخصومة ذكريات الخصومة القديمة التي كان يشيرها متعصبوه من البصريين من جهة ومن تلميذ الكسائي والفراء من جهة اخرى، واستطاع المبرد أنْ يثبت قواعد مذهب البصريين في بطرداد ، وأنْ يميّز مذهبه عن مذهب منافسه بتسمية مذهبة بالبصري ، وعمل على تثبيت هذه التسمية بنشر فضائل المذهب بشيوخه القدماء ، فصنف كتابا سماه : طبقات النحوين البصريين^(٨٧) .

ولعل تصنيف ابى سعيد السيرافي كتابه فى (أخبار النحوين البصريين) كان تاكيدا لما بدأه المبرد ، وقد قصره على النحوين البصريين تجاهلاً لمنافسيهم ، وغمزاً لهم ، وايماء الى أن غير البصريين ليسوا فى العلم بدرجة يذكرون معها بازاء البصريين .

واذ اشاع المبرد هذه التسمية ، واستطاع ان يفرضها ، ويثبتتها فى اذهان الدارسين كان تلاميذه واصحابه يعتزون بها وينتصرون لها ، ومن هنا انشئوا اسم الكوفيين تمييزاً لأنفسهم من خصومهم ، واستعادة لتلك الخصومات الاقليمية القديمة التي كانت تثار بين المصريين الكبيرين ، وتعقد بين وفودها المجتمعين فى مجالس الخلفاء والامراء .

ولم تكن هذه التسمية الا من صنع تلميذ المبرد المتحمسين لمذهب البصريين ، ثم انسحب هذا الاسم على اوائل الدارسين البغداديين الكسائي والفراء وأصحابهما .

(٨٧) بغية الوعاه ١/٢٧٠ .

اما الكوفيون انفسهم فلم يكونوا يعرفونها ، ولم يسمّ احد منهم مذهبـه بالـ**الـكـوـفـيـ**ـ ، ولا أصحابـه بالـ**الـكـوـفـيـنـ**ـ ، ولم يسمـهمـ بـ**بـهاـ خـصـومـهـمـ الـاـولـونـ**ـ ، وقد استعرضـناـ اـقـوالـ الدـارـسـيـنـ الـاـولـيـنـ فـلـمـ نـسـمـعـ أـحـدـاـ مـنـهـ كـانـ قدـ سـماـهـمـ بـهـذـاـ اـلـاسـمـ ، وـاـذـاـ أـرـادـواـ أـنـ يـشـيرـواـ أـلـيـهـمـ أـشـارـواـ اليـهـمـ عـلـىـ أـنـهـمـ بـغـدـادـيـوـنـ اوـ عـرـاقـيـوـنـ ، حـتـىـ المـبـرـدـ نـفـسـهـ كـانـ اـذـاـ تـحدـثـ عـنـهـمـ سـماـهـمـ بـالـبـغـدـادـيـوـنـ .

ولـمـ يـسـمـ تـلـامـيـذـ المـبـرـدـ خـصـومـهـمـ بـالـبـغـدـادـيـوـنـ ، لأنـ هـذـاـ اـلـاسـمـ يـنـسـجـبـ عـلـيـهـمـ لـأـنـهـمـ بـغـدـادـيـوـنـ اـيـضاـ . وـبـتـسـمـيـةـ تـلـامـيـذـ شـلـبـ الـذـيـنـ لـازـمـواـ مـذـهـبـهـ بـالـكـوـفـيـيـنـ تـمـيـزـ رـجـالـ هـذـاـ الجـيلـ بـعـضـهـمـ مـنـ بـعـضـ .

وـبـالـرـغـمـ مـنـ اـصـرـارـ الـبـصـرـيـيـنـ مـنـ رـجـالـ هـذـاـ الجـيلـ عـلـىـ تـسـمـيـةـ خـصـومـهـمـ بـالـكـوـفـيـيـنـ لـمـ يـنـسـ الدـارـسـوـنـ اـسـمـ الـبـغـدـادـيـوـنـ ، لـذـلـكـ تـجـدـ هـذـاـ اـلـاسـمـ يـتـرـدـدـ فـيـ مـصـنـفـاتـهـمـ إـلـىـ جـانـبـ اـلـاسـمـ الـجـدـيدـ ، كـمـ رـأـيـنـاـ اـبـنـ جـنـىـ فـيـ الـخـصـائـصـ يـوـرـدـ اـلـاسـمـيـنـ جـمـيـعاـ ، وـالـعـنـىـ وـاحـدـ ، وـكـانـ وـرـودـ اـلـاسـمـيـنـ فـيـ بـعـضـ الـمـصـنـفـاتـ فـيـ هـذـاـ عـصـرـ مـصـدـرـ وـهـمـ الـمـتـأـخـرـيـنـ أـنـ الـبـغـدـادـيـوـنـ فـرـيقـ ، وـالـكـوـفـيـيـنـ فـرـيقـ آـخـرـ ، فـرـاحـوـاـ يـوـرـدـوـنـ الرـأـيـ الـوـاحـدـ وـيـنـسـبـوـنـهـ إـلـىـ الـكـوـفـيـيـنـ حـيـنـاـ ، وـإـلـىـ الـبـصـرـيـيـنـ حـيـنـاـ آـخـرـ ، وـبـقـىـ الـدـارـسـوـنـ فـيـ الـعـصـورـ الـمـتـعـاـقـبـةـ يـخـوـضـوـنـ فـيـ هـذـاـ الـوـهـمـ ، وـلـمـ يـلـتـفـتـوـاـ إـلـىـ اـنـهـمـاـ اـسـمـانـ لـمـسـمـيـ وـاحـدـ .

وـجـازـ هـذـاـ الـوـهـمـ عـلـىـ الـدـارـسـيـنـ الـمـحـدـثـيـنـ فـرـاحـوـاـ يـتـمـسـكـوـنـ بـهـ ، وـيـثـبـتوـنـ عـلـيـهـ فـتـكـرـتـهـمـ بـوـجـودـ مـذـهـبـ ثـالـثـ اوـ مـدـرـسـةـ ثـالـثـةـ سـمـوـهـاـ بـمـدـرـسـةـ بـغـدـادـ ، لـيـنـسـجـمـ هـذـاـ اـلـاسـمـ مـعـ اـسـمـيـنـ الـمـدـرـسـتـيـنـ الـكـبـيـرـتـيـنـ مـدـرـسـةـ الـبـصـرـةـ وـمـدـرـسـةـ الـكـوـفـةـ ، وـوـجـدـوـاـ مـنـ كـلـامـ اـبـنـ النـدـيـمـ وـالـزـجاجـيـ وـالـسـيـرـافـيـ وـمـنـ تـابـعـهـمـ وـحـكـيـ عـنـهـمـ مـاـ يـنـصـرـ فـيـ التـروـيجـ لـفـتـكـرـتـهـمـ .

غـيـرـ اـنـ هـذـهـ فـكـرـةـ الـتـىـ قـامـتـ عـلـىـ هـذـيـنـ اـلـاسـاسـيـنـ لـمـ تـصـمـدـ اـمـامـ الـبـحـثـ ، لـأـنـهـ فـكـرـةـ لـمـ تـخـرـجـ عـنـ حدـودـ النـظـرـيـةـ الـتـىـ لـمـ تـجـدـ سـبـيـلاـ إـلـىـ التـطـبـيقـ

ولأن أصحاب هذه الفكرة لم يستطيعوا ان يصوروا هذا المذهب ، او يهتدوا
إلى خصائصه ، او يرسموا خطوطه المذهبية .

واكبر الظن ان الزجاجي بصرى المذهب ، لا تكاد تجد في كتبه دفاعا
عن رأى كوفي ، او موافقة لدارس كوفي في قول ، ولم يظهر في اقواله
ما يؤيد أنه أفاد من الشيوخ الذين سماهم بالковيين ، ووصفهم بأنهم قدوة
اعلام في علم الكوفيين ، كتابن كيسان وابن الخياط وابن شقير ، وكتابه
(الايضاح) حافل بتصديه للكوفيين ومناقشتهم وتضليل آرائهم .

ثم جاء ابو البركات الأنباري فأكمل العمل الذي بدأه الزجاجي ، وغلا
في خصومته للكوفيين ، وعرض في كتابه احدى وعشرين ومئة مسألة، وبسط
فيه احتجاجات نسبها إلى الكوفيين ، لم يسمع مثلها من كوفي ، ولا كان
لثلها مكان في مصنفات الكوفيين ، وربما أورد آراء واحتجاجات غفلاً من
أسماء اصحابها على أنها كوفية ، ثم ينقض عليها تضليلها وتفنيها ، ولم يسلم
برأى كوفي الا حين تعوزه الحجة ويختونه الدليل .

اما الجماعة التي قيل انها خلقت المذهبين فهم جماعة من الدارسين لم
يجدوا في انفسهم ما يدعوه الى التحرّج في الاخذ عن هذا ، او ذاك ، او
الحكاية عن هذه الطائفة او تلك ، وكانوا يأخذون عن الطائفتين من الآراء ما
يتافق مع آرائهم الخاصة ، فتلقوا عن هذا الفريق وعن ذاك ، واحتللت
الحكايات في أذهانهم ، ووجد لذلك صدى في كتبهم . وربما كان الطابع
لدارس بعينه بصرى فإذا حكى عن كوفي بعض الاقوال فان ذلك لم يشنه عن
الالتزام بخط المذهب البصري العام . وقد يكون الدارس كوفيا ولا يجد في
الاخذ عن بعض البصريين ما يتعارض مع خط مذهبة العام .

هذا هو ما أفهمه من (خلط المذهبين) ، وقد انبني فهمي هذا على صنيع السيرافي وابن النديم . فقد جعل السيرافي ابن كيسان في النحوين البصريين . وفي طبقة الزجاج حين ترجم له في (اخبار النحوين البصريين) . واليهمما في نظره . انتهت الرئاسة في النحو بعد المبرد ، مع عرفانه انه كان يخلط المذهبين . وعد ابن النديم أبا موسى الحامض فيمن خلط المذهبين، وقد يكون هذا واقعا ، ولكن الحامض كان كوفيا ينتصر للكوفيين ويتعصب على البصريين(٨٨) ولم يصرفه عن كوفيته انه أخذ عن هذا البصري أو ذاك ، ولا أن اتفق رأيه مع رأي بعض البصريين ، كذلك وعد ابن النديم فيمن خلط المذهبين دارسا عاصرا ثعلبا ، ولكنه لم يأخذ عنه ، ولا عن احد غيره من الكوفيين وهو ابن قتيبة ، وكل ما كان من ابن قتيبة انه حتى في كتبه من أئمة الكوفيين امثال الكسائ والفراء ، وكانت حكاياته عنهم لافتاً ادهسان الدارسين ، فمن كان منهم غير مشارك في الصراع المذهبي نظر الى ابن قتيبة على انه طراز جديد من الدارسين ، لم يتخرج في الحكاية عن الكوفيين ، ومن كان منهم مشاركاً جعل حكاياته عنهم مطعنا عليه ، كما فعل أبو الطيب اللغوي حين عرض له في (مراتب النحوين) .

الковيين ، لأنهما من العلماء الذين كانوا قدوة أعلاما في علم الكوفيين^(٨٩) . وأبو بكر بن شقير خاصة كان أشد ميلا إلى الكوفيين ، وكان « شديد التعصب مع الكوفيين على البصريين »^(٩٠) .

فلو كان ابن النديم وغيره يعنون بمن خلط المذهبين مافهمه المحدثون لما جعل ابن النديم ابن قتيبة فيهم ، لأنه لم يأخذ عن أحدٍ من الكوفيين ، وكان اعتماده أولاً وآخرًا على البصريين ، أخذ النحو عن الرياشي ، واللغة عن السجستاني . ولا الزجاجي أيضًا ، مع أنه معدود فيهم وسالك هو نفسه في البصريين . بالرغم من أنه كان قد تلمذ للبصريين والkovيين .

على أن من المستغرب أن يذهب المحدثون إلى وجود مذهب ثالث ، ثم يستخلصون مما ذهبوا إليه نتائج لا واقع لها ، دون أن يرسّموا خطوط هذا المذهب المزعوم ، أو يبينوا خصائصه ، وكل ما قالوه انه مذهب قام على الانتخاب من المذهبين ، وهو قول غامض ، وزعم لا يقوم على أساس . وهو قول خير ما يقوم به انه وهم وتخليط .

سوقى ضيف والمذهب البغدادى المزعوم :

ومن امثلة التخليل الذي وقع فيه المحدثون المعاصرون : ما جاء في (المدارس النحوية) فقد عرض الدكتور ضيف في كتابه هذا لما سماه بالمدرسة البغدادية ، فقال : « اتبع نحاة بغداد في القرن الرابع نهجاً جديداً في دراساتهم ومصنفاتهم النحوية يقوم على الانتخاب من آراء المدرستين البصرية والkovية جمعياً ، وكان من أهم ما هيأ لهذا الاتجاه الجديد أنَّ أوائل النحاة تتلمذوا للمبرد وشلب ، وبذلك نشأ جيل يحمل آراء مدرستيهما ، ويعني بالتعقب في مصنفات أصحابهما ، والنفوذ من ذلك إلى كثير من الآراء النحوية »^(٩١) .

(٨٩) الإيضاح في علل النحو ٧٩ ط ١ .

(٩٠) الإيضاح ٨١ .

(٩١) المدارس النحوية ٢٤٥ .

ثم قال : « وحاول بعض الباحثين المعاصرین ان ينفي وجود المدرسة البغدادية معتمدًا على من ينظمون افرادها في البصريين والковيين ، وأن علمين من اعلام جيلها الثاني ينسبان انفسهما في البصريين ، وهما أبو علي الفارسي وתלמידه ابن جنى ، اذ يعبران في تصانيفهما عنهم كثيرا بكلمة (اصحابنا) وينتصران في اغلب الامر للآراء البصرية ، وكثيرا ما يطلق ابن جنى على الكوفيين اسم البغداديين ، وكأنهم مدرسة واحدة »^(٩٢) .

ولم ير الدكتور ضيف في هذا ما يكفي لنفي وجود المدرسة البغدادية ، لأنهما ، وان نسبا انفسهما إلى البصريين ، كانوا يتبعان في مصنفاتهما لمذهب البغدادي الانتخابي ، وغلبة النزعة البصرية « لم تخرجهما عن دوائر الاتجاه البغدادي القائم على الانتخاب من آراء البصريين والkovيين »^(٩٣) .

ثم جعل الدكتور ضيف البغداديين جيلين :

يبدأ الجيل الاول بابن كيسان ، ويختتم بالزجاجي .

وجعل من الجيل الثاني أبا على الفارسي ، وابا الفتح بن جنى .

وقد اعتمد في القول ببغدادية هؤلاء ، فيما اظن ، ما وجده عند ابن النديم من أنهم كانوا يخلطون المذهبين ، وما وقف عليه من آراء لهم يتتفقون في بعضها مع البصريين ، وفي بعضها الآخر مع الكوفيين .

غير ان هذا لم يكف في القول ببغداديتهم ، لأن ابن النديم اذ جعل هؤلاء فيمن خلط المذهبين لم يبد عليه انه كان يلمح في مصنفاتهم وآرائهم أنهم ينهجون بهجا جديدا يقوم على الانتخاب والمزج والتوحيد ، ولكنه رأى عندهم حرية في الأخذ عن هؤلاء وهو لاء لم يعهد لها في البصريين من قبل ، لأن البصريين

(٩٢) المدارس النحوية ٢٤٥ .

(٩٣) المدارس النحوية ٢٤٦ .

كانوا لا يرون في الحكاية عن أنكوفيين مأخذًا على الدارس ، لأنهم كانوا لا يرون في الكوفيين « من يوثق به في تلاميذ العرب ، ولا من يُرتضى روایته ، فـأـنـاـذـعـمـيـ أـحـدـمـنـهـمـ شـيـئـاـ رـأـيـتـهـ مـخـلـصـاـ صـاحـبـ تـطـوـيلـ وـكـثـرـةـ تـلـامـيـذـ وـمـبـاـبـرـةـ »^(٩٤) ولذلك لم يرو أحد من البصريين عن الكوفيين بعد أبي زيد الأنصاري ، ولم يكتنف حملة أبي الطيب المغوي على ابن قتيبة إلى سبب غير أنه نم يسكن يتعرج في حكاياته عن التسائي وانفراط وغيرهما من المدارسين البغداديين . فاذا رأى ابن النديم فيهم هذا جعلهم في جماعة ثلاثة غير ناظر إلى النزعة البصرية عند بعضهم ، او النزعة الكوفية عند بعضهم الآخر ، وان تلمنوا لشعل والمفرد ، وحكوا عنهمما في مصنفاتهم .

ومن هنا يبدو مدى تمحّل الدكتور ضيف في جعله ابن كيسان والزجاجي وأبا علي الفارسي وأبا الفتح بن جنى أعلاماً لمدرسة بغداد المتوهمة ، لأن حكاية هؤلاء عن انكوفيين أو اختيارهم بعض آرائهم لم تفصلهم عن النزعة القوية انتى تشدّهم الى البصريين .

أما ابن كيسان فلم يستقر المقدماء على رأي فيه ، ففيينا كان ابن النديم يعدد من الجماعة التي خللت المذهبين اذ كان ازجاجي يرى أنه من علماء الكوفيين الذين كانوا قدوة أعلاما في علم الكوفيين ، وكان السيرافي يعدد في البصريين ، ويرى أن الرئاسة في النحو بصرى لـت إليه والى الزجاج بعد أبي العباس المبرد» (٩٥) .

أكبر الظن أن القدماء اذ جعلوا ابن كيسان فيمن خلط المذهبين لم ينظروا الى خصائص طريقة ، وانما نظروا ، فى أكبر الظن ، الى أنه كان واقفا على آراء البصرىين والковيين بتلmidtته لشلب والمبرد ، ووقف اندارس على آراء مدرسة بعينها لا يعني أنه من رجالها ، ما لم يكن آخذا باسلوبها فى تداول

١٠١ مراتب النحوين (٩٤)

^{٩٥}) انظر : أخبار النحوين البصريين ١٠٨ بيروت .

الموضوعات بالدرس ، ولا أرى ابن كيسان الا بصرى ، لأنه كان ينزع منزعاً بصرى بعニアيته بالعمل ، واحتذائه المناطقة ، وتلك سمة من أبرز سمات المذهب البصري في النحو .

وأما انجاجي فلا أظن موقف الدكتور ضيف منه أحسن من موقفه من ابن كيسان ، فقد كان في كتابه (الايضاح) مطبوعاً بطبع بصرى أصيل ، وكان هو يتحدث عن نفسه تحدث البصري ، وكان يقف من الكوفيين موقفاً إذا لم يكن أثراً للتعصب عليهم واضحاً وضوحاً في موقف أبي حاتم السجستاني منهم فهو موقف الغريب عنهم فلم يكدر يتناول مسألة من مسائل الكوفيين إلا كان لها مضموناً ، وكان يصرّح في وضوح أنه يجهل علم الكوفيين وآرائهم ، وأنه إذا أراد الوقوف على رأي الكوفيين نشده عند ابن كيسان وابن شقير وابن الخطاط وكان يقول : « وأكثر ما ذكره من احتجاجات الكوفيين إنما عبر عنها بالفاظ البصريين (٩٦) .

يضاف إلى ذلك أنه إنماقرأ على بصريين ، على أبي اسحاق الزجاج ، ثم على بكر بن السراج ، وانه كان ينتصر لمذهب البصريين ، ويسلك نفسه فيهم ، ويستمسك بمصطلحاتهم وعباراتهم ، وينتهج منهاجمهم في الاحتجاج والاعتلال . وإن الدكتور ضيف نفسه يرى أن الزجاجي كان ينحو في كتابه (الايضاح) من حيث البصريين « ومن يقرأ الكتاب يرى الفلسفة والمنطق وعلم الكلام والفقه ، أو بعبارة أدق عللها جميعاً تمس جوانب التعليل والاحتجاج به (٩٧) .

الحق أنه ليس في كتاب «الايضاح» ما يشير إلى أنه كان يستند في بعض أقواله إلى رأي كوفي ، فقد كان يتحدث فيه عن حدود الاسم والفعل والحرف ، ويوازن بين حدود المناطقة وحدود النحاة ، ويعرض لبعض مسائل الخلاف بين

(٩٦) الإيضاح ٧٩ ، ٨٠ .

(٩٧) المدارس النحوية ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

البصريين والковيين ، كأصل المصدر أو الفعل ، وكالكلام على عمل النحو ، وكمسألة سبق الاعراب الكلام أو سبق الكلام الاعراب ، ومسألة دخول الاعراب في الكلام ، ومسألة حقيقة الاعراب أهو حرفة أم حرف، ومسألة المستحق للاعراب من أقسام الكلمة ، ومسألة الأسبق من أقسامها في المرتبة ، وغيرها . وكان الزجاجي يعرض حجج الفريقين ، ويحتاج لها باحتجاج عقلي لا تجد له صدى فيماقرأنا من أقوال الكسائي والفراء وثعلب ، وكان ينتهي في كل مسألة إلى ترجيح مذهب البصريين ، وتضعيف مذهب الكوفيين فعل أبي البركات الانباري من بعده في كتابه (الانصاف) .

ولم يلتفت الدكتور ضيف إلى التناقض الواضح في أقواله ، في ذهابه إلى أن الزجاجي من أعلام الجيل الأول من أبغداديين الذين يحملون آراء المدرستين ، قوله : كان الزجاجي « يقف عند اختلاف البصريين والkovيين في المصدر والفعل أيهما مأخوذ من صاحبه ، وفيه في بيان احتجاجات كل فريق محاولاً اضعاف الحجج الكوفية»^(٩٨) ، قوله : « كل مسألة يرى فيها جدالاً أو حجاجاً بين البصريين والkovيين يوردها مفصلاً القول فيها ، وقد يضيف من عند وجهها من العلل والاقيسة ، وهي جميعاً تغمض في اصطلاحات المناطقة ، والمتفلسبة ، والمتكلمين ، واصحاب الاصول ، ونحس في وضوح أنه يقف مع البصريين مناضلاً مدافعاً ، مما يؤكده نزعة بصرية قوية في مباحثه»^(٩٩) .

ولعل هذا يكفي في الاقتناع بما جاء في كلام الدكتور ضيف من تناقض لم يوفق معه إلى التوفيق بين مكان الزجاجي في البغداديين ، ونزعته البصرية القوية ، أو محاولته اضعاف الحجج الكوفية ، أو غمس احتجاجاته في اصطلاحات المناطقة والمتفلسبة ، والمتكلمين والأصوليين .

(٩٨) المدارس النحوية ٢٥٣ .

(٩٩) المدارس النحوية ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

أما حديثه عن الجيل الثاني من أتباع مدرسة بغداد الذين حملوا آراء البصريين والковيين وتعملقا في مصنفات الفريقين ، كما قال ، فلا يختلف عن حديثه عن ابن كيسان والزجاجي خلطا ، فهو اذ يحاول فيه أن يقنع الدارسين ببغداديته يرى :

أن أبا علي الفارسي ، وهو على رأس الجيل الثاني من البغداديين ، كان يغلو في القياس ، وكان ابن جنى « يتعجب كثيراً من مهارته في القياس ، حتى ليقول : ما كان أقوى قياسه ، فكأنه مخلوق له . ويُروى عنه قوله : أخطيء في خمسين مسألة في اللغة ولا أخطيء في واحدة من القياس » (١٠٠) .

وأن ابن جنى في الخصائص « يردد حديثه عن البصريين باسم أصحابنا ، كما مر في غير هذا الوضع ، وكثيراً ما يضعهم مقابل البغداديين » . على أنه مالبث أن قال : « انه يريد بالبغداديين أوائلهم من كانوا ينزعون إلى الكوفة مثل ابن كيسان ، وهم حقاً من ذوق غير ذوقه ، ومن هو غير هواه ، فهو بغدادي من طراز آخر ، طراز أستاده أبي علي الفارسي والزجاجي » . طراز كان ينزع إلى البصريين ، وهو الطراز الذي عم وساد منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري » (١٠١) .

وهذا الكلام إنما ينم على احساس قوي بأن أبا المفتح بن جنى وأستاده أبا علي الفارسي وأبا القاسم الزجاجي كانوا بصريين مذهباً وكانوا يضعون أنفسهم مقابل البغداديين الذين هم أوائل الدارسين في بغداد ؛ انكسائي والفراء وتعلب .

ولكن هذا الاحساس القوي ببصرية هؤلاء يقابلها احساس قوي بالتحول . في القول بوجود المدرسة البغدادية التي كان أعلامها يحملون آراء البصريين والkovيين ، ويتعمقون في مصنفات الفريقين . ولذلك زعم أن ابن جنى يريد

(١٠٠) المدارس النحوية ٢٦٤ .

(١٠١) المدارس النحوية ٢٦٨ .

بالبغداديين أوائلهم من كانوا ينزعون الى الكوفة مثل ابن كيسان ، ولم يكن ليقول هذا لو لم يقف على زعم الزجاجي نفسه بأن ابن كيسان من علماء الكوفيين الذين كانوا قدوة اعلاما في علم الكوفيين .

لقد كان الدكتور ضيف في زعمه هنا يقف على منحدر من الرأى لم يستطع تثبيت أقدامه فيه ، ولذلك لم تستو الحجة عنده ، ولم يجد من منحدره منحاة فضل سادرا في وهمه لا يلوى على شيء .

وهذا الذي ذكره هنا هو الذي كان (كتولدفайл) يراه من قبل ، فقد كان يرى أن «طريقة البغداديين جمیعاً كانت في أسسها بصرية، فهم لم يكونوا مدرسة ذات اتجاه خاص يسوغ تسميتها مدرسة مزج واختيار ، بل يمثلون دراسة في دائرة اللحو البصري» يزيد من أهميتها وقيمتها أنها بدأت في ذلك الوقت بتجريد نظام القياس النحوی على وجه دقيق ، ولذلك سرعان ما فقد أيضاً ذلك الاسم الخاص دلالته . وإذا كان البغداديون في الموضع القليلة التي يرد ذكرهم فيها عند النحاة يمثلون رأى الكوفيين فلا يجوز أن يصلّنا ذلك عن حقيقة أمرهم، لأنّه إنما يذكر رأيهم الخاص في الأحوال التي يخالفون فيها آراء البصريين العامة » (١٠٢) . غير أن (فайл) لم يناقض نفسه ، ولم يتورط بادعاء أنهم ببغداديون ، وهم ينزعون الى البصرية .

ومن آثار التورط في موقف الدكتور ضيف ما وقع فيه من وهم وتخليط بجعل أبي البركات الأنباري المتّصّب للبصريين على الكوفيين واحداً من اتباع المدرسة البغدادية ، متّشبياً في ذلك بأوهى الأسباب ، فقد زعم أنّ أباً البركات بغدادي «على شاكلة أبي علي ، فهو يجري في جمهور آرائه مع البصريين ، ويفتح الأبواب لاختيار بعض آراء الكوفيين» (١٠٣) .

(١٠٢) مقدمة (فайл) لكتاب الانصاف - ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار .

(١٠٣) المدارس النحوية ٢٧٨ .

ذلك أنه وافق الكوفيين في سبع مسائل من أحدى وعشرين ومئة مسألة ولم يشنه عن وهمه هذا معرفته بمصادر دراسته وأسلوبه في تناول موضوعات النحو ومسائله بالدرس ، وزعمته النظرية العقيمة ، واسرافه في التعلق للبصريين على الكوفيين .

وقد نسى الدكتور ضيف أو تنسى أن الدارس الذي ينتمي إلى مذهب من المذاهب ربما كان له وجهة نظر خاصة يخالف فيها أصحابه في المسائل ، ولا يخرجه ذلك عن دائرة المذهب الذي ينتمي إليه ، وأمثلة هذا أكثر من أن تحصى فقد خالف سيبويه أستاذه الخليل في بعض المسائل ، وخالف الأخفش سيبويه ، وخالف المبرد سيبويه أيضا ، ونقض كثيرا من آرائه ، ولم يخرج هؤلاء من مكانهم الذي احتلوا فيدائرة البصرية .

وخالف الفراء الكسائي في كثير من المسائل ، وخالف هشام الكسائي والفراء في مسائل، وخالف ثعلب الكسائي والفراء، ولم يخرج الفراء، ولا هشاما ولا ثعلبا عن المكان الذي شغلوه في دائرة الكوفية أنهم خالفوا من خالفوه من أصحابهم .

ومن ثقافة الدارس والفرق العقلية بين الدارسين ما يسمح بمثل هذا الخلاف ، بل ما يمهد الطريق إلى مثله ، ولكنه لا يمس الخطوط العامة للمذهب الذي ينتسبون إليه .

كان أبو البركات قد رجح رأي الكوفيين في سبع مسائل من أحدى وعشرين ومئة مسألة لا تمثل جميع مسائل الخلاف ، حين أعزته الحجة التي ينتصر بها لمذهبه ، وقام الدليل القاطع على صحة مقالة الكوفيين فيها فلم يسعفه ذكاؤه ولا قدرته على التزييف في إخفاء وجهاً صواباً فيما ذهبوا إليه ، ولا يعني هذا أنه كان يفتح الأبواب لاختيار بعض آراء الكوفيين ، وينتخب من مزايا مذهبهم ما يوحده مع مزايا مذهب البصريين ، واطلاق مثل هذا القول الذي لا يدل على عمق في تصوّر المذهب من التخليط الذي لا يقره منطق البحث .

ان تلاميذ ثعلب والمبرد الذين ذكرهم ابن النديم على أنهم خلطوا المذهبين لم يكونوا ليكونوا فريقا واحدا ، ولم ينتموا الى مذهب واحد ، فقد كان منهم من انحاز الى المذهب البصري انجيازا تماما ، وانقطع عن المذهب الكوفي انقطع تماما ، وكان أبو اسحاق الزجاج رأس هؤلاء ، وكان ينبغي لابن النديم أن يعده فيمن خلط المذهبين ، لانه أخذ عن ممثل المذهبين ، بل كان اعتماده في الدرس النحوى أولا على ثعلب ، وكان يلازمه ويستكثر عنه ، ولم ينقطع عنه الا بعد ورود المبرد ببغداد ، لكنه لم يُعد فيمن خلط المذهبين ، ولم يذكره أحد من البغداديين . وكان أصحاب الطبقات ، اذا ترجموا له يتحدثون عن رئاسته في النحو البصري بعد المبرد، مثل أبي بكر بن السراج الذي لم يشك دارس في بصرته ، ولا ملزمه مذهب المبرد والزجاج ، وكان ابن السراج من قبل قد تلمذ للمبرد حدثا ، وكان المبرد يعني به ، ويقربه ، ويختصه بعناته (١٠٤)، والى ابن السراج انتهت الرئاسة في النحو البصري بعد أبي اسحاق الزجاج ، ولكنه ، مع ذلك ، كان يكثر من نقوله عن الكوفيين ، ولم يخرجه هذا عند ابن النديم إلى الجماعة التي كانت تخلط المذهبين ، ولا كان في نظر الدكتور ضيف معدودا من المتعمدين في مصنفات الفريقين، ولا تشبيث بنقوله الكثيرة في (أصوله) عن الكوفيين في جعله من البغداديين ، كما تشبيث بموافقة الانباري الكوفيين في سبع مسائل فقط لعده من البغداديين .

وكان منهم [من تلاميذ ثعلب والمبرد] من لزم المذهب الكوفي ، وغلبت عليه النزعة الكوفية ، وانتصر للكوفيين ، وثعلب على البصريين مثل أبي بكر ابن الخطاط، وكانا في رأي الزجاجي من علماء الكوفيين الذين كانوا قدوة أعلاما في علم الكوفيين ، ولم يخرجهم عن الدائرة الكوفية أنهم تلمذوا لممثل المذهبين، وجمعوا علم البصريين إلى علم الكوفيين .

(١٠٤) فهرست ابن النديم ٩٢ .

وإذا كان الدكتور ضيف يعني ما يقول حقا حين قرر ان طراز أبي علي وأبي الفتح طراز كان ينزع الى البصرة، وهو الطراز الذى عم وساد منذ النصف الثاني من القرن الرابع، فكان ينبغي ان يتوقف قلمه عند هؤلاء ، ولا يتتجاوز هذا القرن ، وان يكف عن التمادى فى التحدث عن المدرسة البغدادية ، وان يكتفى جماح قلمه وذهنه فلا يطوى العصور ، ويقطع المسافات ، فيرسم الدارسين هنا وهناك بيمسم البغدادية المفعولة ، ويطوى بمزاعمه الاندلس والمغرب ومصر فاذا بالنهاية على اختلاف عصورهم وعلى تباعد مواطنهم ينضوون جميعا فى ظل (البغدادية)، ثم يوغل فى ارتكاب التناقضات ، فاذا بهؤلاء الدارسين متقدمين ومتاخرين يوحّدون ، ويسلكون فى البغداديين ، ثم يفرقون الى مدارس؛ مدرسة اندلسية ومدرسة مصرية ، حتى لم يعد فى أذهان الدارسين مفهوم محدد للمذهب ، ولم يبق فيها مدلول معين للمدرسة .

الأنصاري والمدرسة البغدادية المزعومة:

كانت فكرة المذهب البغدادي ، أو المدرسة البغدادية قد راقت لدارسين قبل الدكتور ضيف ، لعل أبرزهم هو الدكتور احمد مكي الانصاري صاحب كتاب (أبو زكريا الفراء) .

أقام الدكتور الانصاري رأيه على الاساس الذي استند اليه من قبل (فلوكل) و (بروكلمان) ثم أحمد أمين الذي إليه يرجع الدارسون المحدثون فـى تصورهم المذهب الثالث القائم على اساس الاختيار والمرج والتوحيد ، اعنى اختيار من آراء البصريين والковيين ، وخلط تلك الآراء ، ثم توحيدها فى مذهب ثالث وهو بالبصري ولا بالковي .

غير أن الدكتور الانصاري جاء في كتابه هذا برأي غريب أوقعه في خلط وتناقض لم يوفق إلى الخروج منهما ، لأنـ هذا المذهب الثالث إنما يقوم على تصوّر مذهب بصريـ ، ومذهب كوفيـ . ولم يفت الدكتور الانصاري هذا التصور ، فقد عقد في كتابه فصلاً عرض فيه لمقومات مذهب البصريين ومقومات مذهب الكوفيين ، ليتمهد به سبيلاً إلى تصوير مذهب ثالث يقوم على أساس من الاختيار من المذهبين ، ومزج هذا المختار ، وتوحيدـ في مذهبـ ثالثـ جديـدـ ليس بصرياً ولا كوفياً .

كان الدكتور الانصاري قد سبقـ الدكتور ضيفـ في الوقوع في شبهـةـ (البغداديةـ) إلاـ ان خطواتـهـ في تصويرـهاـ أقربـ إلى خطواتـ الباحثـ ، لأنـهـ قدـمـ بينـ أيـديـ الدارـسـينـ خـصـائـصـ المـذـهـبـ الـبـصـرـيـ ، وـخـصـائـصـ المـذـهـبـ الـكـوـفـيـ ، وـلـمـ يـتـعـسـفـ فيـنـكـرـ أنـ يـكـونـ لـلـمـدـرـسـةـ الـكـوـفـيـةـ وـجـودـ ، وـلـمـ يـسـتـبـحـ أـصـالـتـهـاـ فـيـنـسـبـ مـذـهـبـهـاـ إـلـىـ يـونـسـ بنـ حـبـيبـ كـمـاـ فعلـ (فـاـيـلـ)ـ ، أوـ إـلـىـ سـعـيدـ بنـ مـسـعـدةـ الـأـخـفـشـ ، كـمـاـ فعلـ الدـكـتـورـ ضـيـفـ مؤـلـفـ (المـدـارـسـ النـحـوـيـةـ)ـ ، وـذـلـكـ أـنـهـ قالـ «ـ اـنـ الـذـىـ لـاـمـنـاـصـ مـنـهـ أـنـ المـدـرـسـةـ الـكـوـفـيـةـ حـقـيقـةـ تـارـيـخـيـةـ كـانـتـ لـهـ شـخـصـيـتـهـاـ الـمـسـتـقـلـةـ فـيـ فـتـرـةـ مـنـ الزـمـنـ»ـ (١٠٥ـ)ـ .

إـلـاـ أـنـهـ لـمـ يـسـلـمـ مـنـ الـوـقـوعـ فـيـ التـخلـيـطـ عـنـ التـطـبـيقـ ، فـقـدـ بدـأـ المـدـرـسـةـ الـكـوـفـيـةـ بـأـبـيـ جـعـفرـ الـرـوـاسـيـ ، وـخـتـمـهـ بـأـبـيـ جـعـفرـ الـرـوـاسـيـ ، وـجـعـلـ الـرـوـاسـيـ يـبـدوـ وـكـانـهـ أـسـتـاذـ المـدـرـسـةـ وـتـلـمـيـذـهـاـ .

أـمـاـ الـكـسـائـيـ فـكـانـ يـمـزـجـ المـذـهـبـينـ ، لأنـهـ لـمـ يـخـلـصـ لـلـكـوـفـيـةـ ، كـمـاـ لـمـ يـخـلـصـ للـبـصـرـيـةـ .

(١٠٥ـ)ـ أـبـوـ زـكـرـيـاـ الـفـرـاءـ ٣٥٨ـ .

وأما الفراء فقد تعهّد مابناه الكسائي بالرعاية وأتمّه ، واستوى الدرس النحوى الجديد الذى يقوم على الاختيار والمرج على يديه درسا حيّا له شخصيته المتميزة ، وطابعه الخاص . واذا كان الكسائي هو واضح رسوم المذهب ، فقد جاء الفراء من بعده ليكسب المذهب ملامحه ، وليرز شخصيته .

ولم يرد الدكتور الانصارى لصاحبه أن يكون من الكوفيين ، لأنه فيما كان يراه فيه لم يلتزم بما ألزم الكوفيون أنفسهم من خصائص المذهب ، وكان يمزج الآراء الكوفية بالأراء البصرية ، فهو اذن طراز جديد من الدارسين ، فبينا هو كوفي باعتداده بالسماع ، واحترامه القراءات اذ به بصرى في تمسكه بالقياس ، ووقوفه في وجه الشواذ ، وطعنه على القراءات السبع على حد قوله فهو اذن يجمع في دراسته خصائص ما أخذه عن الكوفيين ، وخصائص ما أخذه عن البصريين ، وهو جدير بأن يكون مؤسس مدرسة بغداد التي تمض منهما تلاقي المدرستين وامتزاج مزاياهما في دراسته .

ولم يكتفى الدكتور الانصارى بأن يبعد عن المدرسة الكوفية أحذق رجالها ويقصرها على أبي جعفر الرواسي ، فيجعل منه أستاذ المدرسة وتلميذها وراسم مذهبها ، بل تجاوزه إلى حدود أبعد وإلى مدى أوسع ، فزعم أنه وضع يده على البذرة الأولى للمذهب البغدادي عند عيسى بن عمر المتوفى سنة ١٤٩ للهجرة ، فرآه « يمزج إلى علمه البصرى ظللا من خصائص المدرسة الكوفية ، فكان يقيس على الشاهد الواحد النادر شأنه في ذلك شأن الكوفيين» (١٠٦) .

وكان يمكن للدكتور الانصارى ان يكون منطبقا او أنه عكس الامر فذهب إلى تأثر الكوفيين بمذهب عيسى بن عمر في قياسهم على الشاهد الواحد النادر ، ويكون عيسى بن عمر هو الموجه الحقيقى للدرس الكوفى الذى عُرف

(١٠٦) أبو زكريا الفراء ٣٦٤ .

عند الكسائي والفراء وتلاميذهما ، ويكون الدكتور الانصارى حينئذ ثالث اثنين كانا قد سلبا اندرس انكوفي اصانته ، ونسباه الى منوجه بصري . وهما (قائل) والدكتور ضيف .

ولكنه جعل عيسى بن عمر هو ملهم البغداديين وموجههم الى الاختيار والمزج والتوحيد ، وجعل الفراء هو المؤسس الحقيقى للمدرسة البغدادية ، لأن مذهبة يقوم « اساسا على التحرر من قيود العصبية المذهبية ، فهو ينزع منازع اهل البصرة حينا ، كما ينزع منازع اهل الكوفة احيانا ، لهذا رأينا يمزج بين المذهبين ، ويختار أحسنهما فى نظره ، واقربهما الى منهجه انخاص ، ذلك الذى رأينا فيه كل مقومات المذهب البغدادى » ، فقلنا : انه المؤسس الحقيقى لهذا المذهب الجديد ، وما المذهب البغدادى الا تحرر ومزج وتجديد» (١٠٧) .

ولا يستطيع الدارس ان يتصور كيف كان الفراء هو المؤسس الحقيقى لهذا المذهب الجديد ، وقد سبقه اليه اعلام الدارسين مثل عيسى بن عمر ، ويونس بن حبيب ، وابى زيد الانصارى ، وسعید بن مسعوددة الاخفش ، والكسائي ، ولا كيف تكون البذرة الاولى للمذهب البغدادى عند عيسى بن عمر ، ألم يكن عيسى هو استاذ ابى جعفر الرواسى الذى قدر له ان يكون وحده هو مدرسة التوفة ، لانه الاستاذ والتلميذ والمذهب ، ولا أحد غيره يشاركه ؟

اذا كان عيسى بن عمر يمزج المذهبين فينبغي ان يرجع الدكتور الانصارى القهقري ليسمى دارسين كوفيین عرف لهم مذهب تأثر به عيسى فراح يمزجه بمذهب البصريين ، ولكنه لم يفعل ، لانه انتهى الى أن أبا جعفر الرواسى تلميذ عيسى هو رئيس مدرسة الكوفة .

(١٠٧) ابو زكريا الفراء ٣٩٥

الحق أن هذه المزايا الجديدة التي رأها الدكتور الانصارى في صاحبه بثالوثها ، التحرر والمزج والتجديد إنما هي مزايا الدرس النحوى الذى وقف بازاء المذهب البصرى ، وبسط نفوذه على بيئات الدرس فى بغداد .

وان الدارسين الكوفيين البغداديين هم الذين تحرروا من ربقة تحكيم العقل فى الدرس النحوى والدرس النحوى ، وهم الذين مزجو ما تنقوه من نحو بصرى الى ما اضافوا الى الدرس من اضافات لها قيمة كبيرة ردت الى الدرس النحوى اعتباره ، ثم هم الذين جددوا فى اسلوب الدرس ، وحتموا الاعتبارات اللغوية فيه ، وبنوا نحوهم على الاصول التى ينبغى أن يبني عليها من اعتداد بالنقل ، واحترام القراءات ، واتساع فى انروایة ، وانظر الى البيئات اللغوية الموثوق بفاصحتها ، وسلامة عربيتها على انها الورد الذى يصدر عنه الدرس النحوى .

وان الدرس الذى بدأ بعمل الكسائى ، وتعهداته انفراط هو الدرس الذى وقف بازاء الدرس البصرى ، وسمى فيما بعد بالدرس الكوفي ، وهو الدرس البغدادى الذى شهدته بيئات الدرس فى بغداد بعائد تمصيرها .

وان اسم البغداديين الذى جرت به اقليم النحو هو اسم لذئبة الكوفيين .

وان فكرة (المذهب البغدادى) التى اخترعها المحدثون ، وتعهد بها الدكتور الانصارى ، ثم الدكتور شوقي ضيف فكرة لم تتجاوز حدود (النظرية) التى لم يوفق اصحابها الاولون ، ولا دعاتها الآخرون الى اقامته الدليل عليها .

خاتمة البحث

رأينا ، بعد استعراض الدارسين في بغداد . ان الدارس الاول فيها هو ابو الحسن علي بن حمزة الكسائي ، ولم يعرف الكسائي في غير بغداد علما من اعلام الدرس النحوي ، واذ كان في الكوفة كان من اعلام القراءة ، وكانت القراءة ابرز جوانب الثقافة في الكوفة ، وقد ظهر فيها من القراء ثلاثة من أئمة القراءة الذين شهروا في الامصار الاسلامية ، وهم : عاصم بن ابي النجود ، وحمزة بن حبيب الزيارات ، وعلى بن حمزة الكسائي ، ولم يكن للدرس النحوي في الكوفة مكان في اعتبار الدارسين الا بمقدار ما يتحقق الحاجة الى تصحيح قراءة . ولم يشهر فيها دارس يقف بازاء الدارسين في البصرة .

اما ابو جعفر الرواسى و معاذ الهراء فلا يعدوان ان يكونا مؤذنین يقدمان
للاميينهما شيئا من علم الاعراب و شيئا من اللغة و شيئا من الشعر
و شيئا من الاخبار والانساب ، ولعل معرفتهما بال نحو ترجع الى تلمذتهما
او سماعهما من بعض اعلام الدرس فى البصرة ، وقد نسب بعض اصحاب
الطبقات علم ابى جعفر بال نحو الى عيسى بن عمر ، وبعضهم الى ابى عمرو بن
العلاء . اما معاذ الهراء فلم اقف على من ينسب اليه علمه بالعربية ، او على
مدى علمه بها ، وكل ما هناك مزاعم مخلطة تجعل ابا جعفر مؤسس مذهب ،
أو تنسبه اليه كتابا لم يعرف منه الا اسمه وتزعم ان الخليل بن احمد أفاد
منه ، ووضع كتابه عليه . ولا اظن ان هذه المزاعم كانت تهتم بتثبيت الرئاسة
لابى جعفر بقدر اهتمامها بالتشكیک فى رئاسة الخليل و عنمه ، وقد
اصطنعت هذه المزاعم هذا الاسلوب لتفض من شأن الخليل حتى يقرن اسمه
باسم الدارس المغمور ، المعروف بالرواسى ، بل لتجعل منزلته دون منزلته ،
لانه لم يضع كتابه الا بعد ان وقف على كتاب الرواسى المسمى بالفيصل ،
و افاد منه :

وليس هذه هي الفريدة الفريدة لمحاولة النيل من علو مكانة الخليل ،
وسموخ عقريته ، فقد تذاءب حوله حساده ، وذهبوا للنيل منه مذاهب
شتى .

فهذا سعيد بن مساعدة الاخفش يتطاول على الخليل فيزعم انه استدرك
عليه بحرا لم يصل اليه ولم يعرفه ، وأنه اول من نبه على عوار الكتاب .

وهذا أبو حاتم السجستانى" ومن تابعه يفتاتون فيزعمون ان كتاب
العين انما هو للبيث بن المظفر ، ويشككون في نسبته إلى الخليل ، حتى
اذا اطمأنوا أن المزاعم جازت على الدارسين سطوا على ما في كتاب العين ،
وجعلوا من المنحول او المفتعل قوام مصنفاتهم في اللغة ، فكان كتاب «تهذيب
اللغة» للإذهري ، «والكتاب البارع» للقالى .

وهذا الجاحظ الذي اضطررت آراؤه ، واتخذ من التلub بالالفاظ اسلوبا
لادبه وتأليفه ، يحمل على الخليل ، ويضطرب في رأيه فيه فهو من كبار
النظر المتكلمين الذين كانوا يعرفون أقدار المعانى ، ويستقون لها الاسماء
من كلام العرب^(١) وهو في نظره ، من جهة اخرى مغورو «غره احسانه في
ال نحو والعرض ، فظن انه بحسن الكلام وتأليف المحاجون ، فكتب فيما كتب
لا يشير بهما ، ولا يدل عليها الا المرارة المحترقة ، ولا يؤدي الى مثل ذلك
الا خذلان من الله تعالى^(٢) .

غير انهم رجعوا بخفي حنين ، وآبوا بمثل ما آب به الوعل الذي
سوّلت له نفسه ان ينطع صلد الصخور .

ولم يذكر اصحاب الطبقات دارسا آخر تنسب اليه البرائسة في النحو
المكوفى الا انكسائي ، والكسائي لم يشهر بال نحو قبل ذهابه إلى البصرة
ولقيه الخليل بن احمد وارتحاله إلى البوادي لشفافهة الفصحاء ، واد رجع

(١) البيان والتبيين ١/١٥٣ .

(٢) الحيوان ٩٢/٩٣ .

من الbadية بعد رحلة طويلة لم يكن له هم الا البصرة والخليل ، ولكن الخليل كان قد مات قبل وصوله الى البصرة ، ولم يمتحن في البصرة طويلا ، فقد رجع الى الكوفة ، ولكنه لم يلبث ان ازعج الى بغداد ليؤدب ولد المهدى ونان قد استجاب لامر الخليفة ، واقام في بغداد .

اخـ. الكسائـيـ بعد اقامته في بغداد يتتصدر حلقات الدرس ، ويخطـط لمذهب نحوـيـ جديـدـ يبنيـه على أسمـاءـ جديـدةـ مستـفـادةـ من منـهجـ الـدرـاسـةـ التـىـ الـفـهـماـ يومـ كانـ فيـ الـكـوـفـةـ ، وهـىـ الـقـرـاءـةـ التـىـ هـىـ سـنـنـةـ مـتـبـعـةـ ، لا تـصـحـ بالـقـيـاسـ ، ولا تـخـضـعـ لـالـتـعـلـيـلـ ، وهـوـ منـهجـ جـدـيدـ اذاـ قـرـنـ بـمـنهـجـ الـبـصـرـيـنـ فـىـ تـنـاوـلـهـمـ مـوـضـوـعـاتـ النـحـوـ بـالـدـرـسـ .

فالـكـسـائـيـ اذـنـ هوـ النـحـوـيـ الـاـولـ الـذـىـ شـهـدـتـهـ الـكـوـفـةـ ، وهـوـ النـحـوـيـ الـاـولـ الـذـىـ شـهـدـتـهـ بـغـدـادـ ، واـذاـ اـرـيدـ انـ يـؤـرـخـ لـمـدـرـسـ النـحـوـيـ فـىـ الـكـوـفـةـ اوـ فـىـ بـغـدـادـ فـيـنـيـغـىـ اـنـ يـؤـرـخـ لـهـ بـعـمـلـ الـكـسـائـيـ ، وهـوـ يـتـصـدـرـ مـجاـلسـ الـدـرـسـ فـىـ بـغـدـادـ .

واـخـدـ عـنـهـ جـمـاعـةـ مـنـ الدـارـسـيـنـ كـانـ اـبـوـ زـكـرـيـاـ الفـرـاءـ فـىـ مـقـدـمـتـهـ ، فـقـدـ كـانـ عـلـىـ جـانـبـ عـظـيمـ مـنـ الذـكـاءـ وـحدـةـ الـذـهـنـ وـقـوـةـ الـاحـفـظـ ، وـدـقـةـ الـضـبـطـ . وـكـانـ ، وـلـمـ يـكـنـ مـنـ الدـارـسـيـنـ الـمـعاـصـرـيـنـ فـىـ بـغـدـادـ اوـ الـبـصـرـةـ مـنـ يـقـرنـ بـهـ ، وـكـانـ مـنـ بـعـدـ الـهـمـةـ اـنـ اـعـادـ الـنـظـرـ فـىـ الـدـرـسـ النـحـوـيـ جـمـلةـ ، وـرـسـمـ لـهـ الـحـدـودـ التـىـ اـكـسـبـتـهـ الشـخـصـيـةـ الـمـسـتـقـلـةـ .

وسـارـ الـدـرـسـ فـىـ حـدـودـ مـارـسـمـ الـفـرـاءـ وـخـطـطـ وـوـضـعـ حـتـىـ تـولـىـ الرـئـاسـةـ فـيـهـ اـبـوـ العـبـاسـ اـحـمـدـ بـنـ يـحـيـىـ ثـلـبـ ، وـكـانـ اـخـذـ الـلـغـةـ عـنـ مـحـمـدـ بـنـ زـيـادـ الـاعـرـابـيـ ، وـالـنـحـوـ عـنـ سـلـمـةـ بـنـ عـاصـمـ وـمـحـمـدـ بـنـ قـادـمـ ، وـامـ يـبـلـغـ الـخـامـسـةـ وـالـعـشـرـيـنـ حـتـىـ حـفـظـ كـتـبـ الـفـرـاءـ كـلـهـاـ وـتـصـدـرـ لـتـدـرـيـسـ ، وـكـانـ حـافـظـاـ ثـبـتـ طـاغـةـ مـعـرـوفـاـ بـصـدـقـ الـمـهـجـةـ وـالـمـعـرـفـةـ بـالـعـرـبـيـةـ وـالـشـعـرـ ، وـكـانـ مـنـ سـعـةـ الـحـفـظـ اـنـ كـانـ اـبـنـ الـاعـرـابـيـ اـمـتـاذـهـ اـذـ شـكـ فـىـ شـئـ سـأـلـهـ عـنـهـ ، وـكـانـ نـمـوذـجـاـ

للدارس البغدادي الذي يعتقد بالسماع ، وكان اذا سئل عن مسألة قال : قال الفراء وقال الكسائي ، فإذا سئل عن العلة لم يعرف النظر ، هكذا وصفوه ، وربما كانوا يغمزونه بهذا اذا اريد الى الموازنة بينه وبين معاصره ابى العباس المبرد ، ولكنهم كانوا على وهم كبير لانهم كانوا يظنون خطأ ان سبيل النحو هو القياس والتعليل والنظر .

واذ ورد المبرد بغداد كانت الحياة العقلية مهيأة لقبول الدرس البصري واساليبه العقلية في معالجة موضوعات النحو وتعليلاته واحتاجاته والزماماته ، ووجد الدارسون في النحو البصري ما يتلاءم مع الاتجاهات العقلية في الدرس فأخذوا يختلفون إلى مجلسه ، واخذ جماعة منهم ينقطعون عن مجلس ثعلب ، ويلزمون المبرد ، وجماعة منهم يلزمون مجلس ثعلب ، وجماعة ثالثة كانت تختلف إلى المجلسين وتأخذ عن الشيفيين .

وقد ادى هذا إلى ان ينقسم الدارسون على انفسهم ، فمن مؤيد لذهب ثعلب ، ومؤيد لذهب المبرد ، وادى هذا الانقسام إلى احياء التعصب المذهبى وادى احتكار التلاميذ بعضهم ببعض إلى اشتداد هذا التعصب ، وفي عهد هؤلاء راجت الافتعالات والمزاعم ، وراح كل فريق يتتعصب لشيخه ومذهبه ، وفي عهد هؤلاء ظهرت التسممية بالковية ابتدعها تلميذ المبرد ليميزوا انفسهم من تلميذ ثعلب ، لانهم جميعاً ببغداديون ، ثم انسحبوا التسممية على شيوخهم ثعلب والفراء والكسائي وغيرهم ، وقبل هذا لم يكن الكسائي ولا الفراء ولا ثعلب ليسموا بالkovيين ، حتى المبرد نفسه لم يكن يعرف هذه التسممية ، ولم تجر على لسانه ولا قلمه ، بل كان اذا تحدث عنهم او حکى عن احدهم سماهم بالبغداديون ، فقد حکى عنه انه قال : «مارأيت للبغداديين كتاباً خيراً من كتاب يعقوب بن السكري في المنطق»^(٣) ، وهو انما عنى بالبغداديين من نسمتهم اليوم بالkovيين .

(٣) نزهة الالباء ٢٤٠ .

وظل البغداديون الكوفيون يمثلون خطأ واضحا ، واتجاهها على حدة ، والبغداديون البصريون يمثلون اتجاهها آخر على حدة ايضا ، وسار الاتجاهات جنبا الى جنب وهما يتذدقان قوة وحيوية ، ويقدمان للدرس النحوي واللغوي مزيدا من القوة والحياة طوال القرن الرابع ، لانهما كانا ما يزالان يصدزان عن موارد ما تزال الحياة تتردد فيها ، غير ان الاعتماد عليهما كان محدودا ، لان منطقة الاحتجاج كانت محدودة ، لا تعدو ان تكون بعض اثنيات المحصورة التي كانت ما تزال تتعلق بأسباب الحياة البدوية ، وقد عاش الازهرى [—] بينها — دهرا طويلا بعد أن امتحن بالاسرار فيهم ، ورأهم « يتبعون مساقط الغيث أيام النشجع ، ويرجعون إلى أعداد المياه ، ويرعون النعم ، ويعيشون بأسبابها [—] ويتكلمون بطباعهم البدوية ، وقرائحهم التي اعتادوها ، ولا يكاد يقع في منطقهم لحن او خطأ فاحش »^(٤) .

ولكن هذه البقية ما لبثت أن اضمحلت حتى لم يعد لهؤلاء طباعهم البدوية ولا قرائحهم التي اعتادوها ، ولم يعد للدارسين مورد يصدرون عنه ، ولالدرس شيء جديد يمدّه بالقوة والحياة .

وكان يمكن للدرس أن يحتفظ بأصالته وحيويته لو أن الدارسين كانوا يعون موضوع تخصصهم ، ويعرفون طبيعة عملهم ، ويدركون أن مصادر الدرس لم تنضب ، لأنها ماثلة ، ممثلة بما كتبه الأدباء وانشئوه ، وبما ابتدع الشعراء من أساليب وتعبيرات ، علاوة على النصوص القرآنية ، وما دون المحدثون من صحاح الأحاديث ، وما ترك الدارسون الاولى من تراث ضخم يتمثل في التقول عن الفصحاء ، والحكاية عنهم ، والسماع منهم ، ولكن الدارسين [—] لم يمكنوا الدرس من الافادة من تلك الموارد الشرة بالزام أنفسهم المتابعة والتقليل ، وتحرّجهم من الاحتجاج بكلام المعاصرين من منشئين وشعراء ومؤلفين ، وهي نظرة كانت وما تزال موضع جدال وخصوصية بين القديم والجديد ، والمحافظة والتجدد .

(٤) تهذيب اللغة ٧/١ .

كان الدارسون بعد القرن الرابع بمعزل عما يحيط بهم من موارد الدرس كانوا يتلقون أبياتاً لاعراب محكية او مكتوبة ، ويتحامون الافادة من شعر أبي تمام وأبي الطيب وأبي العلاء ومن كان يعاصرهم ومن كان يتقدمهم ، على أنَّ الدارسين لم يقعوا على لكتة في أشعارهم تحول دون الأخذ بكلامهم ، والاحتجاج به ، ولا على انحراف عن سنن العربية واصولها العامة ، ولم يجدوا في أشعارهم من المآخذ والمعايب ما أخذ على من كان في مقدمة من يحتاج بشعره من شعراً الجاهلية وشاعراً العصر الأموي كالنابغة والفرزدق ، وكل ما كانوا يرونه عيباً في كلام هؤلاء أنهم كانوا متأخرین عن عصر الاحتجاج الذي حدده هم وألزموا به أنفسهم ، وأنهم كانوا مجديين فيما ابتدعوا من أساليب وتعبيرات وصور حضارية جديدة ، وفيما أضافوا إلى دلالات كثير من المفردات من دلالات جديدة أمدتها بها حضارة المرحلة التي عاشوا فيها .

كان الدارسون متابعين مقلدين، وجدوا أسلافهم على أممَّة فأقتدوا على آثارهم، وتابعوهم حتى في الامثلة والشواهد ، يعيدونها ويكررونها بدون أن يزيدوا عليها شيئاً ، أو ينقصوا منها شيئاً .

كان هذا من أمر الدرس في بغداد، أما أمر الدرس في الآفاق ، في الأندلس وفي مصر مثلاً فلم يكن أحسن حالاً ، بل كان اعتماده على نتاج الدارسين المشارقة في البصرة وبغداد ، ولم تبد فيه من سمات الأصالة ما يمكن معه أن يجعل منه درساً له طابع خاص ، ولم يجد من الدارسين هناك أنهم أفادوا من الفصحاء الذين نزحوا بعد الفتح ، وانتشروا في تلك الآفاق، أو عُنوا بمشافهتهم والأخذ عنهم . وجمل ماجاء به أولئك شروح مصنفات المشارقة وفي مقدمتها : كتاب سيبويه ، وجمل الزجاجي ، وايضاح الفارسي ، او تعليقات على تلك المصنفات ، او شروح لابيات الشواهد فيها ، او مصنفات تستمد مادتها من تلك

المصنفات ، وتنعد أبوابها وفصولها على أبواب المصنفات وفصولها ، و تعرض فيها الآراء المختلفة عرضا لا يقوم على أساس مذهبي كارتشاف أبي حيان ، وهم من السيوطى وغيرهما .

لهذا كان من التصنيع أن يزعم زاعم أن الدرس النحوي كان يواصل مسيرة ته بالقوة والحياة اللتين تهدناهما فى نحو الأوائل، لأن من تتبع مسيرة هذا الدرس على تعاقب العصور وامتداد المسافات يحس بأن الدرس النحوى انتهى ولم يعد فيه من سمات الدرس إلا شكله .

كذلك من التصنيع أن يطيل الكلام دارس فيما يسمى بالمذهب البغدادى الذى يقف بازاء المذهب البصرى والمذهب الكوفى ، او يزعم أن فى تلك الآفاق درسا نحوياً متميزاً ، أو أن للأندلس مدرسة نحوية ، ولنصر مدرسة نحوية ، فقد تتبعنا مسيرة الدرس النحوى فى تلك الآفاق فرأينا أن النحو فى الاندلس نشأ كوفيما على يد جودى بن عثمان ، ولم تعرف الاندلس نحو البصرة الا فى عهد متأخر على يد الأفشنىق الذى أدخل كتاب سيبويه الاندلس أول مرة ، ثم محمد ابن يحيى الرباحى أستاذ أبي بكر الزبيدى ، وبقى الدرسان يسيران جنباً الى جنب الى أن سرت فى بيئات الدرس عدوى التعصب لمذهب البصرىين نهض به دارسون متابعون مقلدون ، فانتصر بهم هذا المذهب ، وانكمش ظل الدرس الكوفى زماناً ، ثم قدر له أن يسترد اعتباره بما كتبه ابن مضاء القرطبى ومادعا اليه ، ولم يك الدارس المتتبع يجد شيئاً جديداً فيما ألف فى نحو البصرىين ، ولا ما ألف فى نحو الكوفيين ، ولم يجد فى دعوة ابن مضاء الا بعثاً لنحو الكوفيين وأرائهم وطريقتهم فى تناول موضوعات النحو بالدرس .

وتتبعنا مسيرة الدرس فى مصر فرأينا ان النحو الذى عرفته مجالس الدرس فى مصر كان بصرىا خالصا ، ولم نجد دارساً مصرىاً كان قد أخذ النحو عن أحد من الكوفيين ، ثم أصاب الدرس فى مصر ما أصاب الدرس فى بغداد من جمود وجدب .

ولم يلحظ الدارس أن شيئاً جديداً طرأ على الدرس النحوي في تلك الآفاق ، أو أن ملامع شخصية متميزة لاحت على اعمال النحاة فيها ، أمّا محاولة بعض الدارسين لاستخلاص مذهب خاص ينسب إلى البيئة الاندلسية ، أو البيئة المصرية إلى حدّ أنّ يسمى بمدرسة فمحاولة اثبت الدرس أنها محاولة تستند إلى وهم لا يمت إلى الواقع بسبب .

يؤيد هذا أن صاحب المحاولة نفسه كان قد انتهى في تتبعه مسيرة الدرس النحوي في الاندلس ومصر إلى :

١ - أن الاندلس إنما عرفت النحو الكوفي أول عهدها بهذا الدرس ، ثم عرفت الدرس البصري ، ثم نشأت طبقة من الدارسين نهجت نهجاً بغدادياً بعمقها في مصنفات البصريين والковيين ، ثم كان المؤخرون الذين وضعهم صاحب هذه المحاولة في اتجاه المدرسة البغدادية ، ولم يشر إلى خصائص أندلسية تجعل من الدرس النحوي في الاندلس نحواً جديداً .

٢ - وإن الدرس النحوي في مصر نشأ بصربياً أولاً بأعمال ولاد وبنيه ، ثم كان بغدادياً بأعمال أبي علي الدينوريّ اذ أخذ عن ثعلب والمرادي ، وأبي جعفر النحاس ، اذ أخذ عن تلاميذ المبرد وتلاميذ ثعلب ، ثم كان المؤخرون الذين جعلهم في اتجاه المدرسة البغدادية ، ولم يشر أيضاً إلى ملامع شخصية مستقلة يمكن ان تنسب الدارسين في مصر إلى مذهب خاص ، أو مدرسة بعينها تسمى بالمدرسة المصرية .

ولا أرى هذه المحاولة الا ترقى وتأنقاً لا يليق مثلكما بجدية البحث .

وانما عرضنا للدرس النحوي في الآفاق لتتبّع مسيرة الدرس البغدادي الذي سمي - بعد - بالكوفي ، ولتحديد (البغدادية) التي جرت على اقلام المؤلفين ، وكانت تجرى على ألسنة المؤرسين ، ولتبديد الوهم الذي علق بأذهان

الدارسين المحدثين ، حين تصوروا أنَّ البغدادية تعنى مذهباً آخر غير مذهب
البصريين ومذهب الكوفيين .

ومردَّ تعلقهم بهذا الوهم :

- ١ - ماجاء في فهرست ابن النديم من تصنيف النحوين ثلاثة أصناف :
بصريين وكوفيين ودارسين كانوا يخلطون المذهبين .
- ٢ - وشيوخ اسم البغداديين في مصنفات المتأخرین ، وتسردده بازاء
البصريين والكوفيين .

وقد ظهر لنا في أثناء الفصول أنَّ ابن النديم لم يرد بخلط المذهبين مذهبًا ثالثًا ، وأنَّ البغداديين في مصنفات المتأخرین هم الكوفيون ، لأنهم يقفون مع الكوفيين في أكثر مسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين ، ولم يذكر لهم رأي ينافق رأى الكوفيين . غير أن هذه التسمية جازت على أئمَّة الدارسين المحدثين فراحوا يفسرون المسألة ويرسمون خطوطها ، ثم يطبقونها في توسيع لا يقره البحث ، كما فعل الدكتور شوقي ضيف في كتابه (المدارس النحوية) .



الفهارس

- ١ - فهرس أعلام الأشخاص**
- ٢ - فهرس الكتب الواردة في صلب البحث**
- ٣ - فهرس الآيات**
- ٤ - فهرس الأشعار**
- ٥ - فهرس أنصاف الأبيات**

فهرس أعلام الأشخاص

صنع هذا الفهرس على وفق المشهور من العلم ، أسمه او كنيته او لقبه ،
باسقاط (ال) وصدر الكنية نحو (أب ، ابن ، اخ) .

<p>ابو الاسود الدؤلى ١٨٦ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ١٩٩</p> <p>ابن أخي الاصمعي ١٩٥</p> <p>الاصمعي (عبد المنك بن قريب) ١٣ ، ٢٩ ، ٨٩ ، ١٢٠ ، ١٤١ ، ١٧٠ ، ٢١٨ ، ٢٠٠ ، ١٩٥</p> <p>ابن الأعرابى (محمد بن زياد) ١٢٠ ، ٢٤ ، ٨٤ ، ١٤٢ ، ١٤٨ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٤٦</p> <p>الاعلم الشنتمرى (يوسف بن سليمان ابن عيسى) ١٤٦ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٤</p> <p>الاعمش ٣٠ ، ٦٢ ، ٣٠ ، ٦٢ ، ١٧٣ ، ١٨٤ ، ١٧٣ ، ١٨٤ ، ٢٥٠</p> <p>الافشنيق (محمد بن موسى بن هاشم) ١٧٢ ، ١٨٤ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٥</p> <p>الافغاني (سعيد) ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٥</p> <p>ابن الأفليلي (ابو القاسم ابراهيم بن زكرييا الزهرى) ١٧٥</p> <p>امرأة القيس (الشاعر) ٨٩</p> <p>الأنباري (أبو البركات) ٢٦ ، ٣٨ ، ٨٧</p> <p>ابن الأنباري (أبو بكر) ٨ ، ٢٨ ، ٨١</p> <p>ابن الأنباري (أبو بكر) ١٢٢ ، ١٢١ ، ١٢٠ ، ١١٩ ، ٩٥</p> <p>الأنباري (القاسم بن بشمار) ١٤١ ، ١٩٧</p> <p>الانصارى (الدكتور احمد مكي) ٤١ ،</p>	<p>الهمزة ٣٠ ابراهيم</p> <p>ابراهيم بن المهدى ١١</p> <p>ابراهيم بن قطن المهرى ٢٠٠</p> <p>ابراهيم مصطفى ٨٥ ، ٨٦</p> <p>أبى ٦٧</p> <p>أحمد أمين (موئذن ضمئى الاسلام) ٨٤ ، ١٢٩ ، ١٩٠</p> <p>أحمد بن بترى ١٧٢</p> <p>احمد بن حاتم الباهلى ١٩٥</p> <p>أحمد بن يوسف بن حجاج ١٧٤</p> <p>الاحنف بن قيس ١٠</p> <p>الاخفش الاكبر (ابو الخطاب عبد الحميد بن عبدالمجيد) ٥٤ ، ٩٠ ، ١٤٦</p> <p>الاخفش الاوسط (سعيد بن مساعدة) ١٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٤٥</p> <p>الاخفش الصغير (علي بن سليمان) ١٤٦ ، ١٤٥ ، ١٣٢ ، ١٢٩ ، ١٢٨ ، ١٤٧ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٨٤ ، ١٩٤</p> <p>الازهرى (الشيخ خالد) ١٦٩ ، ٢١٨</p> <p>الازهرى (ابو منصور محمد بن احمد) ١٥٤ ، ١٢٠ ، ١١٩ ، ٨٣ ، ٦٦ ، ٢١</p> <p>ابو اسحاق ٣٠</p> <p>اسحاق الموصلى ١١</p> <p>الاسوارى (ابو علم) ٦٩ ، ٧٢</p>
---	--

١٤٣ ، ١٤٢ ، ١٣٩ ، ١٣٦ ، ١٣٥
 ، ١٥٠ ، ١٤٨ ، ١٤٧ ، ١٤٥ ، ١٤٤
 ، ١٨٧ ، ١٧٩ ، ١٧٨ ، ١٧١ ، ١٥١
 ، ١٩٩ ، ١٩٧ ، ١٩٦ ، ١٩٣ ، ١٨٧
 ، ٢١٤ ، ٢٠٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠١
 ، ٢٢٥ ، ٢٢٠ ، ٢١٩ ، ٢١٨ ، ٢١٦
 ، ٢٤٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٢ ، ٢٢٩
 ٢٥١ ، ٢٤٧

أبو ثروان ٣١

ثمامه بن الاشرس (أبو بشر) ٣٥ ، ٢٧ ،
 الثورى (سفيان) ٦٨ ، ٧٩
 الجاحظ (ابو عثمان عمرو بن بحر) ٦٩ ،
 ٧٩ ، ٧٢ ، ٢٠٠ ، ٢٤٥

ابو الجاموس (ثور بن يزيد) ٧١
 ابو الجراح العقيل ٣١

الجرمي (ابو عمر صالح بن اسحاق)
 ٢٢ ، ٢٩ ، ١٩٥ ، ١٠٩ ، ١٩٨

ابن جنی (ابو الفتح عثمان) ٦ ، ٧ ،
 ٢٢١ ، ٢٢٠ ، ١٥٤ ، ١٤٤ ، ١٣٤
 ٢٣٩ ، ٢٣٥ ، ٢٣٢ ، ٢٣١ ، ٢٢٢
 جودي بن عثمان ٨٢ ، ١٧١ ، ١٧٢ ،
 ١٨٤ ، ٢٥٠

الباء

ابو حاتم السجستاني ١٤ ، ٣٤ ، ٨٨
 ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠١ ، ١٠٩ ، ١١٧ ،
 ١٢٠ ، ١٩٦ ، ١٩٤ ، ١٧٣ ، ١٧٢ ،
 ٢١٦ ، ٢١٣ ، ٢٠٢ ، ١٩٨ ، ١٩٧
 ٢٤٥ ، ٢٣٣ ، ٢٣٠ ، ٢١٨

الحاتمي ١٢٢

ابن العاجب ٧٤ ، ١٥٦ ، ١٥٧
 ابن العازم ٨٣

العامض (ابو موسى) ٨٢ ، ١١٩ ، ١٢٩
 ، ١٣٠ ، ١٥١ ، ١٩٩ ، ١٨٦ ، ٢٠٦

٢٢٩

ابن حجر ٦١

٢٤١ ، ٢٤٠ ، ٢٣٩ ، ١٢٦ ، ٩٥
 ٢٤٣ ، ٢٤٢
 ايوب بن ابي تميمة ٥٦ ، ٦٩
 الباء

ابن بابشاذ (ابو الحسن طاهر بن
 احمد) ١٦٤ ، ٢٢٣
 ابن الباذش (علي بن احمد الانصاري
 القرطبي) ١٧٥

البارد (زيد بن الربيع بن سليمان
 العجري) ١٧٣

ابن برهان ١٢٢ ، ١٢٣
 بروكلمان ٥ ، ٨٤ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،
 ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٥ ، ١٢٩ ، ١٢٩
 ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٢٩
 ٢٣٩

البغدادي (عبدالقادر بن عمر صاحب
 الخزانة) ٦٨ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ،
 ١٤٦ ، ٢٢٣

البغدادي (موفق الدين) ٦٦
 ابو تمام (الشاعر) ٢٤٩

السنوخي ١٢٢
 ابو توبة بن دراج ٢٩
 التوزي ١٩٥

الثاء

ثابت بن حيان ١٥٧
 عتب (ابو العباس احمد بن يحيى) ٦ ، ٨
 ، ١٣ ، ٢٨ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢
 ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣

، ٦٨ ، ٦٧ ، ٦٧ ، ٧٧ ، ٧٧ ، ٧٧
 ، ٧٩ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨١ ، ٨٠
 ، ٩٤ ، ٩٣ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٨٦ ، ٩٥
 ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥

، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨

، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٤ ، ١٢٥

السدال

- ابن دأب (عيسى بن يزيد) ١٩٦
 ابن درستويه (عبدالله بن جعفر) ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٩٠ ، ١٤٤ ، ١٩٨ ، ١٤٤ ، ٩٠ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٧٢ ، ١٩٩
 ابن دريد (ابو بكر) ١٩٦ ، ٢٠١
 الدمامي (محمد بن ابي بكر المخزومي) ١٦٩
 اندورى (ابو عمر حفص بن عمر) ٦٢
 الدينوري (ابو حنيفة) ٧٨ ، ١٨٦ ، ١٨٧
 اندينوري (ابو علي احمد بن جعفر) ٤٩ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، ١٧٣ ، ٢٥١

السدال

ذو الرمة (الشاعر) ١١

الراء

- الرباحى (محمد بن يحيى) ١٦٣ ، ١٦٢ ، ٢٠٠ ، ١٧٤
 الرضى الاسترى بادى ١٩ ، ٣٨ ، ٨٢ ، ٧٩
 ٢٢٢ ، ٢٢١

ابن الرماك (عبد الرحمن بن محمد)
 الاشبيلي (١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٢٦ ، ١٩٩)
 الرمانى (على بن عيسى) ٨٠ ، ١٢٦ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨

الرواسى (ابو جعفر) ١٤ ، ١٦ ، ١٦ ، ٢٥ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٣٤ ، ١٠٤ ، ١٠٢ ، ١٠١ ، ١٠١ ، ١٩٩ ، ١٩٤ ، ١٨٦ ، ١١٦ ، ١٠٥ ، ٢١١ ، ٢١٠ ، ٢٠٩ ، ٢٠٨ ، ٢٠٧ ، ٢٤٤ ، ٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٠ ، ٢١٣

الرياحى (ابو البيدة) ٧١

الرياشى (ابو الفضل) ١٣ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ١٩٨ ، ١٩٥ ، ١٧٣ ، ١١١

٢٣٠

- ابو حرشن (عبدالله بن رافع) ١٧٢
 احرمازى ١٩٥
 حسام النعيمى ١٦٤
 الحسن البصري ١٠ ، ٥٦
 حماد بن سلمة ٥٦ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٦٣ ، ٦١
 حماد اثراوية ٨٩ ، ١٩٥ ، ٢٠٠ ، ٢٤٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٤ ، ٢١٦
 ابو حنيفة ٢٧
 أبو حيان التوحيدى ٧٩ ، ٢١٩
 ابو حيان النحوى الاندلسى ١٨ ، ٥٥ ، ٦٨ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ٢٥٠ ، ٢٢٣ ، ١٨٤

الخاء

ابن خالويه ٥٤ ، ١٤٨ ، ٨٢ ، ١٤٩

ابن خروف ٨٦ ، ١٧٦ ، ١٧٨

الخطيب (ابو بكر احمد بن الحسين) ١٤٩

الخطيب البغدادى ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤

الحضرى ١٦٩

ابن خلف الاحمر ١٤٦

ابن خلukan ٨٩

الخليل بن أحمد ١٠ ، ١٢ ، ١٢ ، ١٦ ، ١٤ ، ٢٧ ، ٢٧ ، ٢٥

الرواسى (ابو جعفر) ٦٩ ، ٦٦ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٧٢ ، ٧٢ ، ٧١

الرماني (على بن عيسى) ١٠٧ ، ١٠٥ ، ١٠٤ ، ٩٩ ، ١٦٠ ، ١١١ ، ١١٠ ، ١٠٩ ، ١٠٨

٢٠٧ ، ٢٠٠ ، ١٩٨ ، ١٩٥ ، ١٦٦

٢٣٧ ، ٢٢٤ ، ٢١٢ ، ٢١١ ، ٢١٠

٢٤٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤

ابن الخياط (ابو بكر) ٨١ ، ١٢٨ ، ١١١

١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٤٠ ، ١٤٠ ، ١٩٢ ، ١٨٧

٢٣٣ ، ٢٢٨ ، ٢٠٥ ، ١٩٩ ، ١٩٨

الزاي

الزياء

الزبيدي (ابو بكر) ٢٤ ، ١٢٤ ، ١٢٥
١٦٦ ، ١٦٣ ، ١٦٢ ، ١٦١ ، ١٤٠ ، ١٦٣
١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٩
١٨١ ، ١٨٤ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢١٩

زبيل (أبو الفضل) ١٣٠، ٨١
الزجاج ٨، ٤٩، ٨٠، ٥٠، ١٢٣، ١١٩، ٨٠، ١٢٢
، ١٣٠، ١٢٨، ١٢٦، ١٢٥، ١٢٤
، ١٤٤، ١٣٩، ١٣٨، ١٣٧، ١٣٥
، ١٧٧، ١٧٣، ١٧٢، ١٥١، ١٤٧
، ٢٠١، ١٩٩، ١٩٨، ١٩٧، ١٩٥
٢٣٨، ٢٣٣، ٢٣٢، ٢٠٥

الزجاجي (أبو القاسم) ٢٩ ، ١٢٦ ، ١٢١ ، ١١٩ ، ٨١
، ١٢٨ ، ١٣٣ ، ١٣٢ ، ١٣١ ، ١٣٠ ، ١٢٩
، ١٤٠ ، ١٣٨ ، ١٣٧ ، ١٣٦ ، ١٣٤
، ١٤٧ ، ١٤٦ ، ١٤٤ ، ١٤٣ ، ١٤١
، ١٩٩ ، ١٩٢ ، ١٨٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩
، ٢٢٩ ، ٢٢٨ ، ٢٢٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٤
، ٢٣٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣١ ، ٢٣٠
، ٢٣٨ ، ٢٣٦ ، ٢٣٥

زربن حبیش ۲۵، ۵۷

الزركشي ٦٦

الزمخشري ٦٦ ، ٨٣ ، ٩٨

ابو زيد الانصارى ١٧ ، ٥٤ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠
١٧٠ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٦٢ ، ٢٢٤ ، ٢١٨

المسنون

ابن السراج (ابو بكر) ٨٠ ، ٥١ ، ٨ ، ٩٩ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، ١٧٧ ، ١٥٣ ، ١٥١ ، ١٤٤ ، ١٤٣ ، ١٩٩ ، ١٩٨ ، ١٩٧ ، ١٩٥ ، ١٦٨ ، ٢٣٨ ، ٢٣٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠١

الطبرى (ابو جعفر محمد بن رستم) ٢٢	العقيل) ١٥٤ ، ٢٢١
ابن الطراوة (سليمان بن محمد) ١٧٦	الشرقى بن القطامي ١٩٦
طلحة بن عبدالله ١٠	شريك بن عبدالله ٣٠
طه نراوى ٩٣ ، ١٨٢ ، ١٨٣	الشعبي (عامر بن شراحيل) ٥٥،٢٣
ابو الطيب اللغوى ١٥ ، ٩٠ ، ١١٧ ،	٢٠٠
١٢٢ ، ٢٠٣ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ،	ابن شقير (ابو بكر) ١٢٩ ، ٨١ ، ٢٨
٢٣٢ ، ٢٢٩ ، ٢١٨ ، ٢٠٤	١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٠ ، ١٤٣
ابو الطيب المتنبى ٨٢ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ،	١٤٤ ، ٢٠٥ ، ١٩٩ ، ١٩٨ ، ١٨٧
١٥١ ، ٢٤٩	٢٣٣ ، ٢٣٠ ، ٢٢٩ ، ٢٢٨
العين	
عاصم بن ابى النجود ٢٥ ، ٦٢ ، ٥٧ ،	الشلوبيين (ابو عملي عمر بن محمد) ١٥٧
٢٤٤ ، ١٩٤	١٧٦
عائشة ٥٩	الشيبانى (ابو عمرو) ١٣ ، ١٩٦
أبو عبد الرحمن السعى ٢٥ ، ٥٧	الصاد
عبدالسلام هارون ٨٧	ابن الصائغ ١٦٩
عبدالله بن ابى اسحاق ١٩٤ ، ١٩٨	ابو صالح ٣٠
عبدالرحمن السيد (الدكتور) ٩٢ ، ٩٠	الصبان ١٦٩ ، ٢١٨
٢٠٨ ، ١٠٥	الصولي (ابو بكر محمد بن يحيى) ٢٠٠
عبدالرحمن بن الاسود بن يزيد النخعى ٣٠	٢٠٤ ، ٢٠٣
عبدالله بن العباس ٣٠،١١	النفاذ
ابو عبدالله المهدى ٢٤	ابن الضيائع ٦٨
عبدالله بن شبرمة ٥٥	الضرير (عبدالملك) ١٣٠ ، ٨١
عبدالله بن عامر ٥٥	الضرير (ابو عبدالله هشام بن معاوية)
عبدالله بن مسعود ٢٣ ، ٢٥ ، ٦٧	٢٢ ، ١٣٨ ، ١٦٩ ، ١٩٩ ، ٢٣٧
عبدالملك بن مختار ١٧٢	ضيف (الدكتور شوقي) ٨٥ ، ٨٤ ،
عبدالملك بن مروان ٢٠٨	١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩
ابو عبيدة (معمر بن المنى) ١٠٩ ،	١١٠ ، ١١٥ ، ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٣٦
١٢٠ ، ١٩٥ ، ٢٠٠ ، ٢١٨	١٣٩ ، ١٦٨ ، ١٦٧ ، ١٦٦ ، ١٦٩
عثمان بن عفان ٢٥ ، ٥٥	٢٣٢ ، ٢٣١ ، ٢٣٠ ، ٢٢٩ ، ١٨٤
العروضى (ابو الحسن) ٢١٤	٢٣٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣٤ ، ٢٣٣
ابن عصفور ١٤٢ ، ٢٢٣	٢٥٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤٠ ، ٢٣٩
ابو عصيدة (احمد بن عبيد بن ناصح)	الظاء
١٤٤ ، ١٤١ ، ١٣٩	ابو طالب المكوف ٢٤
ابن أبي عقرب ١٩٨	ابن طاهر (عبدالله) ٧١
١٧٩ ، ١٤٣ ، ١٤٢ ، ٥٢	ابن طاهر (محمد بن عبدالله) ١٧٦
ابن عقيل ١٣ ، ١٣٩	ابن طاهر (محمد بن عبدالله) ١٣ ، ٥٢

، ٦٧ ، ٦٤ ، ٦٢ ، ٦١ ، ٦٠ ، ٥٩ ، ٨٠ ، ٧٩ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٧٣ ، ٧٠ ، ٩٠ ، ٨٩ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٨٢ ، ٨١ ، ١٠٠ ، ٩٩ ، ٩٨ ، ٩٧ ، ٩٦ ، ٩٣ ، ١٠٥ ، ١٠٤ ، ١٠٣ ، ١٠٢ ، ١٠١ ، ١١٤ ، ١١٢ ، ١١١ ، ١٠٨ ، ١٠٧ ، ١٢٤ ، ١٢٣ ، ١٢١ ، ١٢٠ ، ١١٧ ، ١١٥ ، ١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٢٥ ، ١٢٤ ، ١٢٣ ، ١٢١ ، ١٢٠ ، ١١٧ ، ١١٥ ، ١٦٨ ، ١٦٧ ، ١٦٥ ، ١٥٠ ، ١٤٨ ، ١٩٢ ، ١٩١ ، ١٨١ ، ١٧١ ، ١٧٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٠ ، ١٩٩ ، ١٩٧ ، ٢١٣ ، ٢١١ ، ٢١٠ ، ٢٠٧ ، ٢٠٦ ، ٢١٩ ، ٢١٨ ، ٢١٧ ، ٢١٦ ، ٢١٥ ، ٢٣٢ ، ٢٢٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢٣٧ ، ٢٣٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٦ الفرزدق ٢٤٩ أبو فقعن الاسدي ٣١ فلوكل ٥ ، ٦ ، ٨٤ ، ١٢٩ ، ١٨٧ ، ١٩٢ ، ١٨٩ ، ١٨٨	أبو العلاء المعربي ٢٤٩ عني الجمل ١٩٦ علي بن أبي طالب ٩ ، ٢٥ علي بن نصر الجهمي ١٩٥ عمر بن شيبة ٢٠٠ عمر بن كركرة ١١٠ ، ٧١ ، ٧١ ، ٦٤ ، ٥٣ أبو عمرو بن العلاء ٥٩ ، ٥٣ ، ٥٣ ، ١٢٣ ، ١٢٣ ، ٨٩ ، ٧٢ ، ١٢٨ ، ١٩٤ ، ١٥٣ ، ١٤٨ ، ١٩٨
القاف	أبو العمیث ٧١ عدی بن المبارک الاخرم ٢١ ، ١١٢ ، ٢٦ ، ٢١ ، ٢١٩ ، ١٩٩ ، ١٩٧ ابو عمر الزاهد ٨ ، ٥١ ، ١٢٣ ، ١٢٢ ، ٥١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٣ ، ١٨٦ ، ١٥١ ، ١٤٨ عنبرسه الفیل ١٩٤ ابن عیاش (ابو بکر) ٦١ ، ٥٥ عیاض بن عوانة بن الحكم ٢٠٠ عیسی بن عمر ١١١ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ، ١٩٨ ، ٢٤٤ ، ٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢١٠ ، ٢٠٧

القاسم بن سلام (ابو عبید) ٦٦ ، ٦٢ ، ٦٠ ٢٠٠ ، ١٩٧ انفارابی (ابو نصر) ١٩٩ ، ٧٢ ، ٧١ ، ٧٠ ، ٦٩ ، ٦٨ ، ٦٧ ، ٦٦ ابن فارس (أحمد بن الحسين) ٨٢ ، ٧٢ ، ٧١ ، ٧٠ ، ٦٩ ، ٦٨ ، ٦٧ القاضی عیاض ١٧ القالی (ابو علی) ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٣ ، ١٧٢ ، ١٧١ انفارسی (ابو علی) ٧ ، ٨٠ ، ١٢٦ ، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٢٤ ، ١٢٣ ، ١٢٢ ، ١٢١ قبیصہ بن جابر الاسدی ٢٠٠ ، ١٤٤ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٤٩ ، ١٤٨ ، ١٤٧ قتيبة النجوي ٢٢٤ ، ١٤٣ ، ١٤٣ ، ١٤٢ ، ١٤٢ ، ١٤١ ، ١٤١ ، ١٤٠ ، ١٤٠ ، ١٣٩ ابن قتيبة ٧ ، ٢٢٠ ، ٢١٩ ، ١٩٩ ، ١٨٦ ، ١٨٦ ، ١٨٦ ، ١٨٦ ، ١٨٦ ، ١٨٦ ، ١٨٦ ، ١٨٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٣٩ ، ٢٣٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٢ ، ٢٣٢ ، ٢٣٢ ، ٢٣٢ ، ٢٣٢ ، ٢٣٢ ، ٢٣٢ ، ٢٣٢ ، ٢٣٢ الفراء (ابو زکریا یعینی بن زیاد) ٦ ، ٦ ، ٦ ، ٦ ، ٦ ، ٦ ، ٦ ، ٦ ، ٦ ، ٦ ، ٦ ، ٦ ، ٦ ، ٦ ، ٢١ ، ٢١ ، ٢١ ، ٢١ ، ٢١ ، ٢١ ، ٢١ ، ٢١ ، ٢١ ، ٢١ ، ٢١ ، ٢١ ، ٢١ ، ٢١ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٢ ، ٤٢ ، ٤٢ ، ٤٢ ، ٤٢ ، ٤٢ ، ٤٢ ، ٤٢	الغازی بن قیس ١٧١ الفاء
القاف	الغین

- نافع بن أبي نعيم (المقرئ) ١٧١
 النببي ٦٥ ، ٦٦ ٢٠٠
 النجار (الدكتور عبدالحليم) ٨٤
 النجار (محمد علي) ٢٢٠
 النحاس (أبو جعفر احمد بن محمد ابن اسماعيل) ٩٠ ، ١٢٦ ، ١٦٢ ، ٢٢٣ ، ٢٠٠ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ٢٠٠ ، ١٦٦ ، ٢٥١
 ابن النديم (صاحب الفهرست) ٣١،٢٢ ، ٩٣ ، ٨٤ ، ٧١،٤٢،٤١ ، ٣٦،٣٥ ، ١٣٢ ، ١٢٥ ، ١١٩ ، ١١٨ ، ١١٠ ، ١٤٤ ، ١٤٣ ، ١٤٠ ، ١٣٦ ، ١٣٥ ، ١٨٩ ، ١٨٧ ، ١٨٦ ، ١٤٧ ، ١٤٥ ، ١٩٩ ، ١٩٨ ، ١٩٧ ، ١٩٣ ، ١٩٠ ، ٢٢٧ ، ٢٢٣ ، ٢١٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠١ ، ٢٥٢ ، ٢٣٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٠ ، ٢٢٩
 نصر بن عاصم الليبي ١٩٨
 النضر بن شمبل ١٩٥ ، ١٩٨
 نفطويه (أبو عبدالله ابراهيم بن عرفة) ١٤٨ ، ١٩٩ ، ١٨٦
الهاء
 هارون الرشيد ١٣،١١
 هارون بن الحائث ١٩٩،١٢٤
 هارون بن عبدالله ٣٠
 هادي محمود قراعة ١٢٦
 الهراء (معاذ) ١٤ ، ١٦ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٢١١ ، ٢٠٩ ، ٢٠٨ ، ٢٠٧ ، ١٩٩
 ٢٤٤
 الheroی (أبو عبید) ٦٦
 ابن هشام ٨٣ ، ١٤٣
 ابن هشام الخضراوي (محمد بن يحيى الخزرجي الاندلسي) ١٧٦
 الهواري (أبو موسى) ٢٠٠،١٧١،١٧٠
 ابو الهيثم العقيلي ٣١
- محمد بن اسحاق بن يسار ٣٥
 محمد بن الجهم السمرى ٢٧
 محمد بن الحسن ٢٠٠ ، ١٩٥ ، ١٩٣
 محمد بن سيرين ١٠
 محمد الطنطاوى ١٨٣ ، ٢٠٨
 محمد بن عبدالعزيز التيمي ٣٠
 محمد بن عاصم (أبو عبدالله) ١٧٤
 محمد بن عبدالله بن الغازى ١٧٣
 محمد بن تادم ١٩٦ ، ٢٤٦
 محمد محيي الدين عبد الحميد ١٤٣
 ابو محمد المكوف ٢٠٠
 امرزبانى ١٤٥ ، ٢٠١ ، ١٤٧
 مروان بن سعيد ٩٩
 ابو مسلم (مؤدب عبد الملك) ٢٠٨
 مصعب الخشنى ١٧٦
 ابن مضاء ١٩ ، ١٧٥ ، ٨٦ ، ٨٥ ، ٨٢ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٥٠ ، ١٨٤ ، ١٨١
 مغيرة ٣٠
 مفرج بن مالك (ابو الحسن) ١٧٢
 المفضل بن سلمة ١٩٦
 المفضل الضبي ٨٩ ، ١٩٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢،٢٠٠
 ابن مقسم (أبو بكر محمد بن الحسين) ١٥٤
 ابن المقفع ٧١
 المنتجع ٧١
 المنصور (ال الخليفة) ١٠
 ابن منظور (صاحب اللسان) ٢٢١
 المهدى (ال الخليفة) ١٢ ، ١٤ ، ٢١٢ ، ٢٤٦
 ابو المهدى (ابو المهدية) ٧١
 المؤذن السدوسي ١٩٥
 ميمون الاقرن ١٩٤
النسون
 النابغة ١٥٠ ، ٢٤٩

الواد

ابو ابي سى	١١	، ٢٢١ ، ٣٠٠ ، آ ،
ولاد (ابو ليد بن محمد المصادرى التميمى)	٢٥١	١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٩ ، ٢٥١
ابن ولاد (ابو الحسن)	١٦١	١٦١ ، ١٦٦ ، ٢٠٠
ابن ولاد (ابو النعيس)	٥٠	١٦٢ ، ١٦١ ، ١٦٢
ابن ولاد (ابو القاسم)	١٦١	٢٠٠ ، ١٦١
ابو وهب بن عبد البرروف	١٧٢	٢٠٠ ، ١٦٦ ، ٢٠٠

الباء

ياقوت	٩٥ ، ١١٩ ، ١٣٥ ، ١٤٥ ، ١٣٦
يعيى بن معين	٢٣

فهرس

الهمزة

- ابو ذكريya الفراء (أحمد مكى الانصارى)
٢٣٩ ، ٩٦ ، ٩٥
- احياء النحو (ابراهيم مصطفى) ٨٥
- الاخبار اسطوال (ابو حنيفة الدينوري) ٧٨
- اخبار النحوين البصريين (ابو سعيد السيرافي) ٢٢٩،٢٢٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٤
- ادب انكاتب (ابن قتيبة) ٢١٦،٧٩
- ارتشاف الضرب (ابو حيان النحوى) ٢٥٠
- اسرار العربية (ابو البركات الانبارى)
١٣٤ ، ٩١
- اصلاح الخلل الواقع في الجمل (ابن السيد البطليوسى) ١٧٥
- اصلاح المنطق (ابن السكيت) ٢١٤،١٧٢
٢٤٧
- الاصول في النحو (ابن السراج البغدادي)
٢٠٥ ، ٨١
- الاضداد (ابو بكر بن الانبارى) ١٢٠
- اعراب القرآن (المنسوب للزجاج) ١٤١
- اعراب القرآن (ابو جعفر النحاس) ١٦٣
- اعراب القرآن (ابن قتيبة) ٧٩
- الاعراب في جدول الاعراب (ابو البركات الانبارى) ١٣٤
- الافصاح بفوائد الايضاح
(ابن هشام الخنراوى) ١٧٧
- الافعال (ابن القوطية) ١٨٤
- الافعال واختلاف معانيها (ابو طالب المکفوف) ٢٤
- الاقتراح (السيوطى) ٩١
- الالغية (ابن مالك) ١٥٦ ، ٨٣
- الامالي (الزجاجي) ١٤٦
- الاماوى (ابو علي القالى) ١٧٥

<p>الدال</p> <p>دائرۃ المعارف الاسلامیۃ ۱۴۵</p> <p>الراء</p> <p>الرد علی النحاة (ابن مضاء) ۸۵ ، ۱۷۸</p> <p>رسالة المشکل (ابو بکر بن الانبشاری) ۱۲۰</p> <p>الزای</p> <p>الزجاجی (مازن المبارک) ۱۴۹</p> <p>السين</p> <p>سیبویہ امام اننحۃ (علی النجذی ناصف) ۹۱</p> <p>الشین</p> <p>الشافیۃ (المقدمة) ابن الحاچب ۸۳</p> <p>شجر الدر (ابو الطیب اللغوی) ۱۲۲</p> <p>شرح أصول ابن السراج (ابن البادش) ۱۷۵</p> <p>شرح ایضاح الفارسی (ابن البادش) ۱۷۷ ، ۱۷۵</p> <p>شرح الجمل (الاعلم الشنتمری) ۱۷۶</p> <p>شرح جمل الزجاجی (ابن البادش) ۱۷۵</p> <p>شرح سیبویہ (الاعلم الشنتمری) ۱۷۶</p> <p>شرح سیبویہ ۱۴۵</p> <p>شرح شواهد الجمل (الاعلم) ۱۷۵</p> <p>شرح الفصیح (ابو عمر الزاهد) ۱۲۲</p> <p>شرح الکافیۃ (الرضی الاسترابادی) ۲۱۵</p> <p>شرح الکافی للنحاس (ابن البادش) ۱۷۵</p> <p>شرح الواقیۃ (ابن الحاچب) ۱۵۶</p> <p>شرح کتاب الاخفش ۱۷۴</p> <p>شرح کتاب الجمل (الاعلم) ۱۷۵</p> <p>شرح کتاب سیبویہ (ابن البادش) ۱۷۵</p> <p>شرح کتاب المقضب (ابن البادش) ۱۷۵</p> <p>الشعراء (ابن قتيبة) ۲۰۲</p>	<p>تعليق الغرفه (ابن بابشداد) ۱۶۴</p> <p>التفاحة (ابو جعفر النحاس) ۱۶۳ ، ۱۶۶ ، ۱۶۸</p> <p>تفسير اسماء الشعراء (ابو عمر الزاهد) ۱۲۲</p> <p>تفسیر القرآن (ابو حنیفة الدینوری) ۷۸</p> <p>تنزیه ائمۃ النحو عما نسب اليهم من الخطأ والسواء (ابن خروف) ۱۷۸</p> <p>تهذیب اللغة (ابو منصور الازھری) ۱۵۴</p> <p>۲۴۰ ، ۲۱۸</p> <p>الجيم</p> <p>الجراد (الاخفشن الصغیر) ۱۴۵</p> <p>الجمل (الزجاجی) ۸۱ ، ۱۲۸ ، ۱۳۰ ، ۱۶۶ ، ۱۷۷ ، ۲۴۹</p> <p>الحاء</p> <p>حاشیة التسبیان (علی بن محمد الحبیبان) ۲۱۷</p> <p>الحجۃ (ابن خالویہ) ۵۴</p> <p>الحدود ۱۱ ، ۳۵ ، ۴۱ ، ۳۶</p> <p>حامود الحیوف (أبو طالب المکفوف) ۲۴</p> <p>الحدود فی العربیۃ (هشام الضریر)</p> <p>الحلبیات (ابو علی الفارسی) ۱۴۳</p> <p>الحلل فی شرح ابیات الجمل (ابن السید البطلیوسی) ۱۷۵</p> <p>حیاة الشعر فی الكوفة (یوسف خلیف) ۲۱۱ ، ۲۰۹</p> <p>الخاء</p> <p>خرزانة الادب (عبد القادر البغدادی) ۱۴۲</p> <p>۲۲۳ ، ۱۴۵</p> <p>الخصائص (ابن جنی) ۱۵۵ ، ۱۳۴ ، ۶</p> <p>۲۳۵ ، ۲۲۰</p> <p>الخلاصة (ینظر الالفیة) ۱۵۶</p>
--	---

	الشعر والشعراء (ابو حنيفة الدنوي) سات حين (انزاهد) ١٢٦	٧٨
	الفائق في غريب الحديث (انزهشري) آ٢٧	
	بسماحة (ابو حنيفة الدنوي) ٧٨	
	الغبيع (تعجب) ١٤٩، ٥٠	
	أنفرست - ابن الأندیم ١٨٦، ٨٤، ٧١، ٥ ، ١٨٦ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ٢٠١ ، ٢٥٢ ، ٢٠٤	
	شي أصول النحو (سعید الأفغانی) ٩٢	
	ضھی الاسلام (احمد امین) ٩٣ ، ٨٤ ، ٩٣ ، ١٩٣ ، ١٨٧	
	الغیسل (أبو جعفر الرواسی) ١٤ ، ٢٤٤ ، ٢٠٧	
	الكاف	
	الكافیة (المقدمة في النحو) ابن العاجب ١٥٦ ، ٨٣	
	كتاب أبي عبيدة (مجاز القرآن) ١٠٩	
	كتاب الاخفش ١٧٣	
	الكتاب البارع (ابو عای القالی) ١٠٩	
	كتاب سیبویه ٥٠ ، ٨٠ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١١ ، ١٢٨ ، ١٢٥ ، ١١٥ ، ١١٤ ، ١١٢	
	كتاب مختصر في النحو (ابن شقیر) ١٤٩ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ٢٠٧ ، ١٨٤ ، ١٧٧ ، ١٧٦ ، ١٧٣	
	كتاب علي الجمل (في النحو) ١٠٩	
	كتاب مختصر في النحو (ابن شقیر) ١٣٩	
	الكسوف (ابو حنيفة الدنوي) ٧٨	
	اللام	
	لسان العرب (ابن منظور) ٦٦	
	الملاحة والنحو ٩١	
	لمع الادلة (ابو البركات الانباري) ١٣٤، ٩١	
	الميم	
	ما ينصرف وما لا ينصرف (الزجاج) ١٢٦	
	١٢٧	
	متخیر الالفاظ (احمد بن فارس) ١٤٩	
	فائت الجمهرة (ابو عمر الزاهد) ١٢٢	
	الفاء	
	الشعر وانشعراء (ابن قتيبة) ٧٩	
	الصاد	
	الصحابي في فقه اللغة (احمد بن فارس) ١٤٩ ، ٨٣	
	الضاد	
	طبقات النحويين البصريين (المبرد) ٢٢٦	
	طبقات النحويين واللغويين ١٧٤ ، ١٨١	
	الطاء	
	العالم المتعلم ١٧٤	
	العربية (يوهان فاك) ٨٤	
	العشرات (النواذر) ابو عمر الزاهد ١٢٢	
	العين (الخليل) ١٦٣ ، ١٦٦ ، ٢٤٥	
	عيون الاخبار (ابن قتيبة) ٧٩ ، ٢٠٢	
	الفین	
	غرر الاصلاح في شرح ابيات الايصالح ١٠٩	
	كتاب مختصر في النحو (ابن شقیر) ١٣٩	
	غدر الاصلاح في شرح ابيات الايصالح ١٧٧	
	غريب الحديث (ابن قتيبة) ٧٩	
	غريب الحديث (ابو عمر الزاهد) ١٢٢	
	غريب الحديث والآثار (ابو عبيد القاسم بن سلام) ٦	
	الغريب المصنف (ابو عبيد) ١٩٦	
	الغريبين (غريب القرآن والحديث) ابو عبيد الهروي ٦٦	
	الفاء	
	فائت الجمهرة (ابو عمر الزاهد) ١٢٢	
	متخیر الالفاظ (احمد بن فارس) ١٤٩	

البعبر - سلسلة الحديث (سونق السدين مقاولة في الاسم والمعنى (ابن الخطأوة))	١٤٢، ٨٧، ٦٨، ٥٠	المجالس (تعجب) ٩٨، ٨٣
١٧٦	١٦	البغدادي)
المقايس (احمد بن فارس) ١٤٩	١٤٩	المجم (حمد بن فارس)
المنقبس (المرزبانى) ١٤٥	١٣٣	المخار في عامل النحو (ابن كيسان)
المقتضب (المبرد) ٢١٥ ، ١٦٧ ، ١٧٧ ، ١٧٧	١٢٨، ١٣٤	مختصر الزاهري (الزجاجي) ١١١
المقدمات على كتاب سيبويه (ابن الطراوة) ١٧٦	٢٢	المختصر في النحو (هشام الضرير) ١٢٢
المقصور والممدوح (ابن شقيق) ١٣٩	١٢٢	الداخل في اللغة (ابو عمر الزاهد) ١٢٣
المهذب (أبو علي الدينوري) ١٦١	١٢٣	المدارس النحوية (شوقي ضيف) ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٥ ، ١٣٥ ، ١٨٤ ، ٢٣٠ ، ٢٤٠
الموجز في النحو (ابن السراج) ١٦٧	٢٤٠	مدرسة البصرة النحوية (عبد الرحمن السيد) ٨٩ ، ٩١ ، ١٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢١٩
الموطأ (مالك) ١٧١		مدرسة الكوفة (مؤود المخزومي) ٢١١
النون		مراتب النحوين (ابو الطيب اللغوي) ٨٩
النبات (ابو حنيفة الدنوي) ٧٨	١٩٣	المذكر والمؤثر (ابن شقيق) ١٣٩
النحو الجديد ٩٠	٢٢٩	الشرق في النحو (ابن مضاء) ١٧٨
نزهة الالباء (ابو البركات الانباري) ٢٠٤ ، ٨٢	٢٠٢	المعارف (ابن قتيبة) ٧٩ ، ٢٠٢
نشأة النحو و تاريخ اشهر النحاة (محمد الطنطاوى) ٢٠٨ ، ١٨٣	٥٠	معاني الشعر (ثعلب) ١٧١
نوادر الجبر (ابو حنيفة الدنوي) ٧٨	١١٤	معاني (الكسائي) ١١٤ ، ١٧١
نوادر (ابو عمر الزاهد) ١٢٢		معاني القرآن (القرآن) الاخفش الاسط
نوادر في اللغة (ابو زيد الانصاري) ٨٩	١١٤	معاني القرآن (ابو جعفر النحاس) ١٦٣
الهاء		معاني القرآن (الفراء) ١١ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٩
همم الهوامع (السيوطى) ٢٥٠، ٩١، ٨٢		٣٧ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٧ ، ١٠٢ ، ٩٤ ، ٩٣ ، ٩٠ ، ٨٩ ، ٨٧
الواو		١١٤ ، ١٠٣
الواضح في النحو (ابو بكر الزبيدي) ١٧٤		معجزات النبي صل الله عليه وعلى آله (ابن قتيبة) ٢٠٢
الوافية (شرح الكافية الشافعية) ابن مالك ١٥٦		معجم الادباء (ياقوت) ٨٢
الوافية (نظم الكافية) ابن الحاجب ١٥٦		
وفيات الاعيان (ابن خلkan) ٨٨، ٨٢		
الياء		
اليواقية (ابو عمر الزاهد) ١٢٢		

فهرس الآيات

الصفحة	رقم الآية	البقرة
٣٧	٢٢٩	اَلَا اَن يَخَافُوا اَلَا يَقِيمُوا حَدُودَ اللَّهِ
١٥١	٨٥	ثُمَّ اَنْتُمْ هُؤُلَاءِ تَقْتَلُونَ أَنفُسَكُمْ
١٢٣	٢٢٨	وَبِعُولَتِهِنَّ أَحْقَ
٣٨	٤٢	وَالَّهُ آبَائُكُمْ اَبْرَاهِيمَ وَاسْمَاعِيلَ وَاسْحَاقَ الْحَقَّ
١٢٢	١٣٣	وَلَا تَأْكُلُوا اُمُوْلَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ،
٣٨	٤١	وَلَا تَكُونُوا اُولُو الْكَافِرِ بِهِ ، وَتَشْتَرُوا بِآيَاتِهِ ثُمَّنَا قَلِيلًا وَلَا تُلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، وَتَكْتُمُوا
٦٣	١٩	آل عمران
٦٣	١٨	اَنَ الدِّينُ عِنْدَ اللَّهِ الْاِسْلَامُ
٣٧	٧١	شَهَدَ اللَّهُ اَنَّهُ لَا اَللَّهُ اَلَا هُوَ
٣٨	١٨٨	لَمْ تُلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، وَتَكْتُمُوا وَتَدْلُوْا بِهَا إِلَى الْحُكْمِ
		النساء
٦١	١٧٦	اَنْ اَمْرُؤٌ هَلَكَ
٥٣	١	تَسْاءَلُوْنَ بِهِ وَالْارْحَامُ
٤٠	٩٧	سَاعَتْ مَصِيرًا
١٥٠	١١٥	سَعْيِدَهَا سَيْرَتْهَا الْاُولَى
٤٠	٣٨	كَبِيرٌ مَقْتَلًا
		المائدة
٦٠	٦٩	اَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ النَّصَارَى
		الأنعام
٥٣	١٣٧	زَيْنٌ اَكْثَرُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُتِلَ اُولَادُهُمْ شَرٌ كَائِنُهُمْ
٥٥	١٣٧	وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لَكَثِيرٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
		الأنفال
٣٨	٢٧	لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا اَمَانَاتَكُمْ
		التوبه
٦٣	٥٢	قُلْ هَلْ تَرْبَصُونَ بِنَا اَلَا اَحَدٌ الْحَسَنَيْنِ
٦١	٦	اَنَّ اَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ

أبراهيم

٣٩	٢٩	وبئس القرار له
٦٤,٥٩,٥٣	٦٣	ان هذان لساحران النور
٦٢	٥٨	ثلاث عورات لكم الشعراء
٦٢	١٣٧	خلق الاولين
١٠٠	٢١	الروم
٦٢	١٨	الم . غلبت الروم الاحزاب
٤٠,٣٩	٦	ولا يأتون بالأس الا قليلاً أشحة
٣٨	٢٠	الفتح
٦٤	١٨	فسياء قرينا
٦٤	١٩	ولولا رجال مؤمنون ، ونساء مؤمنات
٦٤	٢٢	الواقعة
٦٤	٢٠	بأكلواب وأباريق وكأس من معين
٦٤	٢١	لا يصدعون عنها ولا ينزعون
٦٤	١٧	وحسور عين
٦٣	٨	وفاكهة مما يتذخرون
		ولحم طير مما يشتتهون
		يطوف عليهم ولدان مخلدون
		الحافة
		فهل ترى لهم من باقية

فَهُنَّ مِنَ الْأَشْهَادِ

۲۷

الصـفـحة

حملت إليه ممن لسانى حديقة
أنا فى كلام من نصيبي يقوله
ياغدن حبسا يجتمعن ووصله
مسا للجمسال مشيها وييدا
وزججه بجز جمه
جزى بنوه أبا الغيلان عن كبير
قلها رأى أن شمر الله مسا لمه
فان أنت لم تفعسل فللفاعلية
وقبل يرى من جوده مسا رأيته
كتسا تقيس النحو فيما مضى
فيجاعننا قسم يقيسو زيه
فكليم يعمسل فسى تقض مسا
ان الكسائى واصح مسا به
فإذا اقرضت قرضا فاجزه
صعلدة نابته في حجره
لا تدنه عن خلقه وتائى مثله
عافتةينا تبا ومساه باردا
حتى شتت همالة عيناه

二

العنوان

三

أدا سرت فسادفني إلى جنب كرمته
ولا تدفعني فسي الأفلة فانسى
تروي عظامي في المسات عروقه
أحو اذا مسا مت أن لا اذوه

فهرست انصاف الآیات

الـ أـيـهـنـاـ الـأـجـرـيـ اـحـضـرـ الـوـغـيـ
الـ أـلـاـ إـيـهـنـاـ الـأـجـرـيـ اـسـهـلـ الـوـغـيـ
ـ كـنـفـتـنـىـ ذـنـبـ اـمـرـىـ

هادی ببرزت فهبت لند
بعضیان تدععن ذنب الانفعی و تترکهم
بعا کسان ایاهم علییة عدوای

مصادر البعث ومراجعة

- ١ - أبو ذكريا الفراء - أحمد مكي الانصاري - القاهرة ١٩٦٤
- ٢ - أخبار النحوين البصريين - السيرافي - كرنكو بيروت
- ٣ - أدب الكاتب - ابن قتيبة - ليدن - بريل ١٩٠٠
- ٤ - أسرار العربية - أبو البركات الانباري - ليدن
- ٥ - الاضداد - أبو بكر بن الانباري - الكويت ١٩٦٠
- ٦ - اعراب القرآن - المنسوب للزجاج - أبراهيم الابياري - القاهرة ١٩٦٣
- ٧ - أعراب ثلاثة سور - ابن خالويه - دار الكتب المصرية - القاهرة
- ٨ - الاغاني - أبو الفرج الاصفهاني - دار الكتب المصرية - القاهرة
- ٩ - الاغرب في جدل الاعراب - أبو البركات الانباري - سعيد الافغاني ١٩٥٧
- ١٠ - الامتناع والمؤانسة - أبو حيان التوحيدى - لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٥٣
- ١١ - آنباء الرواية بآنباء النحاة - القفطي - تح محمد أبي الفضل أبراهيم - القاهرة
- ١٢ - الانصاف في مسائل الخلاف - أبو البركات الانباري - مط السعادة - القاهرة
- ١٣ - الإيضاح في علل النحو - أبو القاسم الزجاجي - مازن المبارك . دار العروبة - القاهرة ١٩٥٩
- ١٤ - البحر المحيط - أبو حيان التوحيدى - مط النصر الحديثة -
- ١٥ - البرهان في علوم القرآن - الزركشى - تح محمد أبي الفضل ابراهيم - دار أحياء الكتب العربية - القاهرة ١٩٥٧
- ١٦ - بغية الوعاة - السيوطي - تح محمد أبي الفضل أبراهيم - البابي الحلبي ١٩٦٤
- ١٧ - البيان والتبيين - الجاحظ - تح عبدالسلام هارون - القاهرة
- ١٨ - تاريخ الادب العربي - بروكلمان . الطبعة العربية
- ١٩ - تاريخ الطبرى - ابو جعفر محمد بن جرير - ليدن ١٨٨٥-١٨٨٩
- ٢٠ - تاريخ بغداد - الخطيب البغدادى . مط السعادة - القاهرة ١٣٤٩ هـ
- ٢١ - التبيان في شرح الديوان - نشر مصطفى السقا وآخرين - البابي الحلبي - القاهرة ١٩٥٦
- ٢٢ - انتسحيل - ابن مالك . تح محمد كامل بركات - دار السكاف العربي - القاهرة ١٩٦٧
- ٢٣ - تهذيب التهذيب - ابن حجر العسقلانى - حيدر آباد ١٣٢٥ هـ
- ٢٤ - تهذيب اللغة - أبو منصور الأزهري ، ج ١ تح عبد السلام هارون - الدار المصرية - القاهرة ١٩٦٤

- ٤٥- الجامع لاحكام القرآن - أبو عبدالله محمد بن احمد القرطبي . دار الكاتب العربي - القاهرة
- ٤٦- جذوة المقتبس - الحميدي - الدار المصرية - القاهرة ١٩٦٦
- ٤٧- حاشية الصبان - دار احياء الكتب العربية - القاهرة
- ٤٨- الحجۃ في عدل القراءات السبع - أبو علي الفارسی - تح على النجاشی ناصف وآخرين - دار الكاتب العربي - القاهرة ١٩٦٥
- ٤٩- الحجۃ في القراءات السبع - ابن خالویه تح عبدالعال سالم مکرم - دار الشرق - بيروت ١٩٧١
- ٥٠- حياة الشعر في الكوفة - يوسف خليف - دار الكتب العربي - القاهرة ١٩٦٨
- ٥١- الحيوان - الجاحظ تح . عبدالسلام هارون - القاهرة ١٩٣٨
- ٥٢- خزانة الادب ولاب لباب لسان العرب - البغدادي - بولاق ١٢٩٩ هـ
- ٥٣- الخصائص - ابن جنی . تح محمد على النجار . دار الكتب . القاهرة
- ٥٤- ذيل الامالي والنواذر - ابو على النقائی - دار الكتب - القاهرة ١٣٤٤ هـ
- ٥٥- الرد على النحاة - ابن مضاء القرطبي تح شوقي ضيف - دار الفكر العربي - القاهرة
- ٥٦- الزجاجي - حياته وآثاره ومذهبة النحوی - مازن المبارك - دمشق
- ٥٧- سر صناعة الاعراب - ابن جنی تح مصطفی السقا وآخرين . البابي الحلبي - القاهرة
- ٥٨- شرح ابن عقیل - الہامش - محمد محیی الدین عبدالحمید
- ٥٩- شرح الاشمونی - نشر محمد محیی الدین عبدالحمید . البابی الحلبي - القاهرة
- ٦٠- شرح التصریع على التوضیح - خالد الازھری - دار احياء الكتب العربية - القاهرة
- ٦١- شرح الكافیة - الرضی الاسترابادی - استانبول ١٢٧٥ هـ
- ٦٢- شرح المفصل - ابن یعیش - الطباعة المنیریة - القاهرة

- ٤٣ - الصاحبي - أحمد بن فارس - نشر الشنقيطي - المطبعة السلفية القاهرة
- ٤٤ - صبح الأعشى - القلقشندي - دار الكتب - انقاورة ١٩٦٣
- ٤٥ - صحيح البخاري - مطر صحيح - القاهرة ١٣١١ هـ
- ٤٦ - ضحى الاسلام - أحمد امين - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٥٦
- ٤٧ - طبقات النحوين واللغويين - أبو بكر الزبيدي - القاهرة
- ٤٨ - غاية النهاية في طبقات القراء - ابن الجزري - نشر برگشتر اسر - القاهرة
- ٤٩ - انفرست - ابن النديم - الرحمانية - القاهرة ، لايبزك
- ٥٠ - في اصول النحو - سعيد الافغاني - مطر الجامعة السورية ١٩٥٧
- ٥١ - قصة الحضارة - ديوانت - ترجمة زكي نجيب محمود وآخرين - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة
- ٥٢ - الكتاب - سيبويه - بولاق - القاهرة
- ٥٣ - لسان العرب - ابن منظور - دار بيروت - دار صادر - بيروت
- ٥٤ - لمع الادلة - أبو البركات الانباري - تح سعيد الافغاني - مطر الجامعة السورية ١٩٥٧ .
- ٥٥ - ما ينصرف وما لا ينصرف - الزجاج - تح هدى محمود قراءة - القاهرة ١٩٧١
- ٥٦ - مجالس العلماء - الزجاجي تح عبد السلام هارون - الكويت ١٩٦٢
- ٥٧ - مجالس ثعلب - تح عبد السلام هارون - دار المعارف - القاهرة
- ٥٨ - مختصر كتاب البلدان - ابن الفقيه - تح ديغويه - ليدن - بريل ٢٠٣١٥
- ٥٩ - المدارس النحوية - شوقي ضيف - دار المعارف . مصر ٦٨ ١٩٦٨
- ٦٠ - مدرسة البصرة النحوية - عبد الرحمن السيد - دار المعارف - القاهرة ١٩٦٨
- ٦١ - مدرسة الكوفة - مهدي المخزومي . البابي الحلبي - القاهرة ١٩٥٨
- ٦٢ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان - عفيف الدين اليافعي . حيدر آباد ١٣٣٧ هـ
- ٦٣ - مراتب النحوين - ابو الطيب اللغوي - تح محمد ابي الفضل ابراهيم - مكتبة النهضة مصر - القاهرة ١٩٥٥ .
- ٦٤ - المزهر في علوم اللغة وانواعها - السيوطي - تح محمد احمد جاد المولى وآخرين - دار احياء الكتب العربية - القاهرة

- ٦٥ - المعارف - ابن قتيبة - تح ثروة عكاشة - دار الكتب - القاهرة ١٩٦٠
- ٦٦ - معاني القرآن - الفراء - القاهرة ١٩٥٥-١٩٧٣
- ٦٧ - معجم الادباء - ياقوت - دار المأمون - القاهرة ١٩٣٦
- ٦٨ - مغني اللبيب - ابن هشام - تح مازن المبارك ومحمد علي حمد الله . دمشق ١٩٦٤
- ٦٩ - مفاتيح العلوم - الخوارزمي - ادارة الطباعة المنيرية - القاهرة
- ٧٠ - المقتضب - المبرد - تح محمد عبدالخالق عصيمة - القاهرة ١٣٨٥ هـ
- ٧١ - مقدمة الانصاف - گر تولد فايل - ترجمة عبدالحليم التجار
- ٧٢ - مقدمة البستانى لشرح ديوان المتنبي - بيروت
- ٧٣ - المقدمة المحميدة - ابن باشاذ . تح حسام النعيمي - بغداد
- ٧٤ - مناهل العرفان - الزرقاني - دار أحياء الكتب العربية - القاهرة ١٣٧٢ هـ
- ٧٥ - الموجز في النحو - ابن السراج البغدادي - تح مصطفى الشويفى - بيروت
- ٧٦ - نزهة الالباء - القاهرة - الطبعة الحجرية
- ٧٧ - نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة - محمد الطنطاوى - ليبيا
- ٧٨ - النشر في القراءات العشر - ابن الجزرى . مطب مصطفى محمد - القاهرة
- ٧٩ - نظرات في اللغة والنحو - طه الرواى - المكتبة الاهلية - بيروت
- ٨٠ - النوادر في اللغة - أبو زيد الانصارى - بيروت
- ٨١ - نور القبس - الحافظ اليغموري - نشر زلهايم
- ٨٢ - همع الیوامع - السیوطی مط السعادة - مصر ١٣٢٧ هـ
- المجلات - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق م ١٤ ج ٩ ، ج ٤٧ م

فهرست الموضوعات

الصفحة	
٥	مقدمة
٩	تهييد
١٦	الكسائي (علي بن حمزة توفي سنة ١٨٩ هـ)
٢١	أصحاب الكسائي
٢٥	القراء (أبو زكريا يحيى بن زياد توفي سنة ٢٠٧ هـ)
٤١	أصحاب القراء
٤٦	شاعب (أبو العباس احمد بن يحيى توفي سنة ٢٩١ هـ)
٥٢	خصائص المذهب البغدادي
٧٥	غلبة المذهب البصري
٩٧	گوتولدقائل ومدرسة الكوفة
١٥٠	شوقي ضيف ومدرسة الكوفة
١١٦	تلاميذ ثعلب والبرد
١٥٨-١٤٨	الدرس النحوی في القرن الرابع
١٤٨	ابن خالویه
١٤٩	ابن فارس
١٥٠	أبو الطیب المتنبی
١٨٥-١٥٩	الدرس النحوی في الآفاق
١٦٠	١ - الدرس النحوی في مصر
١٧٠	٢ - الدرس النحوی في الاندلس
١٨٦	شیوع البغدادیة وتاریخه
٢٤٤	التسمیة بالکوفیة
٢٣٠	شوقي ضيف والمذهب البغدادی الموهوم
٢٣٩	الانصاری والمدرسة البغدادیة المزعومة
٢٤٤	خاتمة البحث
٢٧١-٢٥٣	الفهارس
٢٥٥	فهرس أعلام الاشخاص
٢٦٤	فهرس الكتب الواردة في صاحب البحث
٢٦٨	فهرس الآيات
٢٧٠	فهرس الأشعار
٢٧١	فهرس انصاف الأبيات
٢٧٢	مصادر البحث ومراجعه

تصحيح أخطاء الطبع

الصواب	الخطأ	ص/س
حتى صار	حتى	٥/١٦
القرآن	القراء	٩/١٧
للكسائي	الكسائي	٢/٢١
لشدة	الشدة	٣/٢٢
ابن	بن	١٧/٢٢
وأنَّ	وأو	١٠/٢٥
حُبِيش	جيش	٧/٢٥
يلمَّ	يلغ	١٦/٢٥
الأحمر أكثر	أكر	١٨/٢٦
حملات وتهجمات	حملات تهجمات	١١/٢٨
بن	بن	١١/٢٩
ومهما يكن	ومهما	٤/٣٦
لتعليق	التعليق	٧/٣٧
ابن النديم	بن النديم	٥١ هامش (١٧)
ولحم طيرٍ	ولحمٍ	١٢/٦٤
تقعرٌ هم	تقعدهم	٤/٧٣
استنبطوا	استنبطوا	٥/٧٣
السخرية	السخرية	٦/١٠٦
مالم يقولوه	لم يقولوه	١٤/١٢١
فمنقوض	فـتـوـضـ	٧/١٢٣
كان	يـذـهـ	٢١/١٣٣
ابن النديم	بن النديم	١٣٥ هامش (٤٥)
ليخلص	لـبـخـلـص	

الصواب	الخطأ	ص/س
وير تبط	مفر تبط	٣/١٣٩
بغية الوعاة	بغية الرعاة	١٧٦ (الهوامش)
الاكوفى	الكافى	١٧/١٧٩
بن	ابن	١١/١٩٥
خاف	خاف	١١/٢٠١
انتهت	أنتهت	١٣/٢٠٥
المعروف	المعروف	٢٠/٢٠٥
وتصدّرها	وتصدّرها	٧/٢٠٧
جلبابا	حلبابا	١٤/٢٠٩
يرقون	برقون	٥١/٢١٣

يكون السطر ١٨ من الصفحة ٢١٦ والسطر ٣ من الصفحة ٢١٧ أئدهما محل الثاني .

بالبغداديون	٥/٢٢٧
السبجتاني	٧/٢٣٣
أفتحن	٨/٢٤٨



رابط بديل
lisanerab.com



أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com



رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد / ١٢٨ / ١٩٧٥

مطبعة السعون - بغداد هاتف ٨٦٣٣٢



الجمهورية العراقية
وزارة الاعلام
بغداد

السعر ٣٠٠ فلس

دار العربية للطباعة ونشر
بغداد
١٣٩٥ - ١٩٧٥